

باقية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(خمسة كتب)

تأليف

سيدنا مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

الشركة الإسلامية المحدودة

اسم الكتاب : باقة من بستان المهدي

الطبعة الحديثة : ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

Bāqah min Bustānil Mahdī

By: Ḥaḍrat Mirzā Ghulām Aḥmad (Peace and blessings of Allah be upon him), ***the Promised Messiah and Mahdī, Founder of the Aḥmadiyyah Muslim Jamā'at***

© Al-Shirkatul Islamiyyah

First Published in UK in 2007

By: Al-Shirkatul Islamiyyah
Islamabad
Sheephatch Lane
Tilford, Surrey GU10 2AQ
United Kingdom

Printed in UK at:
Raqeem Press
Islamabad

ISBN: 185372 825 X

المحتويات

أ	كلمة الناشر
١	تحفة بفصاد
٦	الاشتهار من السيد البغدادي
٩	مكتوب السيد البغدادي
١١	جواب الاشتهار والمكتوب
٤٥	إتمام الحجة
٧٣	الوصية لله لقوم لا يعلمون
١٠٣	حجة الله
١٠٧	الإعلان فاسمعوا يا أهل العدوان
١٠٩	ضميمة حجة الله
١٠٩	قُتِلَ الإنسان ما أكفره
١٥١	قصيدة من المؤلف
١٥٣	القصيدة الثانية
١٦٧	خاتمة الكتاب
١٦٩	ترغيب المؤمنين ...
١٩١	حقيقة المهدي

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

كلمة الناشر

يسعدنا أن نقدم لقراء العربية في هذه الباقية خمسة كتب عربية صغيرة الحجم كثيرة المعاني والفوائد، ألفها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

تعريف بهذه الباقية

تحفة بغداد

قد ألف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هذا الكتاب في تموز/يوليو ١٨٩٣م، ردًا على إعلان نشره شخص يُدعى السيد عبد الرزاق البغدادي، المقيم آنذاك في "حيدر آباد" بالهند، حيث اعتبر حضرته كافرا وأعلن أنه يجب قتله بالسيف البتار أو بالإلقاء في النار. فما كان من حضرته عليه السلام إلا أن أحسن إلى هذا الشخص متغاضيا عما بدا منه من العداوة دون تحقيق، فأحسن به الظن وخاطبه بركة بالغة تنم عن كمال خلقه وسموه وثقته بما أنعم الله به عليه.

وقد أظهر حضرته كعاداته في هذا الكتاب الحب للعرب ولبلادهم؛ ذلك الحب الراسخ في قلبه بسبب حبه العظيم لسيدته وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله. وكان هذا الحب سمة حياته كلها في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته. هذا إلى جانب حجج بالغة ناصعة وأدلة وقواعد لمعرفة الحق صيغت بحيث تصلح أن تكون دليلا وهداية لكل من رام الحق وطلبه، مشفوعة بقصيدتين جميلتين، إضافة إلى نموذج مما من الله به على حضرته من البشارات.

إتمام الحجّة

هذا الكتاب ألفه سيدنا أحمد عليه السلام في حزيران/يونيو ١٨٩٤م إتمامًا للحجة على أحد معارضيه المولوي "الرسل البابا"، الذي نشر كتيبًا بعنوان: حياة المسيح، حاول فيه إثبات عقيدة حياة المسيح الناصري عليه السلام، وأعلن تقديم جائزة قدرها ألف روبية لمن ينقض أدلته ويبطل براهينه. غير أنه قال أيضًا إن هذه الأدلة المذكورة مخفية في طيات الكتيب ولا يدركها إلا الذي قرأ هذا الكتيب بدقة وتلمذ على يده؛ وبهذا يكون قد ضمن لنفسه أن يتملص من الإقرار والاعتراف بإبطال أدلته، وفي هذا مخادعة ساذجة مكشوفة.

فألف سيدنا أحمد عليه السلام هذا الكتاب، ودل فيه على وفاة المسيح بأدلة مستمدة من القرآن المجيد والأحاديث النبوية ومن أقوال الأئمة والسلف الصالحين بأسلوب سلس بيّن موجز. كما خاطب "الرسل البابا" بشيء من الشدة لما بدا منه من المراوغة والصلف والكبرياء. فاقترح عليه السلام أن يودع "الرسل البابا" مبلغ الجائزة لدى لجنة من ثلاثة أشخاص يقرّون خطيا أنهم سوف يسلمونها لحضرته إذا تبين أنه قد أقام الحجّة عليه وأفحمه. وقد أكد حضرته في أكثر من موضع أنه لا يطمع بالجائزة ولا يرغب فيها، ولا يهتمّ بالمال ولا بالدنيا وما فيها، وإنما تكمن أهمية هذا الأمر في أنه سيتم الحجّة على الكاذب.

ولقد أرسل حضرته عليه السلام كتابه هذا إلى المولوي "الرسل البابا" أيضًا في البريد المسجل، غير أنه لاذ بالصمت، وفي نهاية المطاف مات في مدينة أمرتسر بالطاعون في ٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٠٢م.

هناك أمر جدير بالذكر هنا وهو أن الكتاب الأصلي يحتوي على جزء باللغة الأردنية أيضا إضافة إلى الجزء العربي، فترجمناه ووضعناه في مكانه في الكتاب، وتوهنا إلى ذلك في الهامش.

حجة الله

لقد نشر المولوي عبد الحق الغزنوي إعلانا بذثيا ضد سيدنا أحمد عليه السلام معترضا فيه على معرفته باللغة العربية، ومتحديا إياه للمناظرة باللغة العربية. فقبل حضرته عليه السلام التحدي واشترط قائلا: إنك ترى أنني أجهل العربية جهلا تاما، ولكن إن هُزمت في المناظرة فلا أطلب منك إلا أن تعتبر غلبي عليك معجزة من الله تعالى وأن تباعني على الفور. فلم يردّ المولوي الغزنوي على ذلك، كما أن زميله الشيخ النجفي أيضا لم ينبس ببنت شفة؛ فبدأ حضرته عليه السلام بتأليف هذا الكتاب باللغة العربية الفصيحة في ١٧ آذار/مارس عام ١٨٩٧م وأكمل تأليفه في ٢٦ أيار/مايو عام ١٨٩٧م.

ولكي يقيم الحجة على من يكفره من العلماء، دعا حضرته عليه السلام المولوي البطالوي والمولوي الغزنوي والشيخ النجفي وأشياعهم للمبارزة وتحداهم بما يلي: "فلئن اضلوني في هذا ولو متظاهرين بأمثالهم، وليبرهنوا على كمالهم، وإلا كشفت عن سبهم وأخزيتهم في أعين جُهاّلم. ومن يكتب منهم كتابا كمثل هذه الرسالة، إلى ثلاثة أشهر أو إلى الأربعة، فقد كذّبي صدقا وعدلا، وأثبت أنني لست من الحضرة الأحدية. فهل في الحيّ حيّ يقضي هذه الخطّة، ويُنجّي الأمة من التفرقة؟ وليستظهر بالأدباء إن كان جاهلا لا يعرف طرق الإنشاء، وليعلم أنه من المغلوبين."

ثم قال حضرته ما مفاده: فلو تمكنوا من نشر كتاب مماثل لكتابي كيفًا وكَمًا في النظم والنثر، ثم لو حَكَمَ أحد من أساتذة اللغة العربية مثل المولوي عبد الله أو غيره - حالفا بالله - بأن كتابهم يماثل كتابي أو أفضل منه، ثم لم يجلّ بالحالف عذابُ الله في غضون ٤١ يومًا من دعائي، لأحرقتُ جميع كُتبي وتبّت على يدهم. هكذا سوف يُسوّى بشكل نهائي الخلافُ الدائر بيننا. ومن لا يخرج للمبارزة بعد هذا التحدي فليعلم الجميع أنه من الكاذبين.

ولكن لم يتصد أحد من هؤلاء المشايخ ولا غيرهم لهذا التحدي.

ترغيب المؤمنين

هذا الكتاب هو القسم العربي من كتاب "البلاغ" الذي ألّفه سيدنا أحمد عليه السلام بعد أن نشر شخص متنصر يُدعى "أحمد شاه" كتابا بذيئا أسماه "أمهات المؤمنين" في عام ١٨٩٧م وأرسل ألف نسخة منه مجاناً إلى علماء المسلمين ومشايخهم متحدياً أن يردوا عليه. وقد ضمّن الكتاب عبارات بذيئة وفاحشة بحق النبي صلى الله عليه وآله وأزواجه الطاهرات، مما أثار عاصفة من الغضب في صفوف المسلمين.

ومن العجيب أن حضرته ألّف هذا القسم من الكتاب بالعربية، واطعاً من خلاله أسساً وقواعد للرد على مسألة كهذه، وجعل القسم الأوردي من الكتاب مختصاً بذكر بعض التفاصيل والأمور الخاصة بتلك الحادثة تحديداً، وكأن في ذلك نبوءة بأن ما حدث الآن سيحدث ما يشابهه لاحقاً في بلاد العرب، وسيكون أكثر شمولية وعلى أوسع نطاق. وهذا ما

يحدث في هذه الأوقات، حيث اجتراً المسيحيون على مهاجمة الإسلام والنبي الكريم ﷺ وأزواجه المطهرات بصورة لم تحدث من قبل، ظانين أنهم سيوجهون بذلك الضربة القاضية للإسلام بعد أن تبدى الضعف والهزال على الأمة عامة وعلى الأمة العربية خاصة.

هذا، وإن من أهم القواعد التي وضعها حضرته ﷺ للتعامل في ظل هذه الظروف هو الحث على التعقل والرد على هذه الهجمات بما يماثلها. فعلى المسلمين أن يبينوا للناس زيفها بدلاً من معاقبة الشخص المهاجم أو مطالبة الحكومة بمعاقبته، لأنه ليس الأول ولن يكون الأخير، وأيضاً لأن هذا التصرف من المسلمين سيؤدي إلى شماتة الأعداء بهم، فكأنهم لا يملكون جواباً على هذه التهم.

كذلك فقد ذكّر حضرته ﷺ بأهمية حفظ الأمن والنظام وعدم إثارة الاضطراب والفوضى. وقد ذكّر بأن الحكام إذا أعطوا الناس حريتهم وعدلوا ومنعوا عدوان فريق على آخر، فهم بذلك يكونون قد أحسنوا إلى الجميع وإلى المسلمين خصوصاً، ويصبح واجباً على المسلمين تأدية الشكر لهم. وعليهم ألا يصبحوا ألعوبة في أيدي بعض المتشدد الذين يتخذون الدين مطية لتحقيق مصالحهم ويحاولون جر العامة خلفهم لكي يصلوا إلى مآربهم.

كما ردّ حضرته ﷺ أيضاً على الشبهة التي أثارها ذلك المهاجم في كتابه رداً موجزاً جامعاً مانعاً، فبيّن أن الأناجيل قد صورت المسيح ﷺ في صورة جعلته محباً للزانيات راضياً بالتعامل معهن والاستئناس بحديثهن، وشربها إلى الأكل، مدمناً على الخمر. ومع تأكيده على براءة المسيح ﷺ

من هذه الصورة القبيحة، قد قدم المؤلف عليه السلام قاعدة لإفحام الخصوم في المناظرات؛ وهي بعرض ما لديهم من أمور تشابه الشبهات التي أرادوا إصاقها بالإسلام، علّهم ينتبهون لما عندهم ويثوبون إلى رشدهم.

حقيقة المهدي

كان الشيخ البطالوي من ألدّ أعداء سيدنا أحمد عليه السلام، وظل يناصبه العداة طوال حياته ويتحين الفرص لإلحاق الضرر به عليه السلام. فلما عجز عن مواجهته بالأدلة والبراهين اتخذ الوشاية إلى الحكومة الإنجليزية شرعة له. فبلّغ الحكومة بأن هذا الرجل ليس مخلصاً للدولة البريطانية بل هو متمرّد عليها؛ لأنه يدعي بأنه المهدي المنتظر، بل هو أخطر من المهدي السوداني، فلا يليق بالحكومة إمهاله ومنحه حرية الدعوة. وتأكيداً على ذلك نشر كتيباً بالإنجليزية ادعى فيه أنه مخلص للحكومة البريطانية ولا يعتقد بظهور مهدي يخرج من بني فاطمة، يشن الحروب الدينية ويُدخل الكفار جميعاً في الإسلام قسراً. كما أنه لا يرى ضرورة الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية، حيث يعتبر جميع الروايات الواردة عن المهدي السفاك من بني فاطمة مجروحة وضعيفة وموضوعة.

فألّف الإمام المهدي عليه السلام هذا الكتيب دحضاً لمزاعم الشيخ البطالوي واتهاماته، وأثبت أنه قد لجأ إلى النفاق والمداهنة فيما كتب إلى الحكومة من معتقداته عن المهدي. لقد ألّف حضرته هذا الكتيب على قسمين.. قسم باللغة الأردنية وآخر باللغة العربية مع الترجمة الفارسية ونشره بتاريخ ٢١ فبراير عام ١٨٩٩م، وبالمقابل لم يكن لخصمه إلا أن يلزم الصمت والوجوم.

سيلاحظ القارئ المنصف من خلال قراءته لهذا الكتيب الوجيز أن حضرته عليه السلام قد لخص بكلمات وجيزة نظرية الجهاد وظهور الإمام المهدي المنتظر من منظور إسلامي صحيح بأسلوب محكم وبلغ ومعجز وبلسان عربي مبين.

هناك أمر جدير بالذكر هنا وهو أن الكتاب الأصلي يحتوي على جزء باللغة الأردنية أيضا إضافة إلى الجزء العربي، فترجمناه ووضعناه في مكانه في الكتاب، وتوهنا إلى ذلك في الهامش.

هذه الطبعة

لقد أَلَّفَ سيدنا أحمد عليه السلام زهاء خمسة وعشرين كتابًا باللغة العربية، ولكنها لم تصدر على شكل كُتُب منفصلة منذ فترة طويلة، وإنما نُشرت ضمنَ الطبعة المعروفة بـ "الخزائن الروحانية" التي تشتمل على كل ما كتبه عليه السلام بالعربية والفارسية والأردنية. فأمر إمامنا الراحل سيدنا مرزا طاهر أحمد - رحمه الله - الخليفة الرابع لسيدنا أحمد عليه السلام بإخراج الكتب العربية منها بصورة منفصلة. ولما كانت هذه الكتب الخمسة صغيرة الحجم فاستأذنا سيدنا أمير المؤمنين مرزا مسرور أحمد الخليفة الخامس لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بنشرها ضمن مجلد واحد، فوافق حضرته على ذلك.

وثمة أمور أخرى لا بد من التنويه إليها، وهي:

١ - لقد اعتمدنا في إخراج هذا المجلد على الطبعة الأولى الصادرة في زمن سيدنا أحمد عليه السلام عام ١٨٩٣م، والمحفوظة حاليًا في مكتبة "الخلافة" المكتبة المركزية للجماعة بربوة، باكستان.

- ٢- ثمة هوامش وضعها سيدنا أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنفسه، وكتب - عادةً - عند نهايتها: "منه" أي من المؤلف.
- ٣- وهناك هوامش أخرى قد أضافتها اللجنة العاملة على إخراج هذه الطبعة، وقد مُيّزت عن الهوامش الأصلية بالخط المائل.
- ٤- إن تشكيل الكلمات قد تم بحسب الطبعة الأولى، إلا فيما شذ وندر.
- ٥- كما أن سور وأرقام الآيات القرآنية لم ترد في الأصل بل أضيفت من قبل الناشر في الهامش. علمًا أن أرقامها تبدأ باعتبار البسملة آية أولى من كل سورة.

مهلاً أيها القارئ العزيز!

لقد ورد في هذه الكتب كلمات وتعابير قد تبدو لأول وهلة غريبةً لقارئ العربية المعاصر، ولكنها من صميم العربية، كما سيتضح لاحقًا من خلال الشواهد التي سقناها من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وكتب التراث. ولربما كان المسيح الموعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قد استخدمها ليُظهر بعض ما حباه الله به من كنوز هذه اللغة المقدسة، إفحامًا للمشايع الذين نعتوه بالجهل التام بهذه اللغة المباركة. ومن هذه التعابير والأساليب على سبيل المثال لا الحصر:

أولاً: تركُّ ظاهر اللفظ وحمله على المعنى، وهو كثير، كقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- "البغيتين الزانيتين الميتين" (ص ١٠٠)

فاستخدم هنا "الميت" بمعنى الميتة، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم منها قول الله تعالى:

- ﴿بلدة ميتا﴾ (الفرقان: ٢٦)

- ﴿تلك القرى أهلكتناهم لما ظلموا﴾ (الكهف: ٦٠)

ويقول الثعالبي: "من سنن العرب ترك حكم ظاهر اللفظ وحمله على معناه كما يقولون: ثلاثة أنفوس، والنفوس مؤنثة، وإنما حملوه على معنى الإنسان أو معنى الشخص.... وقال الله ﷻ ﴿السماء منفطر به﴾ فذكر السماء وهي مؤنثة، لأنه حمل الكلام على السقف". (فقه اللغة وأسرار العربية ص ٣٦٨ و ٣٦٩، المطبعة العصرية، بيروت ١٩٩٩)

ونقل السيوطي عن خصائص ابن جني: "اعلم أن هذا النوع غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح، وقد ورد به القرآن وفصيح الكلام مثورا أو منظوما، كتأنيث المذكر وتذكير المؤنث وتصور معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد. فمن تذكير المؤنث قوله ﷻ ﴿فلما رأى الشمس بازغة﴾ قال هذا ربي... أي هذا الشخص (أو الجرم)". (الأشباه والنظائر في النحو، للسيوطي، الجزء الثاني، ص ١٠٢ الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥).

ثانيا: إضافة الشيء إلى نفسه كقوله: "وسخر بوم ليلة الليلاء من

الدرّة البيضاء". (ص ١٥٢)

ومثل هذا الاستخدام معروف في القرآن الكريم وكتب اللغة ك ﴿حب الحصيد﴾ و ﴿دار الآخرة﴾ و "مسجد الجامع" وغيرها.

ثالثا: ورود إعراب بعض الأسماء على عكس ما هو المؤلف عادة،

كقوله ﷻ: "ومن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان". (ص ٥٣)

ورد في "موسوعة الصرف والنحو":

من العرب من يقول في "أب" و "أخ" و "حم": هذا أبك، ورأيتُ
أبك، ومررتُ بأبك. أي إنه يعربها بحركات ظاهرة... ومنهم من يلزمها
الألف في حالات الإعراب الثلاث، ويعربها إعراب الاسم المقصور بحركات
مقدرة على الألف سواء أضيفت أو لم تُضَفْ، نحو: "جاء أبًا" و
"شاهدتُ أبًا" و "مررتُ بِأبًا" ومنه قول الشاعر:

إن أباه وأبا أباه قد بلغا في المجد غايتها

(موسوعة الصرف والنحو للدكتور إميل بديع يعقوب، الأسماء الستة، ص ٨١، دار
العلم للملأين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٤)

ولا يسعنا هنا إلا أن نشكر ونطلب الدعاء لإخواننا الذين ساهموا في
إخراج هذه الكتب القيمة، وهم الأساتذة الأفاضل: مصطفى ثابت، تميم
أبو دقة، جمال أغزول، سيد عبد الحي شاه، جميل الرحمن رفيق، مبشر
أحمد كاهلون، مرزا محمد الدين ناز، رانا تصور أحمد خان، الحافظ مظفر
أحمد، مقبول أحمد ظفر، رفيق أحمد ناصر، عبد الرزاق فراز، عبد المجيد
عامر، محمد طاهر نديم، وعبد المؤمن طاهر. جزاهم الله أحسن الجزاء،
أمين.

الناشر

تَعَفُّةٌ يَفْعُو

رسالة كفر بالله

ولا تقولوا لمن أتق الله مسلماً لم يستم منا وما كان الله
ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا
وتنقوا فلنم أجبر عظيمه

سنة ١٣٤٤ هـ
في شهر المحرم

طبع في مطبع بنجاب برينسيال كوث

بإمارة المشيخ غلام قادر الفصيح

مال المطبع

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فإني رأيت في هذه الأيام اشتهاً ومكتوباً أرسل إليّ السيد عبد الرازق القادري البغدادي من حيدرآباد دكن. فلما قرأت الاشتهار إذا هو من أخ مؤمن يخوّفني كما يخوّف الملوك المقتدر المرتد الكافر الفجّار، ويسئل لقتلي السيف البتار، وقد صال عليّ كرجل يهجم على رجل، فزفر زفرة القيظ، وكاد يتميّز من الغيظ، ونظر إليّ كالمحملين.

ورأيت أنه ما مسّ وسائل العرفان، وما دنا أواصر تحقيق البيان، وكفّرني وسبني، وحسبني من الذين كفروا أو ارتدوا، فأراد أن يكون أوّل اللاعنين والقاتلين. وإنه قد فتن قلوب بعض الناس، وأدناهم من شر الوسواس، فسنح لي أن أكتب في هذه الرسالة ما ينفعه وينفع عرب الحرمين ويسر الناظرين. فالآن نكتب أولاً اشتهاً ومكتوبه، ثم نكتب جوابه ونهدب أسلوبه.

فأيها القارئ! انظر فيه بنظر الوداد، زادك الله في الصلاح والسداد، وهنيت بما أوتيت، ومليت بما أوليت، وما توفيتي إلا بالله النصير المعين.

الاشتهار من السيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وحزبه، وبعد:

فمما لا يخفى على أساطين الدين المتين، وعلماء أئمة المسلمين، ما ظهر ظهور الشمس، وما بان بيان الأمس، من خرافات وكفريات المرزا غلام أحمد القادياني البنجابي، وما ادّعا من أنه المسيح بن مريم، وأنه يُلقى إليه الإلهامات من حضرة الحق ﷺ، ويُوحى إليه ويُكلمه كفاً ويُخطبه شفاهاً، وأن الله أرسله لكسر الصليب وقتل الخنزير وإقامة الحدود الشرعية، والله تعالى يُخطبه ويُناجيه بقوله: يا عيسى بن مريم إني أرسلتك للناس كافةً فاصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين، وأن بيعته حق، وأن عيسى عليه السلام توقاه الله وليس بحجّي، وأنه هو عيسى بذاته، وغير ذلك مما ترتج منه الأضالع، وتستك منه المسامع، كما رأيت مسطوراً في كتابه المسمى بمروة كمالات الإسلام، الذي عارض به القرآن، وهتك به شريعة سيّد وُلدِ عدنان، علاوة على ما ذكره في كتبه السابقة، من أساطيره الكاذبة. وهذا مما لا يطيق الصبر عليه إلا من طمس الله بصره وطبع على بصيرته.

والعجب العجاب أن في ديار الهند عامّة، وفي رئاسة حيدر آباد خاصّة، من فحول العلماء وأشبال الفضلاء ما يضيق عن كثرتهم نطاق

الحصر، هذا مع كونهم علموا واطَّلَعُوا على شقاشق ذلك الدجال المضلّ الضالّ البطال، الذي لا يُطَهِّره في الدنيا إلا السيف البتار، ولا في الآخرة إلا النار، فلم أرَ مَنْ شَمَّرَ عن ساعدِ جِدِّه، وأزوى في مجال ميدان الحق فِرْنَدَه، وكَفَّحه بصارمِ هَمَّتِه وبيانه، وطعنه بسنانِ قلمه وتبيانه، وردَّ أقواله، وأوقفه على شَوْمِ أفعاله، وأنقذ عباد الله المؤمنين من شر فتنته، ونصر دين رسول الله ﷺ وشريعته. فوا أسفاه! ووا أسفاه! ثم وا أسفاه، على أهل همة البطون، إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وحيث إنني اطَّلعت على كل صفحات كتاب ذلك الضال، المسوخ الدجال، وما هتَكَ به شريعة سيِّد الأنام، وما تعدَّى بالازدراء على سيدنا عيسى عليه السلام، ووقفتُ على تمام عباراته التي لا يتفوّه بها إلا كل مخذول، أو زنديقاً شاكاً في رسالة الرسول، مع تناقض أقواله عن بعضها بعض، التزمت، وبالله أستعين، إذ هو الناصر والمعين، أن أردّ كتابه حرفاً بحرف، وصفاً بصفٍ، بكتاب أسميه "كشف الضلال والظلام عن مرآة كمالات الإسلام"، ردّاً يسرّ إن شاء الله نظر الناظر، ويشرح بفضل الله القلب والخواطر.

ثم عزمت أن أرسل كتاب المردود عليه إلى العراق وبغداد، ليحكمون* العلماء الأعلام على مُصنِّفه كونه من أهل الزيغ والإلحاد، فأكون إن شاء الله السبب الأقوى لحسم مادة هذا الفساد، وجلاء تلك

* هكذا في اشتهاار البغدادى. (الناشر)

العمّة المدلهمة عن سائر العباد، خدمةً مني للشريعة الأحمدية، وغيرهً على ناموس الملة المحمدية. وأؤمل، والأمل بالله قوي، أن يكون إكمال هذا الردّ على المردود بظرف ثلاثة أشهر، فوجب أولاً شهرُ الحال بوجه الاشتهار لكافة من وقف عليه، أن يعلموا علمًا يقينًا لا مريبة فيه من أن هذا الممسوخ وأمثاله يُطلق عليهم قول النبي ﷺ دجالون كذابون يأتونكم بالأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فياياكم وإياهم، لا يُضللونكم ولا يفتنونكم. هذا والله الهادي إلى سواء السبيل، فهو حسبنا ونعم الوكيل فقط.

المشتهر السيد عبد الرزاق القادري النقشبندي الرفاعي البغدادي،
وارد حال بلدة حيدر آباد.

مكتوب السيد البغدادي رحمه الله وهداه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه. الوصية لي وإخواني بتقوى الله من العبد المفتقر إلى رحمة الملك الختان، المدعو بالسيد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، أناله الله شفاعته نبيه الهادي، وحفظه من كيد الشياطين والأعداء، إلى خدمة الأجل والمطاع المبجل العالم الفاضل، والمجتهد الكامل، حلالاً رموز المشكلات بألطف المعاني، وأظرف التصريف والمباني، المولوي مرزا غلام أحمد القادياني، حفظه الله من زلة القدم، وعثرة اللسان والقلم، بحُرمة النبي الأكرم ﷺ، آمين.

أما بعد.. فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا يخفى أنه قد اطلعتُ على كتابكم المسمى بمرآة كمالات الإسلام، وعلمت بما فيه، وأحطت فهمًا بمعانيه وفحاويه، ونكاته ومبانيه، والجواب ما ترى لا ما تسمع، ولو لم تقسمون* على من اطلع على ذلك الكتاب بأن يردّ خطأه، ويوضّح لفظه، لما صرفنا عنان القلم إلى رده. وقد جرت سنة أهل العلم من قديم الزمان وحادثه في الردّ على الباطل، وبالتزييف على العاقل. ولعل وردكم الاشتهار في هذا الباب، فلا تكونوا بالوجل، وارفعوا عنكم نقاب الخجل. فلعل أن لا يتيسر طبع

* هكذا في مكتوب البغدادي. (الناشر)

كتابنا لقرب سفرنا إلى الوطن، لكن أرجو أن تتحفوني بنسخة من
مرآتكم، فإن النسخة التي هي عندي عارية، بشرط أن تُسرعون*
بإرسالها في البريد، والسلام خير الختام.

ملتسمه السيّد عبد الرزاق القادري النقشبندي البغدادي، غفر الله له

مؤرخة ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٠ هـ.

* هكذا في مکتوب البغدادي. (الناشر)

جواب الاشتهار والمكتوب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد سيّد النبيين وخاتم المرسلين، وفخر الأولين والآخريين، ومنبع كل فهم وحزم ونور وهدى وسراج منير للسالكين المتبعين، وعلى آله الهادين، وأصحابه الذين شادوا الدين، وعلى كل من تبعه من الأولياء والشهداء والصلحاء أجمعين.

السّلام عليكم، أيها الصلحاء المعزّرون الموقّرون المعظّمون، من إخوانكم المحقّرين المكفّرين المطرودين المهجورين.

وبعد.. فإنه قد بلغني مكتوبك واشتهارك يا أخي بقريتي "قاديان"، فأشكرك وأدعو لك، فإنك ذكّرتني وذاكرتني سبلاً تحسبها مستقيمة، ولؤمتني غيرةً على دين الله ورسوله كالمغضبين، فجزاك الله أحسن الجزاء، وأحسن إليك وهو خير المحسنين. وأرى أنّك رجل صالح طيّب، فإنك ما صبرت على ما حاك في صدرك، ولم تأل نُصْحًا ولم تداهن قولاً، وكذلك سيّر الصالحين.

ولكن.. أيها الخِلُّ الودود، والحِبُّ المودود! عفا الله عنك، قد استعجلت وحسبت أخاك المؤمن بالله ورسوله وكتابه مرتدًا ومن الكافرين. ولؤمتني ورميتني بالسّهام قبل أن تُفتّش حقيقة الأمر وتفهم سرّ الكلام، أو تستفسر مني كدأب المحققين. والعجب منك.. ومن

مثلك رجل صالح، تقيّ نقيّ، حلیم كريم.. أنك تكتب في اشتهاك أن
جزاء هذا الرجل المرتد أن يُقتل بالسيف البتار، أو يلقى في النار، كما
هو جزاء المرتدين.

أيها الأخ الصالح! أسرك الله ورعاك، وحفظك وحماك، وفتح عينك
وهذاك، لا تخوّفني من سيفٍ بتارٍ ولا زُمح ولا نار، وقد قُتلنا قبل سيفك
بسيفٍ لا تعلمه، ودُقنا طعم نارٍ لا تعرفها، وإنّا إن شاء الله بعد ذلك
من المنعمين.

أيها العزيز! إن الذين أخلصوا قلوبهم لله، وأسلموا وجوههم لله،
وشربوا كأساً من حُبِّ الله، فلا يضيّعهم الله ربّهم، ولا يتركهم مولاهم،
ولو عاداهم كلّ ورق الأشجار، وكل قطرة البحار، وكل ذرة الأحجار،
وكلّ ما في العالمين. بل الذين يطيعونه ولا يبتغون إلا مرضاته، هم قوم
لا يحزنهم إلا فراقه، وإذا وجدوا ما ابتغوا فلا يبقى لهم همٌّ ولا غمٌّ بعد
ذلك ولو قُتلوا وأُحرقوا، ولا يضرّهم سبُّ قوم ولا لعنٌ فرقة، ويجعل الله
كلّ لعنةٍ بركةً عليهم، وكلّ سبٍّ رحمةً في حقهم. ألا يعلم ربنا ما في
صدورنا؟ أنت أعلم منه؟ فلا تكن من المستعجلين.

يا أخي! ما تركتُ السبيل، وما عاصيتُ الربّ الجليل، وليس كتابنا
إلا الفرقان الكريم، وليس نبينا ومحبوبنا إلا المصطفى الرحيم، ولعنة الله
على الذين يخرجون عن دينه مثقال ذرّة، فهم يدخلون جهنم ملعونين.
ولكن يا أخي.. إن في كتاب الله نكاتاً ومعارف لا يزاحمها عقيدة ولا

يناقضها حكمٌ، ولا يُلقاها من الأمم إلا الذي وجد وقت ظهورها، وكان من المنقطعين المبعوثين. والله أسرارٌ وأسرارٌ وراء أسرارٍ لا تطلع نجومها إلا في وقتها، فلا تجادل الله في أسراره. أتجترئ على ربك وتقول لما فعلت كذا ولم ما فعلت كذا؟

يا أَخِي! فَوْضُ غَيْبِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَدْخُلْ فِي غِيوبِهِ، وَلَا تَزَخِّ دَقَائِقَ الْمَعَارِفِ الَّتِي دَقَّ مَأْخِذُهَا فِي ظَوَاهِرِ الشَّرْعِ، وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، وَثَبَّتْ نَفْسُكَ عَلَى سَبِيلِ الْمُتَّقِينَ. مَا كَانَ إِيمَانُ الْأَخْيَارِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ بِنُزُولِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا إِجْمَالِيًّا، وَكَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالنُّزُولِ مَجْمَلًا، وَيَفُوضُونَ تَفَاصِيلَهَا إِلَى اللَّهِ خَالِقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ. وَكَيْفَ يَجُوزُ نَزُولُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ، وَاللَّهُ قَدْ أَخْبَرَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ أَنَّهُ تُوفِّي وَمَاتَ؟

وقال: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ فِي الْكِتَابِ﴾ *

وقال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ ○

وقال: ﴿فَيَمْسُكَ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ *

وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَيَّ قَرْيَةٌ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ *

* آل عمران: ٥٦ ○ المائدة: ١١٨ * الزمر: ٤٣ * الأنبياء: ٩٦

وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ ❖

يعني ماتوا كلهم كما استدل به الصديق الأكبر عند وفاة النبي ﷺ، فما بقي شك بعد ذلك في وفاة المسيح وامتناع رجوعه إن كنتم بالله وآياته مؤمنين. وقد ختم الله برسولنا النبيين، وقد انقطع وحي النبوة، فكيف يجيء المسيح ولا نبي بعد رسولنا؟ أيجيء معطلاً من النبوة كالمعزولين؟ وقد بشرنا رسول الله ﷺ أن المسيح الآتي يظهر من أمته وهو أحد من المسلمين. وفي الصحاح أحاديث صحيحة مرفوعة متصلة شاهدة على وفاة عيسى عليه السلام، خصوصاً في البخاري بيان مصرح في هذا الأمر. فالعجب كل العجب على فهم رجل يشك في وفاته بعد كتاب الله ورسوله ويتذبذب كالمترابين. وبأي حديث بعد الله وآياته نترك متواترات القرآن؟ أنؤثر الشك على اليقين؟

والقوم لا يتفق على صعود المسيح حيّاً إلى السماء، بل لهم آراء شتى، بعضهم يقول بالوفاة وبعضهم بالحياة. ولن تجد من النصوص الفرقانية والأحاديث النبوية دليلاً على حياته، بل تسمع من الأخبار والآثار ومن كل جهة نعي الموت. وقد تُوّي رسولنا ﷺ، أهو خير منه، أم هو ليس من الفانين؟ وراه رسول الله ﷺ في ليلة المعراج في الموتى من الأنبياء عليهم السلام، أفتظن أن رسول الله ﷺ أخطأ في رؤيته، أو قال ما يخالف الحق؟ حاشا.. بل إنه أصدق الصادقين.

فهذا هو السبب الذي أجبنا إلى اعتراف وفاة المسيح، وشهد عليه إلهامي المتواتر المتتابع من الله تعالى. وما نرى في هذه العقيدة مخالفة بقول رسول الله ﷺ ولا بعقيدة الصحابة ولا التابعين. والصحابة كلهم كانوا يؤمنون بوفاة المسيح، وكذلك الذين جاؤوا بعدهم من عباد الله المتبصرين. ألا تنظر صحيح البخاري كيف فسّر فيه عبد الله بن عباس رضي الله عنه آية: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ زِينَتَكَ وَارْجِعْ إِلَىٰ آلِكَ بِطَرِيقٍ يَمُوسَىٰ﴾، فقال: متوفيك: ميثك. وأشار الإمام البخاري إلى صحّة هذا القول بإيراده آية: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في غير محلّه، وهذه عادة البخاري عند الاجتهاد وإظهار مذهبه كما لا يخفى على الماهرين.

أيها الأخ الصالح! انظر كيف أشار البخاري - رحمه الله - إلى مذهبه بجمع الآيتين في غير المحلّ وإراءة تظاهرها. واعترف بأن المسيح قد مات، فتدبّر فإن الله يحب المتدبّرين. وما كان لي منفعة وراحة في ترك كتاب الله وسنن رسوله وحمل أوزار خسران الدنيا والآخرة، وسماع لعن اللاعنين.

أيها الأخ الكريم! للحقُّ أحقُّ أن يُتبع، والصدق حقيق بأن يُقبل ويُستمع، ويد الحق تصدع رداء الشك، والحق هو الجوهر الذي يظهر عند السبك، ويتلأأ في وقته الذي قدر الله له، ولكل نبأ مستقرّ، ولكل نجم مطلع، ولا تُعرف الأسرار إلا بعد وقوعها. فطوبى لمن فهم هذا السر

وأدرك الأمر كالعاقلين. وإني أتيقن أن مثلك.. مع كمال فضلك وتقواك.. لو كان مُطَّلَعًا على معارف اطلَّعتُ عليها لكفَّ لسانه من لعني وطعني، ولَقَبِلَ ما قلتُ من معارف المَلَّةِ والدِّين، ولكني أظنُّك ما فهمتَ حقيقة مقالي، وما علمتَ صورة محالي، وما ظني فيك إلا الخير، وأسأل الله لك فضله ورحمته وهو أرحم الرَّاحمين.

يا فُرَّةَ أرضٍ مباركةٍ وسُلالةَ أهلها! أنت بحمد الله تقيّ ونقيّ وزكيّ، وإني أحبُّك وأصافيك كالمخلصين. وأوتيك موثِّقًا من الله على أي أوافقك وأقبل قولك، إن تُرِنِي آياتِ الفرقانِ على صحة زعمك، وتأتيني بسُلطان مبين. وما أبتغي إلا الحق، وقد شققتُ عصا الشقاق، وارتضعتُ أفويق الوفاق، فجادلني بالحكمة وآيات كتاب الله السَّبَّاق، وستجدني إن شاء الله من المنصفين. وإن كنت أن • تشتهي أن تسبني أو تلعني أو تكذبني أو تقتلني بسيف بئار أو تلقيني في نارٍ، فاصنع ما شئت، وما أُرِدُّ عليك إلا دعاء الخير والعافية. يا أهل البيت.. يرحمكم الله في الدنيا والآخرة، وآواكم في المرحومين.

أيها الشيخ! دع النزاع، وما ينبغي النزاع، فاتق الله وأدرك فرصة لا تُضاع، وارتحلْ إليّ رحلة الصادق المجدِّ، وسِرْ نحوي سير المجدِّ، وتفضَّلْ وتجنَّسْ إلى بيتي، وكُلْ إلى شهرين من قرصي وزيتي، سيُريك الله حالاً لا ينكشف عن يد غيري من أهل البلدان وجوّابتها، ولا من تأليفات

• هكذا ورد في الأصل، والظاهر أن "أن" من خطأ النسخ، والله أعلم. (الناشر)

محدودة البيان، فتعرفني بعين اليقين. وإن تقصدي مُخْلِصًا فأدعو لك في آناء الليل وأطراف النهار، وأرجو أن يطمئن قلبك وأرى آثار الاستجابة، وتنجاب غشاوة الاسترابة، والله قدير ونصير ومُعِين.

أيها الأخ الشريف الصالح! لا تنظُرْ إلى تكفير العلماء وتكذيبهم، فإني أعلم من الله ما لا يعلمون، وقد علمتُ حقيقة الأمر من ربِّي وهم من الغافلين. ولا تنظر إلى ذلتي وهواني، وحقارتي في أعين إخواني، فإن لي من الله تعالى في كل يوم نظرةً. أُقَلِّبُ نحو الشمال ونحو اليمين، وأتقلَّبُ في الحالين بؤس ورُخاء، وأُنقلُّ مع الريحين زرع ورُخاء، والعاقبة خير لي إن شاء الله، وإني من المبشِّرين. اليوم يحقِّرون ويكذِّبون ويكفِّرون، وأراهم عليَّ حريصين لو كانوا قادرين، وسيأتي زمان يظهر صدقي فيه ويُري الله عباده آيات فضله عليَّ، فيجتلون أنوار عناياته ومطارف تفضلاته، فيأتونني مُنكسرين. فطوبى لعين رأني قبل وقتي، وطوبى لسعيد جاءني كالمخلصين.

أيها الشيخ! الوقت قد دنا، ومعظم العمر قد فني، فأُتني على شريطة الصبر والتوقُّف وقبول الهدى، وعُدُّ إلى الحق ودعِ العداء، ولا تنسِ حقك في العقبى، ولا تُبارز المولى، وسارِعْ إليَّ مُرتدعًا، ليغفر لك الله ما سلف وما مضى، وطاوعِ الحق وكن من المطاوعين.

وإن كنت لا تقدر على هذا السفر البعيد، فلك طريق أُخرى. فإن كنت فاعلها.. فأخرجْ أولًا من صدرك كلَّ ما دخل فيه من سوء الظن،

ثم قُمْ وتوضّأ وصلِّ ركعتين، وصلِّ وسلِّمْ واستغفر استغفار التائبين، ثم اضطجع مستقبلاً على مُصلاك، وتخلَّ بمنجاة مولاك، واسأل الله لاستكشاف حالي، وحقيقية مقالي، ثم تمَّ قائلاً: يا خبير أخبرني في أمر أحمد بن غلام مرتضى القادياني، أهو مردودٌ عندك أو مقبول؟ أهو ملعون عندك أو مقرون؟ إنك تعلم ما في قلوب عبادك، ولا تُخطئ عينك، وأنت خير الشاهدين. ربنا آتنا من لدنك علماً جاذباً إلى الحق، ونظراً حافظاً من نقل الخطوات إلى خطط الخطيئات، وأدخلنا في الموققين. ما كان لنا أن نُقدّم بين يديك، أو نتصرّف في سرائر عبادك، ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وافتح عيوننا، ولا تجعلنا من الذين يُعادون أولياءك، أو يحبّون المفسدين. آمين ثم آمين.

واستخرّ يا أخي من جمعة إلى جمعةٍ أخرى، وعقبَ تهجّدك بهذه الركعتين، وأخبرني إذا أردت أن تشرع في هذا لأرافقك في دُعائك، وأدعو لك في ابتغائك، وأرجو أن يسمع ربي ندائي، ويقبل دُعائي، إنه كان بي حفيئاً، وإنه نور عيني وقوة أعضائي، والله إني لمن المقبلين.

أيها العزيز! أراك فتىً صالحاً، فأرجو أن تقبل ما قُلْتُ لك، وأرجو أن تُدرك رِقّةً على دين سيّدي وسيّدك وجدك ﷺ، وتسلك مسلك العارفين.

تَدكّر يا أخي يوم التنادي وثبّ قبل الرحيل إلى المعادِ
فأخرج كلّ حقدك من جنانِ ورزّك النفس من سمّ العنادِ

وَحَفَّ قَهْرُ الْمُهَيْمِنِ عِنْدَ ذَنْبٍ
 وَأُقْسِمُ أَنِّي يَا ابْنَ الْكِرَامِ
 وَقَدْ أُعْطِيتُ عِلْمًا بَعْدَ عِلْمٍ
 وَحِجِّي كُلِّ حِينٍ يَجْتَبِينِي
 فَمَا أَشْقَى بَلْعَنِ اللَّاعِنِينَا
 وَكَأْسٍ قَدْ شَرَبْنَا فِي وَهَادٍ
 وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ مَوْتِي وَقَتْلِي
 وَأَثْرُنَا الْحَبِيبِ عَلَى حَيَاةٍ
 وَمَا الْخُسْرَانُ فِي مَوْتٍ بِتَقْوَى
 وَإِنِّي قَدْ خَرَجْتُ إِلَى ذُكَاةٍ
 بِحَمْدِ اللَّهِ إِنْ الْحَبِّ مَعْنَا
 وَيَدِينِي بِحَضْرَتِهِ بِلَطْفٍ
 وَإِنَّ هِدَايَةَ الْفِرْقَانِ دِينِي
 فَفُئِمُّ إِنْ شِئْتُ كَالْأَحْبَابِ طَوْعًا
 وَقَدْ بَارَى الْعَدُوَّ بِعِزِّ حَرْبٍ
 وَكَانَ نَصِيحَةَ اللَّهِ فَرَضِي
 أَيُّهَا الْأَخُ الْعَزِيزُ! مَا جِئْتُ كَطَارِقِ لَيْلٍ، أَوْ غَثَاءِ سَيْلٍ، إِنْ جِئْتُ إِلَّا
 فِي وَقْتِ الضَّرُورَةِ وَعَلَى رَأْسِ الْمِائَةِ، وَجَعَلَنِي اللَّهُ لَهُدَى الْمِائَةِ مَجْدِدًا لِأَجْدَدِ

وَقَفْتُ ثُمَّ انْتَهَجْتُ سَبِيلَ الرِّشَادِ
 لَقَدْ أُرْسِلْتُ مِنْ رَبِّ الْعِبَادِ
 وَكَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ مِنْ جَوَادِي
 وَيُدِينُنِي وَيُعْطِينِي مِرَادِي
 وَصَدَقِي سَوْفَ يَذْكَرُ فِي الْبِلَادِ
 وَأُخْرَى نَشْرَبُنْ فَوْقَ الْمَصَادِ
 إِذَا مَا كَانَ مَوْتِي فِي الْجِهَادِ
 وَقَمْنَا لِلشَّهَادَةِ بِالْعِتَادِ
 وَخَسِرُ الْمَرْءُ فِي سَبِيلِ الْفَسَادِ
 فَفَارَتْ عَيْنٌ نُورٍ مِنْ فَوْادِي
 وَمَا يَرْمِي مَتَاعِي بِالْكَسَادِ
 وَيَسْقِينِي مَدَامَ الْاِتِّحَادِ
 وَأَدْعُوكُمْ إِلَى نَهْجِ السَّدَادِ
 وَإِمَا شِئْتُ فَاجْلِسْ فِي الْأَعَادِي
 وَبَارِزْنَا، فَيَا قَوْمِي.. بَدَادِ
 فَقَدْ بَلَّغْتُ فَرَضِي بِالْوُدَادِ

الدين، وقد جاء في الأخبار الصحيحة أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة من يجدد دينها، فتحسّس.. من مجدّد هذه المائة؟ وتفكّر فإن الله يؤيّد المتفكرين.

وقد جاء في أخبار أخرى أن رسول الله ﷺ لما تُوفي صحت * الأرض فقالت: يا رب بقيت خالية إلى يوم القيامة من أقدام الأنبياء صلاة الله عليهم أجمعين. فأوحى الله تعالى إليها وقال: إني أخلق عليك أناساً قلوبهم كقلوب الأنبياء، منهم الأقطاب، ومنهم الأبدال، ومنهم الغوث، ومنهم دون ذلك، وكلّ من المكلمين الملمّمين، ومنهم من يكون قلبه كقلب نوح وإبراهيم وموسى، ومنهم الذي كان قلبه كقلب عيسى، ويحيئون على أقدام النبيين.

فانظر، يا أخي، آثار رحمة الله كيف أكرم هذه الأمة وجعلهم بأنبياء بني إسرائيل مُشابهين. وإن تعجب فعجبٌ قول الذين يقولون: كيف جاء مثل المسيح.. وإن هذه إلا كلمة الكفر؟ ولا ينظرون إلى ما قال الله ورسوله، ولا يتفكرون في الآيات والآثار ويعيشون كالنائمين.

يا أخي، انظر في البخاري وغيره من الصحاح، كيف بشر نبينا ورسولنا ﷺ وقال: إنه سيكون في أمته قوم يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء ويُسمّون محدّثين. وقال الله جلّ شأنه ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِّنْ

* يبدو أنه سهو والصحيح "صيّحت" أو "صاحت" بمعنى صوتت ونادت أو ضجّت.
(الناشر)

الآخِرِينَ ﴿٥﴾، وحثَّ عباده على دعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *﴾
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٦﴾، فما معنى الدعاء لو كُنَّا من المحرومين؟
وأنت تعلم أن الذين أنعم الله عليهم أولاً هم الأنبياء والرسل، وما كان
الإِنعام من قسم درهم ودينار، بل من قسم علوم ومعارف، ونزول بركاتٍ
وأنوار، كما تَقَرَّرَ عند العارفين.

وإذا أمرنا بهذه الدعاء في كل صلاة فما أمرنا ربُّنا إلا لِيُستجاب
دعائنا، ونُعطَى ما أُعطي من الإِنعامات للمرسلين. وقد بشرنا - عز
اسمه - بعبء إِنعاماتٍ أنعم على الأنبياء والرُّسل من قبلنا وجعلنا لهم
وارثين. فكيف نكفر بهذه الإِنعامات ونكون كقوم عمين؟ وكيف يمكن
أن يُخلف الله مواعيده بعد توكيدها ويجعلنا من المخيِّين؟

أنت تعلم يا أخي أن سراة المُنعَمين عليهم هم الأنبياء والرسل، وقد
بشرنا الله بعبء هُداهم وبصيرتهم الكاملة التي لا تحصل إلا بعد مكاملة
الله تعالى أو رؤية آياته. عفا الله عنك.. كيف زعمت أن أولياء الله
محرومون من مُكاملة الله ومخاطباته وليسوا من المكلِّمين؟

يا أخي أنت تعلم أن كتب القوم مملوءة من ذكر مكالمات الله بأوليائه،
ومخاطبات حضرة الحق بعباده المقربين، وهو الكريم الذي يُلقي الروح
على من يشاء من عباده ويزيد من يشاء في الإيمان واليقين. أما قرأت
في "فتوح الغيب" الذي لسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمته الله كيف

ذكر حقيقة المكالمات؟ وقال: إن الله تعالى يكلم أوليائه بكلام بليغ لذيد، وينبئهم من أسرار، ويخبرهم من أخبار، ويعطيهم علم الأنبياء، ونور الأنبياء، وبصيرة الأنبياء، ومعجزات الأنبياء، ولكن وراثته لا أصالة، ويجعلهم متصرفين في الأرض والسموات وفي جميع ملكوت الله. فانظر إلى مراتبهم ولا تتعجب، فإن الله فياض يعطي عباده ما يشاء وليس بضنين.

والله قص علينا قصص الملهمين في كتابه العزيز، وأنبأنا أنه كلم أم موسى عليها السلام، وكلم ذا القرنين، وكلم الحواريين. وما كان أحد منهم نبياً ولا رسولاً، ولكن كانوا من عباده المحبوبين. أليس من أعجب العجائب أن يكلم الله نساء بني إسرائيل ويعطيهن عزة مكالماته وشرف مخاطباته، وما يعطي لرجال هذه الأمة نصيباً منها وهي أمة خير المرسلين؟ وقد سماها خير الأمم.. وختم بها الأمم كلها، وقال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^٥، يعني فيها كثير من المكملات والمكملين.

وأنت ترى يا أخي.. عافاك الله في الدارين.. كيف اشتدت الحاجة في هذه الأيام إلى ظهور مجدد يؤيد الدين، ويقوم البراهين، ويرجم الشياطين. ألا ترى أن الضلالة قد غلبت، وغارات الكافرين عمّت وأحاطت، وكم من أمم تبّت وهلكت؟ ألا تنظر هذه المفاسد؟ ألسنت من المتألمين على مصائب الإسلام؟ ألم تأتكم أخبارها أو أنت من الغافلين؟ أما تكاثرت فتن الكفار؟ أما جاء وقت ظهور الآثار؟ أما

عمّت الفتن في البراري والبلاد والديار؟ أما جاء وقت رحمة أرحم
الراحمين؟ أما عنّ لنا في زمننا هذا قبْلُ الذياب، في ليلة فتيّة الشباب،
عُدافية الإهاب، وصرنا كالمحصورين؟

أنظُرْ يا أخي كيف أحاط بالناس ظلام وظلم ومظلمة، وحُوفنا من
كلّ طرف بأنواع النباح، وارتفعت الأصوات بالأرنان والنياح، وضربت
علينا المسكنة بالاكساح، وصال الكُفار كالحين المحتاح، وعفّت آثار
التقوى والصلاح، وصبّت علينا مصائب لو صبّت على الجبال لدكّتها
وكسّرتها كالرداح، وامتألت الأرض شرّكًا وكذبا وزورًا ومن الأفعال القباح،
وتراءت صفوف الطالحين.

وكنت أبكي بكاء الماخض على ضعف الإسلام في تلك الأيام،
وأرى مسالك الهلّك، وأنظر إلى عون الله العلام، فإذا العناية تراءت
وهبّت نسيم ألطاف الله القسّام، وبُشِّرْتُ بأعلى مراتب الإلهام، وأصفي
كأس المدام، كما تُبشّرُ الحامل عند مخاضها بالغلام، فصرت من
المسرورين. فأمرتُ أن أُفَرِّقَ خيرِي على رِفقتي، وكان على الله ثقتي،
فكفروني ولعنوا وسبّوا وأضروا بي الخطوب وألبوا، وأوذيت من ألسنة
القاطنين والمتعزّبين.

ورأيت أكثر العلماء أسارى في أيدي أنفسهم وأهوائهم، ورأيتهم
كغلام عليه سمل، وفي مشيه قزل، وفي آذانه وقْر، وعلى عينه غشاوة،
وفي قلبه مرض، وهو كلُّ على مولاه، وليس فيه خير يسرّ المشتريين.

يُظهرون على الإخوان شِباءة* اعتدائهم، وينسون صولة أعدائهم، وأرى قلوبهم مائلة إلى الصِّلات لا إلى الصَّلَاة، ويستعجلون للاستهداء لا للاستهداء، ويؤثِّرون ثوب الخيلاء على ثواب مواساة الأخلاء، ويأبرون إخوانهم كالعقارب، ولو كانوا من الأقارب، لا يخافون رب الأرباب، ولا يتَّقونه في أساليب الاكتساب، ويسعون إلى باب الأمراء، وينسون حضرة الكبرياء، ثم يكفِّرون إخوانهم ويحسبون أنهم من المحسنين.

والذين يؤثِّرون الله على نفوسهم وأعراضهم وأموالهم لا يضرهم إكفار المكفرين ولا تكذيب المكذبين. أليس الله بكاف عبده؟ ومن يُصافي مثله بالمصافين؟ سبقت رحمته حسنات العاملين، ولا يضع فضله سعي المجاهدين.

أيها الأخ المكرّم! ارفق فإن الرفق رأس الخيرات، ومن علامات الصالحين. وعليك أن تعرّض عليّ شُبّهاتك لكي أعطيك ما فاتك، وستجدني إن شاء الله صديقاً صادقاً ورفيق الطريق كالخادمين. وقد أعطاني الله من لدنه قوة فأدرأُ بها عن قلوب الناس شبهة، وفتح عليّ أبواب تعليم الخلق وإتمام الحجّة وإراءة الحق، وإني من فضله لمن المؤيِّدين. ولكن الذين لا يبتغون الحق فهم لا يعرفونني، وقد رأوا آيات من الله تعالى ثم هم من المنكرين. يضلّون ويسبّون ويحْمَلِقون وكادوا يتميِّزون من الغيظ، ولا يفكِّرون كالمسترشدين. ووالله إني صادق ولست من

* هكذا ورد في الأصل وربما هو سهو من الناسخ، والصحيح: شِباءة، وهي إبرة العقرب وحُدّ كل شيء. (الناشر)

المفترين. ووالله إني لست خاطب الدنيا الدنيّة وجيفتها، فيا حسرة على
الظّانين ظنّ السوء، ويا حسرة على المسرفين!

إنما مثلي كمثلي رجل آثر حبّاً على كل شيء، وتبتلّ إليه وسعى في
ميادين الاقتراب، واقتعد للقائه غارب الاغتراب، وترك تراب الوطن
وصحبة الأتراب، وقصد مدينة حبيبه وذهب، وترك لحبّه البيت والفضة
والذهب، وترك النفس لمحبوبه حتى صار كالفانين. وبعزة الله وجلاله إني
آثرت وجه ربّي على كل وجه، وبابه على كل باب، ورضاه على كل
رضاء. وبعزته إنه معي في كل وقتي، وأنا معه في كل حين. وآثرت دولة
الدين وهي تكفييني، ولو لم يكن حبّة لتجهيزي وتكفييني. وإني منعم مع
يد الإملاق، وفارغ من الأنفس والآفاق، وشغفني ربي حبّاً، وأشرب في
قلبي وجهه، وأنا منه بمنزلة لا يعلمها أحد من العالمين.

أيها العزيز! كان بعض الأسرار في أوائل الزمان مستورا، وكذلك كان
قدرا مقدورا، ثم في زماننا تبيّن القضاء وبرح الخفاء، وظهر خطأ
العاسفين. وكذلك فعل ربنا ليقيم المتكبرين من علماء السوء وليظهر
قدرته على رغم أنف المتعصّبين. وإن مثل نزول المسيح كمثلي نزول إيليا
قد وعد الله لنزوله، ثم جاء يحيى مقامه، إنّ في ذلك هُدًى للمتفكرين.
وإن كنت لا تعلم فاسأل اليهود والنصارى، وقد تواترت هذه القصة
عندهم وما اختلف فيها اثنان، ففتش ولا تكن من المتعاسين.

أيها الأخ العزيز! إن قصة إيليا من المتواترات القطعية اليقينية في أهل
الكتاب، وكشف الله تلك الحقيقة على أنبيائهم، فبهدهم اقتدّه ولا تكن

من المبدعين. ثم اعلم أننا قد اعتصمنا وتمسكنا بمثال قد انجلي من قبل، ولا مثال لكم، فأبي فريق أحقّ بالأمن؟ فلا تجترئوا على المحدثات واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون سنن الله إن كنتم من الطالبين. وإنّا أريناكم سنّة الله في الذين خلوا من قبلكم، وما بيّنتم من سنّة على دعواكم، ولن تجدوا لسُنن الله تبديلاً، فلا تُخالفوا كالمجترئين.

وأنتم تعلمون أن الله قد ردّ على أقوالكم في كتابه، وذكر موت المسيح بلفظ التوفّي كما ذكر موت نبيّنا بذلك اللفظ، فأنتم تؤوّلون ذلك اللفظ في المسيح، وأما في سيدنا فلا تؤوّلونه، فتلك إذاً قسمة ضيزى وخيانة في دين الله، ولكنكم لا تتقونه، ولا تجيئون تدبّراً بل تذرقون كطائر في وقت طيرانه ولا تنزلون لتصفية، ولا تخافون حبّض قياس الصادقين. وإن كنتم على حق مبين فلم لا تأتونني بأية شاهدة على حياة المسيح ونزوله وعلى سنّة خلت من قبل؟ وكيف نقبل بدّعاتكم التي تُخالف كتاب الله وسُنن رسوله وسُنن الصادقين الذين خلوا من قبل؟ أنقبل قولكم ونذر قول أصدق المعلمين؟

فأيها الشيخ الصالح! لا تكذبوا آيات الله، ولا تغمطوا نِعَمَه بعد نزولها، ولا تزدهوا المأمورين. وإن الذين يُنوّرون من نور ربه لا يخافون أحداً إلا الله، فلا تُسمّ أحداً منهم وجلاً ولا خجلاً، ولا تبارز الله ولا تجترئ على رب السماوات والأرض، ولا تقفُ ظنوناً لا تعلم حقيقتها، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً، فيظهر الحق وتكون من المتندّمين. إنك كاذباً فعليّ وبال كذبي، وإن أك صادقا فالله يعينني وينصرني ويُرِي

الخلق صدقي ونوري، والله لا يضيع عباده الصادقين.
وقد كُفِّر مثلي كثير من الأولياء والأقطاب والأئمة، فبعضهم ضلُّوا وقتلوا، وبعضهم أُخرجوا من أوطانهم وديارهم وأوذوا، حتى جاءهم نصر الله، فما أضيعوا وما حُيِّبوا، وزادهم الله بركةً وعزةً وجعل كثيرا من أفئدةٍ تهوي إليهم، وبلغ آثار بركاتهم إلى قرن آخرين، وكذلك بشرني ربِّي وقال: "إني سأوتيك * بركةً وأجلِّي أنوارها حتى يتبرَّك بشيالك الملوِّك

* حاشية: من كان يؤمن بالله وآياته، فقد وجب عليه أن يؤمن بأن الله يوحى إلى من يشاء من عباده، رسولاً كان أو غير رسول، ويكلّم من يشاء، نبياً كان أو من المحدثين. ألا ترى أن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه كلّم أمّ موسى وقال: ﴿لَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^١. وكذلك أوحى إلى الحواريين وكلّم ذا القرنين وأخبرنا به في كتابه، ثم بشر لنا وقال: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^٢. وفي هذه الآية أشار إلى أن هذه الأمة تُكلّم كما كُلمت الأمم من قبل، فمن كان له صدق رغبة في الاتّعاظ بالقرآن فلا يتردد بعد بيان كتاب الله ولا يكون من المرتابين. ومن لم يبال امتثال أوامره وانتهاء نواهيها فما آمن به وما كان من المؤمنين.

وقد اتفق الأولياء كلّهم على أن الله تعالى مخاطباتٍ ومكالماتٍ بالمحدثين، كما قال سيدي وحببي الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمته الله - في كتابه "الفتوح" تعليماً للسالكين. ومن ملخصات كلامه أنه قال: إن لأهل الله علاماتٍ يُعرفون بها، فمنها الخوارق والكشوف، ومكالمات الله تعالى، وخوف الله وخشيته، وإيثاره على غيره، وكل ما يجب للمتقين.

وقال: إذا متَّ عن الخلق قيل لك: رحمك الله وأمانتك عن إرادتك ومُناك، وإذا متَّ عن الإرادة ومُناك قيل لك: رحمك الله وأحياك، فكنّت من المرحومين. فحينئذ تُحْيى حياة لا موت بعدها، وتُغنى غناءً لا فقر بعده، وتُعطى عطاءً لا منع بعده، وتُراخ براحةً لا شقاء بعدها، وتنعم بنعيم لا بؤس بعده، وتُعلم علماً لا جهل بعده، وتُؤمن أمناً لا تخاف بعده، وتسعد فلا تشقى، وتُعزّ فلا تُذلّ، وتُقرب فلا تُبعد، وتُرْفَع فلا

تُوضع، وتُعظَّم فلا تُحَقَّر، وتُطهَّر فلا تُدنَّس، ونجّاك الله وطهرك من أدناس طرق الفاسقين.

فيتحقّق فيك الأمانى، وتصدّق فيك الأقاويل، فتكون كبريئاً أحمرّ فلا تكاد تُرى، وعزيراً فلا تُمثّل، وفريداً فلا تُشارك، ووحيداً فلا تُجانس، وتكون عند ربك من أهل السماء لا من أهل الأرضين. فردُّ الفرد، وتثر الوتر، غيب الغيب، سرّ السرّ، فحينئذٍ تكون وارث كل رسول ونبيّ وصدّيق، فتعطى كلّ ما أُعطوا من الأنوار والأسرار، والبركات والمخاطبات، والوحي والمكالمات، وغيرها من آيات رب العالمين. وبك تُنتمّ الولاية، وإليك تصدّر الأبدال، وبك تنكشف الكروب، وبك تُسقى الغيوث، وبك تنبت الزروع، وبك تُدفعّ البلايا والحنن من الخاص والعام وأهل الثغور، والراعي والرعايا، والأئمة والأئمة، وسائر البرايا، فتكون شحنة البلاد والعباد ومن المأمورين. فينطلق إليك الأرجل بالسعي والترحال، والأيدي بالبذل والعتاء والخدمة بإذن خالق الأشياء في سائر الأحوال، والألسن بالذكر الطيب والحمد والثناء في جميع المحالّ، ولا يختلف إليك اثنان من أهل الإيمان، وتهوي إليك أفئدة من العلماء والأئمّين، ويدعوك لسان الأزل، ويُعلّمك ربُّ الملك، ويكسوك أنواراً منه والحلل، ويُنزلك منازل من سلف من أولي العلم الأول، من الأنبياء والصدّيقين.

فحينئذٍ يُضاف إليك التكوين وخرق العادات، فيرى ذلك منك في ظاهر العقل والحكم، وهو فعل الله وإرادته حقاً في العلم، فتدخل حينئذٍ في قوم مُوجع، وفي زمرة المنكسرين الذين انكسرت قلوبهم، وكُسرت إراداتهم البشرية، وأزيلت شهواتهم الطبيعية، فاستؤنفت لهم إرادة ربّانية، وشهوات وظيفية، وكانوا من المبدّلين. ويكشف للأولياء والأبدال من أفعال الله ما يبهر العقول، ويخرق العادات والرسوم، ويكلّمهم الله تعالى بالكلام اللذيذ، والحديث الأنيس، والبشارة بالمواهب الجسام، والمنازل العالية، والقرب منه مما سيؤول أمرهم إليه وجفّ به القلم من أقسامهم في سابق الدهور فضلاً منه ورحمة وإثباتاً منه لهم في الدنيا إلى بلوغ الأجل، وهو الوقت المقدّر لهم من أرحم الراحمين.

وقال الله تعالى في بعض كتبه: يا بن آدم أنا الله لا إله إلا أنا. أقول لشيء: كُن، فيكون. أطعني أحجّلك تقول للشيء: كُن، فيكون. قد جعل الله أولياءه أوتاد الأرض، وجعل الدنيا لهم جنة المأوى، فلهم جنتان: الدنيا والآخرة. وهم كالجبل

الذي رسا، تفرّدوا في الصدق والوفاء والتقوى، فتَنَحَّ عن طريقهم ولا تُزاحم يا مسكين. الرجال الذين ما قيدهم أحد عن قصد الحق من الآباء والأمهات والبنات والبنين، فهم خيرٌ من خلق ربي وبثٌ في الأرض وذراً، فعليهم سلام الله وتحياته وبركاته أجمعين.

أيها السالك! إذا قوي علمك وبقينك، وشرح صدرك وقوي نور قلبك، وزاد فركك من مولاك، ومكائك لديه، وأمانتك عنده وأهليتك لحفظ الأسرار، فعلمت من لدنه، ويأتيك قسّمك قبل حين. وتلك كرامة لك وإجلالاً لحرمتك، فضلاً منه ومنةً وموهبةً، ثم يرد عليك التكوين، فتكُون بالإذن الصريح الذي لا عُبار عليه، والدلالات اللائحة كالشمس المنيرة، وبكلامٍ لذيدٍ لآدم من كل لذيدٍ، وإلهامٍ صدقٍ من غير تلبسٍ، مُصغى من هواجس النفس ووساوس الشيطان اللعين.

تمّ كلام السيد الجليل قُطب الوقت إمام الزمان ﷺ، وقد كتبناه بتلخيصٍ منّا، فارجع إلى كتابه: "فتوح الغيب" إن كنت من المرتابين. وقد ظهر من كلام الإمام الموصوف أن الوحي كما ينزل على الأنبياء كذلك ينزل على الأولياء، ولا فرق في نزول الوحي بين أن يكون إلى نبيٍّ أو وليٍّ، ولكلٍّ حظٌّ من مكالمات الله تعالى ومخاطباته على حسب المدارج. نعم.. لوعي الأنبياء شأنٌ أتمّ وأكمل. وأقوى أقسام الوحي وحي رسولنا خاتم النبيين.

وقال المجدد الإمام السرهندي الشيخ أحمد - ﷺ - في مکتوب يكتب فيه بعض الوصايا إلى مريده محمد صديق:

اعلم أيها الصديق، أن كلامه سبحانه مع البشر قد يكون شفاهاً، وذلك لأفرادٍ من الأنبياء، وقد يكون ذلك لبعض الكُمَّل من متابعيهم، وإذا كثُر هذا القسم من الكلام مع واحد منهم يُسمّى مُحدّثاً، وهذا غير الإلهام وغير الإلقاء في الروع وغير الكلام الذي مع الملك، إنما يُخاطب بهذا الكلام الإنسان الكامل، والله يختص برحمته من يشاء.

تمّ كلامه، فارجع إلى كلامه إن كنت من المنكرين.

وذكر قصة من قال: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾^٤، وما كان من المرسلين.

وذكر ما قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾^٥ فانظر كيف كلم الله مريمَ وما كانت نبيّةً، فاتق الله ولا تكن من المعتدين.

والسلاطين". وقال: "إني مُهينٌ مَنْ أَرَادَ إِهَانَتَكَ، وَإِنَّا كَفِينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. يَا أَحْمَدُ، بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى، لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ. قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ. قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا. كُلُّ بَرَكَةٍ مِنَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَتَبَارَكَ مَنْ عَلَّمَ وَتَعَلَّمَ. وَقُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ. إِنِّي مَعَكُمْ، فَكُنْ مَعِيَ أَيَّمَا كُنْتَ. كُنْ مَعَ اللَّهِ حَيْثَمَا كُنْتَ. أَيَّمَا تُوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَفَخْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ. وَلَا تَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ. أَلَا إِنْ رَوْحَ اللَّهِ قَرِيبٌ. أَلَا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ. بِأُتَيْكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ. يَنْصُرْكَ اللَّهُ مِنْ عِنْدِهِ. يَنْصُرْكَ رَجَالٌ نُوْحِي إِلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ. لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ. قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ. وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن

وقد جاء في الحديث الصحيح عن عمرو بن الحارث قال: بينما عمرُ يخطب يوم الجمعة إذا ترك الخطبة ونادى يا ساريةُ الجبل مرتين أو ثلاثاً، ثم أقبل على خطبته. فقال ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ: إنه لجنون.. ترك خطبة ونادى "يا ساريةُ الجبل". فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط عليه فقال: يا أمير المؤمنين! تجعل للناس عليك مقالا؟ بينما أنت في خطبتك إذ ناديت: "يا ساريةُ الجبل". أيُّ شيء هذا؟ قال: والله، ما ملكتُ ذلك حين رأيتُ ساريةَ وأصحابه يقاتلون عند جبل ويؤتُونَ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، فَلَمْ أَمْلِكْ أَنْ قَلْتُ: "يا ساريةُ الجبل"، ليلحقوا بالجبل. فلم تمض الأيام حتى جاء رسولُ سارية بكتابه أن القوم لُقونا يوم الجمعة، فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى أن حضرت الجمعة، فسمعنا صوت منادٍ يُنادي: الجبلُ مرتين، فلحقنا بالجبل.. فلم نزل لعدونا قاهرين حتى هزمهم الله تعالى وتراءى فتح مبين. (المؤلف)

① القصص: ٨ ② الواقعة: ٤٠-٤١ ③ الكهف: ١٣ ④ مريم: ١٨-٢٠

افتري على الله كذبا. وإنّ عليك رحمتي في الدنيا والدين، وإنك لمن المنصورين. بشرى لك يا أحمدي، أنت مرادي ومعني، غرستُ كرامتك بيدي. أكان للناس عجبًا، قل هو الله عجيب. يجتبي من يشاء من عباده، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وإذا نصر الله المؤمنَ جعل له الحاسدين. تَلَطَّفَ بالناس وترحَّم عليهم، أنت فيهم بمنزلة موسى، فاصبر على جور الجائرين. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون. الفتنة هنا فاصبر كما صبر أولوا العزم. ألا إنها فتنة من الله ليحبَّ حبًّا جمًّا. وفي الله أجرك، ويرضى عنك ربك، ويتم اسمك. وإن يتخذونك إلا هُزواً، قل: إني من الصادقين، فانظروا آياتي حتى حين. الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم. قل هذا فضل ربي وإنني أجرد نفسي من ضروب الخطاب، وإنني أحد من المسلمين. يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله يتم نوره ويحيي الدين. نريد أن نُنزل عليك آيات من السماء ونمزق الأعداء كل ممزق. حُكَمَ اللهُ الرحمن لخليفة الله السلطان. فتوكل على الله واصنع الفلک بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يُدُّ الله فوق أيديهم، وأمم حَقَّ عليهم العذاب. ويمكرون والله خير الماكرين. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مسلمون. إن معي ربي سيهدين. رب أرني كيف تحيي الموتى. رب اغفر وارحم من السماء. رب لا تدّرني فردا وأنت خير الوارثين. رب أصلح أمة محمد. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين. ويخوفونك من دونه، إنك بأعيننا. سميتُك المتوكل. يحمدك الله من عرشه. نحمدك ونصلي. يا أحمد، يتم اسمك ولا يتم اسمي. كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكن من الصالحين الصديقين. أنا اخترتُك وألقيت عليك محبة مني. خذوا التوحيدَ التوحيدَ يا أبناء الفارس. وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم

صدق عند ربهم. ولا تصعّر لخلق الله ولا تسأم من الناس، واخفّض جناحك للمسلمين. أصحاب الصفة، وما أدراك ما أصحاب الصفة؟ ترى أعينهم تفيض من الدمع، يصلون عليك ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان ربنا أما فاكبتنا مع الشاهدين. شأنك عجيب، وأجرك قريب، ومعك جند السماوات والأرضين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس. بوركت يا أحمد، وكان ما بارك الله فيك حقاً فيك. أنت وجية في حضرتي. اخترتُك لنفسي، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق. وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيب. انظرُ إلى يوسف وإقباله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. أردتُ أن أستخلف فخلقتُ آدم ليقوم الشريعة ويحيي الدين. كتاب الولي ذو الفقار علي، ولو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجل من أبناء الفارس. يكاد زيتته يضيء ولو لم تمسسه نار. جريُّ الله في حُلل المرسلين. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. وصلِّ على محمد وآل محمد سيِّدِ وُلدِ آدم وخاتم النبيين. يرحمك ربك ويعصمك من عنده وإن لم يعصمك الناس. يعصمك الله من عنده وإن لم يعصمك أحد من أهل الأرضين. تبتُّ يدا أبي لهب وتبّ، ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفاً. وما أصابك فمن الله، واعلم أن العاقبة للمتقين. وأندِرُ عشيرتك الأقربين، إنا سنُرِيهم آية من آياتنا في الثَّيِّبَةِ ونردّها إليك، أمرٌ من لدنا إنا كنا فاعلين. إنهم كانوا يكذبون بآياتي وكانوا بي من المستهزئين. فبشرى لك في النكاح، الحقُّ من ربك فلا تكوننَّ من الممترين. إنا زوجناكها، لا مبدلَ لكلمات الله، وإنا رادُّوها إليك، إن ربك فعّالٌ لما يريد، فضلٌ من لدنا ليكون آية للناظرين. شاتانِ تُدبَّحان، وكل من عليها فان. ونريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ونريهم جزاء الفاسقين. إذا جاء نصر الله والفتح، وانتهى أمر الزمان إلينا، أليس هذا بالحق، بل الذين

كفروا في ضلال مبين. كنتُ كنزًا مخفيًا فأحببتُ أن أُعَرَف. إن السموات والأرض كانتا رتقًا ففَتَقْنَاهُما. قل إنما أنا بشرٌ يوحي إليّ إنما إلهم إلهٌ واحدٌ، والخير كله في القرآن، لا يمسه إلا المطهرون. ولقد لبثتُ فيكم عمرًا من قبله أفلا تعقلون. قل إن هدى الله هو الهدى، وإن معي ربي سيهدين. رب اغفر وارحم من السماء. رب إني مغلوب فانتصر. إيلي إيلي لما سبقتاني. يا عبد القادر، إني معك، أسمع وأرى. غرستُ لك بيدي رحمتي وقدرتي، وإنك اليوم لدينا مكينٌ أمين. أنا بُدُّك اللازم، أنا محبيك، نفختُ فيك من لدني روحَ الصدق. وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني كزرعٍ أخرج شطأه فآزره فاستغظ فاستوى على سوقه. إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فكن من الشاكرين. أليس الله بكاف عبده. أليس الله عليما بالشاكرين. فقيل الله عبده وبراه مما قالوا وكان عند الله وجيها. فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًا، والله مُوهِنٌ كيد الكافرين. ولنجعله آية للناس ورحمة منا ولنعطيه مجدًا من لدنا كذلك نجزي المحسنين. أنت معي وأنا معك. سرُّك سرِّي. لا تحاط أسرار الأولياء، إنك على حق مبين. وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين. لا يصدِّق السفية إلا ضربة الإهلاك. عدو لي وعدو لك، عجلٌ جسدٌ له حُوار. قل أتى أمر الله فلا تكن من المستعجلين. يأتيك قمرُ الأنبياء وأمرُك يتأتى، وكان حقا علينا نصر المؤمنين.* يوم يجيء الحق وينكشف الصدق ويخسر الخاسرون. وترى الغافلين يخزون على المساجد، ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين. لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. تموت وأنا راض منك. سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين."

* قد أُشير في الأصل إلى تاريخ هذا الإلهام حيث كُتب تحت هذه الجملة بخط صغير:
٣٠ جولاى سنة ١٨٩٣ م. (الناشر)

وأما عقائدنا التي ثبتنا الله عليها، فاعلم يا أخي أننا آمنّا بالله ربّاً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وآمنّا بأنه خاتم النبيين. وآمنّا بالفرقان أنه من الله الرحمن، ولا نقبل كل ما يعارض الفرقان ويُخالف بيناته ومُحكّماته وقصصه ولو كان أمراً عقليّاً، أو كان من الآثار التي سمّاها أهل الحديث حديثاً، أو كان من أقوال الصحابة أو التابعين؛ لأن الفرقان الكريم كتابٌ قد ثبت تواتره لفظاً لفظاً، وهو وَحْيٌ مَتَلُوْهُ قطعِيّ يقينيّ، ومن شكّ في قطعيته فهو كافر مردود عندنا ومن الفاسقين. والقرآن مخصوص بالقطعية التامة، وله مرتبة فوق مرتبة كل كتاب وكل وحي، ما مسّه أيدي الناس، وأما غيره من الكتب والآثار فلا يبلغ هذا المقام، ومن آثر غيره عليه فقد آثر الشك على اليقين.

وكم من فرق الإسلام يُخالف بعضهم بعضاً في أخذ بعض الأحاديث أو تركها، فالأحاديث التي يقبلها الشافعية لا يقبل أكثرها الحنفية، والتي يقبلها الحنفية لا يقبلها الشافعية، وكذلك حال فرق أخرى من المسلمين. وكم من حديث ذكره الإمام البخاري في صحيحه.. وهو أصحُّ الكتب عند أهل الحديث بعد كتاب الله.. ولكن لا يقبل الفرقة الحنفية أكثر أحاديثه، كحديث قراءة الفاتحة خلف الإمام والتأمين بالجهر وغيره، ولا يكونون إلى تلك الأحاديث من الملتفتين. ولكن ما كان لأحد أن يسمّيهم كافرين أو يحسبهم من الذين أضاعوا الصلاة ومن المبتدعين.

فالحق أن الأحاديث أكثرها آحادٌ ولو كانت في البخاري أو في غيره، ولا يجب قبولها إلا بعد التحقيق والتنقيد وشهادة كتاب الله بأن لا

يُخالفها في بيّناته ومُحكّماته، وبعدَ النظرِ إلى تعامُل القومِ وعِدّة العاملين. فإذا كان الأمر كذلك فكيف يُكفّرُ أحدٌ لترك حديثٍ يعارض القرآنَ أو لأجل تأويلٍ يجعل الحديث مطابقاً بالقرآن ويُنجي المسلمين من أيدي المعترضين؟ وكيف تكفّرون المؤمن بالله ورسوله وكتابه لأجل حديث من الآحاد الذي يُحتمل فيه شائبة كذب الكاذبين؟

فانظر مثلاً إلى مسألة وفاة المسيح عليه السلام، فإنها قد ثبتت بيّنات كتاب الله المتواتر الصحيح، وتشهد على وفاته قريباً من ثلاثين آية بالتصريح قد كتبناها في كتابنا: "إزالة الأوهام" إفادةً للطالبيين. فإن تذكرت بعد ذلك حديثاً دمشقياً الذي ذُكر في "مسلم"، فاعلم أنه فُسر على ظاهره، ولا شك أنه يُعارض الفرقان على تفسيره الظاهر ويُخالف بيّناته ويخالف أحاديث أخرى قد ذكرناها في "الإزالة"، ولا يرضى مسلم أن يترك القرآن اليقيني القطعي بحديث واحد لا يبلغ إلى مرتبة اليقين. ولو فعلنا كذلك وآثرنا الآحاد على كتاب الله لفسد الدين، وبطلت الملة، وُرفِع الأمان، وتزلزل الإيمان، واشتد علينا صولة الكافرين. نعم.. نؤمن بالقدر المشترك الذي لا يُخالف القرآن، وهو أنه يجيء المسيح الموعود مجدّداً على رأس المائة عند غلبة النصرارى على ظهر الأرض، ويخرج في أرض أفسدوها وجعلوا مسلمي أهلها متنصّرين، فيكسر صليبيهم ويقتل خنازيرهم، ويُدخل السعادة في الباقين.

وإن حاك في صدرك شيء من لفظ نزولٍ عند منارة دمشق، فقد أثبتنا أن النزول من السماء مُحال باطل لا يصدّقه الفرقان بل يكذّبه

بقول مبین. فإن كنت تؤمن بالفرقان وتؤثره على غيره، فأمن بوفاة المسيح وعدم نزوله من السماء، كما تقرأ في كلام رب العالمين. والعجب أن لفظ النزول من السماء لا يوجد في حديث وإن هو إلا فريضة المفترين. والأحاديث كلها قد اتفقت على أن المسيح الموعود من هذه الأمة، فإن النبوة قد حُتِمَتْ وإن رسولنا خاتم النبيين.

والنزول في الحديث بمعنى نزول المسافر من مكان إلى مكان، فإن النزول هو المسافر، فلو سلم صحة الحديث فيثبت أن المسيح الموعود أو أحد من خلفائه يسافر من أرض وينزل بدمشق في وقت من الأوقات، فلم ييكون الناس على لفظ دمشق؟ بل يثبت من لفظ النزول عند منارة دمشق أن وطن المسيح الموعود الذي يخرج فيه هو مُلْكٌ آخر، وإنما ينزل بدمشق بطريق المسافرين. هذا إذا سلّمنا الحديث بألفاظه، وفيه كلام.. لأن الأحاديث من الظنيات إلا الحصة التي ثبتت من تعامل المؤمنين.

ولو كانت الآثار المدونة في البخاري وغيره من اليقينيات كالقرآن الكريم للزم من إنكارها الكفر كلزوم الكفر من إنكار آيات القرآن كما لا يخفى على الماهرين في الشرع المتين. فحينئذ يلزم أن يكون المسلمون كلهم كافرين، ويلزم أن لا ينجو من ورطة الكفر أحد من أكابر المسلمين وأصاغرهم بل من الأئمة السابقين المتقدمين؛ لأن ترك بعض الأحاديث وإنكار بعضها بلاءٌ عام أحاطت الفقهاء والأئمة والمحدثين أجمعين.

ومع ذلك.. إذا كان نبينا ﷺ خاتم الأنبياء، فلا شك أنه من آمن بنزول المسيح الذي هو نبي من بني إسرائيل فقد كفر بخاتم النبيين. فيا

حسرة على قومٍ يقولون إن المسيح عيسى بن مريم نازلٌ بعد وفاة رسول الله، ويقولون إنه يجيء وينسخ من بعض أحكام الفرقان ويزيد عليها، وينزل عليه الوحي أربعين سنة، وهو خاتم المرسلين. وقد قال رسول الله ﷺ: "لا نبي بعدي"، وسمّاه الله تعالى خاتم الأنبياء، فمن أين يظهر نبي بعده؟ ألا تتفكرون يا معشر المسلمين؟ تتبعون الأوهام ظلماً وزوراً، وتتخذون القرآن مهجوراً، وصرتم من البطالين.

وإنّا نؤمن بملائكة الله ومقاماتهم وصفوفهم، ونؤمن أن نزولهم كنزول الأنوار، لا كترخّل الإنسان من الديار إلى الديار، لا يبرحون مقاماتهم ومع ذلك كانوا نازلين وصاعدين. وهم جند الله وجيرة السماوات وخلطاؤها، لا يفارقون مقاماتهم، وإنّ منهم إلا له مقام معلوم، يفعلون ما يؤمرون، ولا يشغلهم شأن عن شأن ويؤدّون طاعة رب العالمين.

ولو كان مدار انصرام مهماتهم.. تباعدهم من مقاماتهم.. لما جاز أن تُتوفّى الأنفس في آنٍ واحد، بل وجب أن لا يموت ميّت في المشرق في الآن الذي قدّر الله له قبل أن يفرغ ملك الموت من قبض نفس رجلٍ في المغرب الذي هو شريك بالمئات الأوّل في الآن المذكور وقبل أن يرحل إلى المشرق، وإنّ هذا إلا كذب مبين. إنّما أمرهم إذا أرادوا شيئاً يحكّم الله أن يقولوا له كن فيكون، وما كان لهم أن ينزلوا بشقّ الأنفس وصرّف الوقت ونقل الخطوات وترك مكان كسكان الأرضين.

ونؤمن بأن حشر الأجساد حق، واللجنة حق، والنار حق، وكل ما

جاء في القرآن حق، وكلّ ما علّمنا رسول الله ﷺ حق، وهو خير الأنبياء وختم المرسلين. ومن عزا إلينا ما يُخالف الشرع والفرقان مثقال ذرة فقد افتري علينا وأتى ببهتان صريح كالمفتريين. ألا إنّ بريئون من كل أمر يُنابني قول رسولنا ﷺ، وإنّا مؤمنون بجميع أمورٍ أخبر بها سيّدنا ونبيّنا، وإن لم نعلم حقيقتها أو نُودع معارفها بإلهام مبین.

وإنّا بريئون من كل حقيقة لا يشهداها الشرع، واعتصمنا بحبل الله بجميع قلبنا، وجميع قوتنا، وجميع فهمنا، وأسلمنا الوجهة لك ربّنا فاجعلنا من المحسنين. ربنا أفرغ علينا صبراً على ما نُؤدّي وتوفّقنا مسلمين.

وما أفضّلُ روحي على أرواح إخواني، ولكن الله قد منّ عليّ وجعلني من المنعمين. فمن آلائه أنه أنعم عليّ بالمكالمات والمخاطبات، وعلّمني من أسرار ما كنت أن أعلمها لو لا أن يعلمني الله، وجعلني للأنبياء من الوارثين. ومن آلائه عليّ أنه وجد قوم النصارى يفسدون في الأرض ويتخذون العبد إلهًا بغير الحق، ويضلّون عباد الله، فبعثني لأكسر صليبهم وأمزق بعيدهم وقربهم وأجدّ هامّ المجرمين.

ومن آلائه أنه آتاني آياتٍ من السماء، وأتمّ الحجّة على الأعداء، وخجّل كل بخيل وضنين. فوعزّته وجلاله إني على حق مبین. وترى كالوابل آياتٍ صدقي إن تصاحبني كاطالبين. ووالله.. ثم تالله.. إن جاءني أحد على قدم الصدق والطلب، لرأى شيئاً من آيات ربي إلى أربعين. وأكفّرني الحسداء قبل أن يباروني للنضال، ويتوازنوا في الكمال، ويتحاذوا في الفعال، وعيروني طاغين. ولما رأوا الآيات قالوا إنّ هذا إلا

سحرٌ مبين أو جفّرٌ ونجومٌ، فمشوا خبطَ عشواءٍ، وكانوا قومًا عمين.
أشرقَت الشمس وما كان معها غيمٌ، ولكن لا ينفع العُمي نورٌ ولا ضوء،
واستخلصهم الشيطان لنفسه، فهو لهم قرين.

يا أخي، تحسني كافرًا، وإني مؤمنٌ موحّدٌ، أتبع رسولي وسيدي
ﷺ، وجعلني الله وارثًا لعلومه وباعه وبِعاة، وأرجو أن يشيخ نعشي
في اتّباعه، ومع ذلك أخضع لك بالكلام وأستنزل منك رفق الكرام،
فلا تغلظ عليّ ولا تُشمِت بي الكُفّارَ، ولا تُرني النارَ، ولا تسلُن
سيفك البتّارَ، والمؤمن هينٌ لئِن، والصالِحون يحملون أوزار إخوانهم،
ويسارعون إلى تسلية قلوبهم، وتسرية كروبهم، ولا يريدون أن يقتلوهم
تقتيلاً، وأن يجعلوهم عضين.

والاختلاف في فرق الإسلام كثيرة، ولكن لا تنهضُ فرقة لقتل فرقة،
وقد قال رسول الله ﷺ: إن اختلاف أمتي رحمة. فأطفئ يا أخي نارك،
وأعمد بتّارك، واقتدِ بسنن الصالحين. لم تؤذي من يحبُّ خير الوري؟
أتسرُّ به روح المصطفى؟ أو تُرضي به ربنا الأعلى؟ فاعلم أن الله ورسوله
بريَّان من الذين يُعادون أولياءهما، فإن كنت ترجو شفاعة رسولنا فلا تؤذ
المحبّين المصافين، واتق الله، ثم اتق الله، ثم اتق الله، ليغفر ذنوبك ويُجلك
مقعد المنعمين.

أيها الإنسان الضعيف المحتاج، إن مَثَتَ الله أكبر من مقتك، فحَفْ
فأسه وكن من المرتعشين.

هَذَاكَ اللهُ هَلْ قَتَلِي يُبَاحُ
 وَهَلْ فِي مَذْهَبِ الْإِسْلَامِ أَنِي
 وَصَدَقِي بَيْنَ لِلنَّاطِرِينَا
 وَمَا كَانَ الْأَذَى حُلُقَ الْكِرَامِ
 وَإِنَّ الْحَرَّ يَفْهَمُ قَوْلَ حُرِّ
 وَلَا أَخْشَى الْعِدَا فِي سُبُلِ رَبِّي
 لَنَا عِنْدَ الْمَصَائِبِ يَا حَبِيبِي
 فَلَا تَقْفُ الْهَوَى وَانظُرْ مَا لِي
 وَمِنْ عَجَبٍ، أَشْرَفَكُمُ وَأَدْعُو
 وَبَلَدْتُكُمْ حَدِيقَهُ كُلَّ خَيْرٍ
 كَمَثَلِكُ سَيِّدُ يُؤْذِنُ، عَجَبٌ!
 أَرَى يَا حَبِيبِ تَذَكُرُنِي بِسَبِّ
 أَخَذْنَا كُلَّ مَا أُعْطِيتَ تَحْفًا
 فَخُذْ مِنِّي جَوَابِي كَالْهَدَايَا
 إِذَا اعْتَلَمْتُ أَظَافِيرِي بِخَصْمٍ
 وَإِنْ وَافَيْتَنِي حَبًّا وَسَلْمًا
 وَإِنْ لَمْ تَقْرَبْنِ أَنْهَارَ مَاءٍ
 وَرَشَّخِ الصَّلْدَ سَهْلًا عِنْدَ جَهْدٍ

وَهَلْ مِثْلِي يُدَمَّرُ أَوْ يُجَاحُ
 أَرَى خَزِيًّا وَلَمْ يَثْبُتْ جُنَاحُ
 كِتَابُ اللهِ يَشْهَدُ وَالصِّحَاحُ
 وَلَكِنْ هَكَذَا هَبَّتْ رِيَاحُ
 وَتَشْفِي صَدْرَهُ الْكَلِمُ الْفِصَاحُ
 وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ بَدَاحُ
 رِضَاءٌ ثُمَّ ذَوْقُ وَارْتِيَاحُ
 وَرَبِّي إِنَّهُ نُصِخَ قَرَاخُ
 وَمِنْكَ الْمَشْرِفِيَّةُ وَالرِّمَاحُ
 فَمِنْكُمْ سَيِّدِي يُرْجَى الصَّلَاحُ
 وَفِي بَغْدَادَ خَيْرَاتُ كِفَاحُ
 فَمَا هَذَا؟ وَسِيرَتِكُمْ سَمَاحُ
 وَصَافِينَا وَزَادَ الْإِنْشَاحُ
 وَلَكِنْ كَانَ مِنْكَ الْإِفْتِاحُ
 فَمَرْجِعُهُ نَكَالٌ أَوْ طَلَاخُ
 فَلِلزُّوَارِ بُشْرَى وَالنَّجَاحُ
 فَلَا تَعْطِيكَ مِنْ مَاءِ رِيَاخُ
 وَيُوبِقُكُمْ فُعودُ وَانْسِطَاحُ

وما نألوك نصحًا يا حبيبي
 ونُصحي خالص لا نوعَ هزلٍ
 فيا حبي تفكّر في كلامي
 ولي وجدٌ لقومي فوق وجدٍ
 إليكم يا أولي مجدٍ إليكم
 ولي قدرٌ عظيم عند ربي
 ومثلي حين يبكي في دعاءٍ
 وكادت تلمعن أنوارٌ شمسي
 ويأتي يومٌ ربي مثل برقٍ
 ولي من لطف ربي كل يومٍ
 ونورٌ كامل كالبدر تامٌ
 ونحن اليوم نُسقى من غبوقٍ
 وأعطاني المهيمن كل نورٍ
 أتقتلي بغير ثبوت جرمٍ
 قتلنا الكافرين بسيف حُججٍ
 وليس لنا سوى الباري ملاذٌ
 أتعلم كيف يسفَعُ بالنواصي
 يَهْدُ الربّ ذرّوة كلّ طودٍ
 وجاهدنا ليرتبط الصّاحُ
 وجدٌ لا يخالطه المزاحُ
 فإن الفكر للتقوى وشاخُ
 وما وجدُ الثواكل والنّياحُ
 وإن لم تنتهوا فالوقت لاحُ
 وسؤلي لا يُردُّ ولا يُزاحُ
 فيسعى نحوه فضلٌ مُتاحُ
 فيتبّعها الورى إلا الوقاحُ
 فلا تبقى الكلابُ ولا النّباحُ
 مراتبٌ للعدا فيها افتضاحُ
 ووجهٌ يستنير ولا يُلاحُ
 وبعد الليل عيدٌ واصطباحُ
 ولي من فضله روحٌ وراحُ
 فقل ما يصدرن مني جناحُ؟
 فلا يُرجى لقاتلنا فلاحُ
 ولا تُرْسٌ يصون ولا السّلاحُ
 مليكٌ لا يناوّه الطّمّاحُ
 وتتبعه الأسدّة والصّفّاحُ

أَتَقْتَلِنِي بِسَيْفٍ يَا خَصِيمِي؟ وَقَتْلِي عِنْدَكُمْ أَمْرٌ مُبَاخٌ
 وَقَدْ مِتْنَا بِسَيْفٍ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى ذَرَاتِنَا تَسْفِي الرِّيحُ
 وَأَيْنَ سَيُوفِكُمْ يَا شَيْخَ قَوْمٍ وَحَلَّ بِقَاعِكُمْ حَزْبٌ شِحَاخُ
 وَصَالَ الْحَزْبُ وَاخْتَلَسُوا كَذِبٌ وَلَمْ يَكُ أَمْرُهُمْ إِلَّا اكْتِسَاخُ
 وَقَدْ صُبَّتْ عَلَيْكُمْ كُلُّ رُزْءٍ فَمَا فِي بَيْتِكُمْ إِلَّا الرَّدَاخُ
 وَكَمْ مِنْ مُسَلِّمٍ ذَابُوا بِجُوعٍ وَعَاشُوا جَائِعِينَ وَمَا اسْتَرَاخُوا
 وَبِحَرِّ الْعِلْمِ يَعْرِفُ مَوْجَ بَحْرِي وَلَكِنْ عِنْدَكُمْ مَاءٌ وَجَاخُ
 نَظَّمْتُ قَصِيدَتِي مِنْ ارْتِجَالٍ وَأَيْنَ الْفَضْلُ لَوْلَا الْإِقْتِرَاخُ
 فَخُذْ مِنِّي بَعْفُو كَالْكَرَامِ وَدُونِكَ مَا هُوَ الْحَقُّ الصُّرَاخُ
 وَإِنْ بَارَزْتَنِي مِنْ بَعْدِ نُصْحِي فَتَعْلَمُ أَنِّي بَطْلٌ شَنَاخُ

يا أخي.. حفظك الله! إني قد كتبت هذا المكتوب، ترحماً على حالك، وإصلاحاً لخيالك، فاستشف لآليته، والمح السر المودع فيه، وقد أسمع أن أخلاقك تُحُبُّ، وبعفوتك يُلَبُّ، وأنت باذلٌ خِرْقٌ ذو سماحةٍ وفتوةٍ من المحسنين. فلا أظن فيك أن تردَّ موردَ ماثمة، وتقفَ موقفَ مندمة، وتتبعَ سبلاً تبعهٍ ومعتبهٍ، بل أظن أن تميل إلى معذرةٍ عن بادرة. وظني فيك جليل، فحقق حسن ظني، واتق الله إني أراك من وُلدِ الصالحين.

وإن كنت فى شك مما كتبنا فى كُتُبنا، فأئى أرف علك من أن تسألنى كل ما لا تعرف أأقئته، ولا أفهم ماهئته، وعسى أن أأسب كلمةً من الكفر وهو من معارف كتاب الله وأأائق الءفن. والعافل فبأهب ءائما لمزائلة مركزه عنء وءءان الأأ المفن. ففم وأفعم لك سآلاً من مائنا المعفن. وأآر ءعوانا أن الأء لله رب العالمفن.

إِتْمَامُ الْحَجَّةِ

عَلَى الذِّي لِحَّ وَزَانِخ

عَنِ الْمَحْجَّةِ

الحمد لله الذي وفقنا لتأليف رسالة هذه التي ألفت
لاخام المولود، زسل بابا الامرتسي وتبكيته وفُضل فيه
كل امرليتكينه وسميت

اتمام الحجة

على الذي ليج وزاغ

عز الحجة

وطبعت في مطبع كلارمكت في بلدة لاهور سنة ١٣١٥ هـ

قيمت في طرد ٣٠

تعداد جلد ٤٠٠

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقيم حجته في كل زمان، ويمجّد ملّته في كل أوان، ويبعث مصلحا عند كل فساد، وينتاب الخلق منه هادٍ بعد هادٍ، ويمنّ على عباده بإراءة طرق سداد، ويسوّي الصراط للمتأهّبين. يهدي الخلق بكتابه إلى أسراره، ولا يُسمّح عقل بكشف أستاره، يُلقي الروح على من يشاء من عباده، ويفتح على من يشاء أبواب إرشاده، فلا يغشاه درنٌ ولا ينتطحه قرنٌ، ويُدخله في الطيبين. يدعو من يشاء، ويطرد من يشاء، ويُجيب من يشاء، ويُعطي من يشاء من نعماء عظمى، ويجعل رسالاته حيث يشاء، ويعلم من بها أحقّ وأولى. الناس كلهم ضالّون إلا من هداه، وكلهم ميّتون إلا من أحياه، وكلهم عميّ إلا من أراه، وكلهم جياع إلا من غذّاه، وكلهم عطاش إلا من سقاه، ومن لم يهده فلا يكون من المهتدين.

والصلاة والسلام على رسوله ومقبوله محمد خير الرسل وخاتم النبيين، الذي جاء بالنور المنير، ونجّى الخلق من الظلام المبير، وخلص السالكين من اعتياص المسير، وهياً لهم زاداً غير اليسير، وآتى صحفًا مُطهّرة كشجرة طيبة، اغتذى كل طالب بجنى عُودها، ورغبت كل فطرة سليمة في استشارة سعودها، وما بقي إلا الذي كان شقيّ الأزل ومن المحرومين.

والسلام على آله الطيبين الطاهرين، الذين أشرقت الأرض

بنورهم، وظهر الحق بظهورهم، ولا شك أنهم كانوا بُدورَ الإمامة، وجبال طرق الاستقامة، ولا يُعاديهم إلا من كان مورد اللعنة، وزائعا عن المحجّة، ورحم الله رجلا جمع حُبَّهم مع حبِّ الصُّحبة أجمعين. وعلى أصحابه وصفوة أحبّابه الذين كانوا له أتبع من ظله، وأطوع من فعله. تركوا بروق الدنيا وزينتها برؤية لَعْلِه؛ ونهضوا إلى ما أمروا بإذعان القلب وسعادة السيرة، وجاهدوا في الله على ضعف من الميرة، وما كانوا قاعدين. تبتّلوا إلى الله تبتيلا، وجمعوا خزائن الآخرة وما ملكوا من الدنيا فتيلا، وما مالوا إلى امتراء الميرة، وبذلوا أنفسهم لإشاعة الملة، وقفوا ضلال رسول الله ﷺ حتى صاروا من الفانين. شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الرب اللطيف، ورضوا لمرضاته بمفارقة المألّف والأليف، وأنحوا أبصارهم عن الدنيا وما فيها، وأخذتهم جذبة عظيمة فجذبوا إلى الله ربّ العالمين.

أما بعد.. فاعلم أن أُخوة الإسلام يقتضي النصح وصدق الكلام، ومن أُعطي علما من علوم فأخفاه كسرّ مكتوم فهو أحد من الخائنين. وإن العلوم لا تنتهي دقائقها، ولا تُحصى حقائقها، ولا مانع لظهورها، ولا محاق لبدورها، وكم من علم تُرك للآخرين. وقد علّمني ربّي من أسرار، وأخبرني من أخبار، وجعلني مجدّد هذه المائة، وخصّني في علومه بالبسطة والسعة، وجعلني لرسله من الوارثين. وكان من مفاتيح*

* يبدو أنه سهو الناسخ ولعل الصحيح "مفاتيح". (الناشر)

تعليمه، وعطايا تفهيمه، أن المسيح عيسى بن مريم قد مات بموته الطبيعي وتوفي كإخوانه من المرسلين. وبشّرتني وقال إن المسيح الموعود الذي يرقبونه والمهدي المسعود الذي ينتظرونه هو أنت، نفعل ما نشاء فلا تكوننّ من الممترين. وقال: **إِنَّا جَعَلْنَاكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَقَضَّ حَتْمَ سِرِّهِ وَجَعَلَنِي عَلَى دَقَائِقِ الْأَمْرِ مِنَ الْمُطَّلَعِينَ.** وتواترت هذه الإلهامات، وتتابعت البشارات، حتى صرّث من المطمئنين. ثم تخيّرث طريق الحزامة، ورجعتُ إلى كتاب الله خفيرِ طرق السلامة، فوجدته عليه أوّل الشاهدين. وأيُّ بيان يكون وضح ♦ من بيانه: ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي فَانظُرْ، هَذَا اللَّهُ قَبْلَ تَوْفِيكَ وَجَعَلَكَ مِنَ الْمُسْتَبْصِرِينَ. وَأَكَّدَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، فَفَكَّرَ فِيهِ يَا مَنْ أَدَيْتَنِي، وَحَسْبَتَنِي مِنَ الْكَافِرِينَ. وَهَذَا نَصٌّ لَا يَرُدُّهُ قَوْلُ مُبَارٍ بِأَثَارِهِ، وَلَا يَجْرَحُهُ سَهْمٌ مُمَارٍ فِي مَضْمَارِهِ، وَلَا يَنْكُرُهُ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنَ الظَّالِمِينَ.

والذين غاض دُرُّ أفكارهم، وضعفت جوازل أنظارهم، لا ينظرون إلى كتاب الله وبيّناته، ويتيهون كرجل تبع جهلاته، ويتكلمون كمجانين. يقولون إن لفظ التوفيّ ما وُضع لمعنى خاص بل عمّت معانيه، وما أحكمت مبانيه، وكذلك يكيدون كالمفترين. وإذا قيل لهم إن هذا اللفظ ما جاء في القرآن كتاب الله الرحمن إلا للإمامة وقبض الأرواح المرجوعة، لا لقبض الأجسام العنصرية، فكيف تصرّون على

♦ هذا سهو من الناسخ والصحيح "أوضح". (الناشر)

معنى ما ثبت من كتاب الله وبيان خير المرسلين ﷺ؟ قالوا إنا ألفينا آباءنا على عقيدتنا ولسنا بتاركيها إلى أبد الأبدين.

ثم إذا قيل لهم إن خاتم النبيين وأصدق المفسرين فسّر هكذا لفظ التوفي في تفسير هذه الآية؛ أعني: ﴿تَوْفِيْتِي﴾، كما لا يخفى على أهل الدراية، وتبعه ابن عباس ليقطع عرق الوسواس، وقال: متوفيك: مميثك، فلم تتركوا المعنى الذي ثبت من نبي كان أول المعصومين، ومن ابن عمه الذي كان من الراشدين المهديين؟ قالوا: كيف نقبل ولم يعتقد بهذا آباؤنا الأولون؟ وما قالوا إلا ظلمًا وزورًا ومن الفرية ولم يحيطوا آراء سلف الأمة إلا الذين قربوا منهم من المخطئين، وما تبعوا إلا الذين ضلوا من قبل من فيج أعوج ومن قوم محجوبين. فما زالوا آخذين بأثارهم حتى ححصص الحق، فرجع بعضهم متندمين. وأما الذين طبع الله على قلوبهم فما كانوا أن يقبلوا الحق وما نفعهم وعظ الواعظين. والعلماء الراسخون يكون عليهم ويجدونهم على شفا حفرة نائمين.

يا حسرة عليهم! لم لا يفكرون في أنفسهم أن لفظ التوفي لفظ قد اتضح معناه من سلسلة شواهد القرآن، ثم من تفسير نبي الإنس ونبي الجن، ثم من تفسير صحابي جليل الشأن، ومن فسّر القرآن برأيه فهو ليس بمؤمن بل هو أخ الشيطان، فأى حجة أوضح من هذا إن كانوا مؤمنين؟ ولو جاز صرف ألفاظ تحكّمًا من المعاني المرادة المتواترة، لارتفع الأمان عن اللغة والشرع بالكلية، وفسدت العقائد كلها، ونزلت

آفات على الملة والدين. وكل ما وقع في كلام العرب من ألفاظ وجب علينا أن لا ننحت معانيها من عند أنفسنا، ولا نقدّم الأقلّ على الأكثر إلا عند قرينة يوجب* تقديمه عند أهل المعرفة، وكذلك كانت سنن المجتهدين.

ولما تفرقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة من الملة، وكلّ زعم أنه من أهل السنّة، فأئىّ مخرج من هذه الاختلافات، وأي طريق الخلاص من الآفات من غير أن نعتصم بحبل الله المتين؟ فعليكم معاشر المؤمنين باتباع الفرقان، ومن تبعه فقد نجا من طرق الخسران. ففكروا الآن.. إن القرآن يتوفّى المسيح ويكمل فيه البيان، وما خالفه حديثٌ في هذا المعنى بل فسّره وزاد العرفان، وتقرأ في البخاري والعيني وفضل الباري أن التوفّى هو الإماتة، كما شهد ابنُ عباس بتوضيح البيان، وسيّدنا الذي إمام الإنس ونبيّ الجنّ، فأئىّ أمرٍ بقي بعده يا معاشر الإخوان وطوائف المسلمين؟

وقد أقرّ المسيح في القرآن أن فساد أمته ما كان إلا بعد موته، فإن كان عيسى لم يمت إلى الآن، فلزمك أن تقول إن النصرارى ما أفسدوا مذهبهم إلى هذا الزمان. والذين نحتوا معنى آخر للتوفّى فهو بعيد عن التشقي، وإن هو إلا من أهوائهم، وفساد آرائهم، ما أنزل الله به من سلطان، كما لا يخفى على أهل الخبرة وقلبٍ يقضان. وإن لم ينتهوا

* يبدو أنه سهو الناسخ والصحيح "توجب". (الناشر)

حقداً، وأصروا على الكذب عمداً، فليخرجوا لنا على معناهم سنداً، وليأتوا من الله ورسوله بشرح مستند إن كانوا صادقين. وقد عرفتم أن رسول الله ﷺ ما تكلم بلفظ التوفي إلا في معنى الإمامة، وكان أعمق الناس علماً وأول المبصرين. وما جاء في القرآن إلا لهذا المعنى، فلا تحرفوا كلمات الله بخيال أدنى، ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ذلك حق وهذا باطل، واتقوا الله إن كنتم متقين.

لم تتبعون غلطاً ورجماً بالغيب، ولا تبغون تفسير من هو منزّه من العيب، وكان سيّد المعصومين؟ فاجتنبوا مثل هذه التعصبات، واذكروا الموت يا دود الممات، أتتركون في الدنيا فرحين؟ فاذكروا يوماً يتوفاكم الله ثم ترجعون إليه فرادى فرادى، ولا ينصركم من خالف الحق وعادى، وتُسألون كالمجرمين.

وأما قول بعض الناس من الحمقى أن الإجماع قد انعقد على رفع عيسى إلى السماوات العلى بحياته الجسماني ♦ لا بحياته الروحاني ♦، فاعلم أن هذا القول فاسد ومتاع كاسد، لا يشتره إلا من كان من الجاهلين. فإن المراد من الإجماع إجماع الصحابة، وهو ليس بثابت في هذه العقيدة، وقد قال ابن عباس: متوفيك: مميتك، فالموت ثابت وإن لم يقبل عفريتك. وقد سمعت يا من آذيتني أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ تدل بدلالة قطعية وعبارة واضحة أن الإمامة التي ثبتت من

♦ يبدو أنه سهو والصحيح: "الجسمانية" و"الروحانية". (الناشر)

تفسير ابن عباس، قد وقعت وتمّت وليس بواقع كما ظن بعض الناس. أفأنت تظن أن النصارى ما أشركوا برهم وليسوا في شُرْك كالأسارى؟ وإن أقررت بأنهم قد ضلوا وأضلوا، فلزمك الإقرار بأن المسيح قد مات وفات، فإن ضلالتهم كانت موقوفة على وفاة المسيح، فتفكّر ولا تُجادل كالوقيح. وهذا أمر قد ثبت من القرآن، ومن حديث إمام الإنس ونبيّ الجنّ، فلا تسمع رواية تخالفها، وإن الحقيقة قد انكشفت فلا تلتفت إلى من خالفها، ولا تلتفت بعدها إلى رواية والراوي، ولا تُهلك نفسك من الدعاوي، وفكّر كالمتواضعين.

هذا ما ذكرناك من النبي والصحابة لنزيل عنك غشاوة الاسترابة، وأما حقيقة إجماع الذين جاءوا بعدهم، فنُذرك شيئاً من كلمهم، وإن كنت من قبل من الغافلين.

فاعلم أن الإمام البخاري، الذي كان رئيس المحدثين من فضل البارئ، كان أول المُقرّين بوفاة المسيح، كما أشار إليه في الصحيح، فإنه جمع الآيتين لهذا المراد، ليتظاهرا ويحصل القوة للاجتهاد. وإن كنت تزعم أنه ما جمع الآيتين المتباعدتين لهذه النيّة، وما كان له غرض لإثبات هذه العقيدة، فبيّن لم جمع الآيتين إن كنت من ذوي العينين؟ وإن لم تبين، ولن تبين، فاتق الله ولا تُصّر على طرق الفاسقين.

ثم بعد البخاري انظروا يا ذوي الأبصار، إلى كتابكم المسلم "مجمع البحار"، فإنه ذكر اختلافات في أمر عيسى عليه السلام، وقدّم الحياة ثم

قال: **وقال مالك: مات.** فانظروا "المجمع" يا أهل الآراء، وخذوا حظًا من الحياء، هذا هو القول الذي تكفرون به وتقطعون ما أمر الله به أن يوصل وباعدتم عن مقام الاتّقاء، أليس منكم رجل رشيد يا معشر المفتتين؟

وجاء في الطبراني والمستدرک عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة. ثم بعد هذه الشهادات، انظروا إلى ابن القيم المحدث المشهود له بالتدقيقات، فإنه قال في "مدارج السالكين" إن موسى وعيسى لو كانا حيّين ما وسعهم* إلا اقتداء خاتم النبيين. ثم بعد ذلك انظروا في الرسالة "الفوز الكبير وفتح الخبير" التي هي تفسير القرآن بأقوال خير البرية، وهي من ولي الله الدهلوي حكيم الملة، قال: متوفيك: مميتك. ولم يقل غيرها من الكلمة، ولم يذكر معنى سواها اتّباعا لمعنى خرج من مشكاة النبوة. ثم انظر في "الكشاف"، واتق الله ولا تحترق طرق الاعتساف كمجترئين.

ثم بعد ذلك تعلمون عقيدة الفرق المعتزلة، فإنهم لا يعتقدون بحياة عيسى، بل أقروا بموته وأدخلوه في العقيدة. ولا شك أنهم من المذاهب الإسلامية، فإن الأمة قد افتقرت بعد القرون الثلاثة، ولا ينكر افتراق هذه الملة، والمعتزلة أحد من الطوائف المتفرقة. وقال الإمام عبد الوهاب الشعراني المقبول عند الثقات، في كتابه المعروف باسم "الطبقات":

* يبدو أن الألف سقط هنا سهواً والصحيح "وسعهما". (الناشر)

وكان سيدي أفضل الدين رحمه الله يقول: كثير من كلام الصوفية لا يتمشى ظاهره إلا على قواعد المعتزلة والفلاسفة، فالعقل لا يُبادر إلى الإنكار بمجرد عزاء ذلك الكلام إليهم، بل ينظر ويتأمل في أدلتهم. ثم قال: ورأيت في رسالة سيدي الشيخ محمد المغربي الشاذلي: اعلم أن طريق القوم مبني على شهود الإثبات، وعلى ما يقرب من طريق المعتزلة في بعض الحالات. هذا ما نقلنا من لوائح الأنوار، فتدبر كالأخيار، ولا تعرض كالأشرار، ولا تختز سبل المعتدين.

وإن قلت إن الإجماع قد انعقد على عدم العمل بالمذاهب المخالفة للأئمة الأربعة، فقد بيّنا لك حقيقة الإجماع، فلا تصل كالسباع، وفكّر كأولي التقوى والارتياح، واذكر قول الإمام أحمد الذي خاف الله وأطاع، قال: من ادّعى الإجماع فهو من الكاذبين.

ومع ذلك نجد كثيرا من الاختلافات الجزئية في الأئمة الأربعة، ونجدها خارجة من إجماع الأئمة، فما تقول في تلك المسائل وفي قائلها؟ أنت تقرّ بغوائلها، أو أنت تجوّز العمل عليها والتمسك بها ولا تحسبها من خيالات المتبدّعين؟ وأنت تعلم أن الإجماع ليس معها ومع أهلها، وكل ما هو خارج من الإجماع فهو عندك فاسد ومتاع كاسد، وتحسب قائلها من الملحددين الدجالين. وإن كنت تزعم أن الإجماع قد انعقد على حياة عيسى المسيح بالسند الصحيح والبيان الصريح، فهذا افتراء منك ومن أمثالك، ألا لعنة الله على الكاذبين

المفترين.

أيها المستعجلون.. لم تسعون مكذبين؟ ومن أعظم المهالك تكذيب قوم كُشِفَ عليهم ما لم يُكشَفَ على غيرهم من دقائق سبيل الحق واليقين. وكم من أناس ما أهلكهم إلا ظنونهم، وما أُردهم إلا سبّ الصادقين. دخلوا حضرة أهل الله مجترئين، وما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين.

وإن المنكرين رموا كل سهم وتبعوا كل وهم، فما وجدوا مقاما في هذا الميدان، وجاهدوا كل جهد فما بقي عندهم سوى الهديان، فلما انثلت الكنائس، ونفدت الخزائن، ولم يبق مفرّ ولا مآب، ولا ثنية ولا ناب، مالوا إلى السبّ والتكفير، والمكر والتزوير، لعلمهم يغلبون بهذا التدبير، حتى اجترأ بعض الناس من وساوس الوسواس الخناس على أن يخدع بعض العوام بصيرير الأقلام، فألّف كتابا لهذا المرام، وقبض القدر لهتك ستره أنه أشاع الكتاب بشرط الإنعام، وزعم أنه سكّتنا وبكّتنا وأدّى مراتب الإفحام، وصار من الغالبيين. فنهضنا لنعجم عودَ دعواه، وماء سقياه، ونمزق الكذاب وبلواه، ونُري جنوده ما كانوا عنه غافلين. فإن إنعامه أوحشَ الذين هم كالأنعام، وإعلامه أوهشَ بعضَ العيَلام، وما علموا خبث قوله وضعف صوله، وحسبوا سرايه كماء معين. وكنتُ آليثُ أن لا أتوجّه إلا إلى أمر ذي بال، ولا أضيع الوقت لكل مناضل ونضال، ورأيثُ تأليفه مملؤا من الجهلات، ومشحونا من

الخزعبلات، ومجموعا من ديدن الغباوة، وموضوعا من قريحة الشقاوة، فمنعني عزّة وقتي وجلالة همّتي أن أُلطّخ يديّ بدم هذا الدود، وأبعد عن أمر المقصود، ولكني رأيت أنه يخذع كلّ غمر جاهل بإراءة إنعامه وتُرّهات كلامه، ولو صمّتنا فلا شك أنه يزيد في اجترامه، ويخذع الناس بتزوير إفحامه، وإنه ولجّ الفخّ ففرى أن نأخذه ثم نذبحه للجائعين. وإنه يطير طيران الجراد، ليأكل زرع رب العباد، فرأينا لتأييد عين الحقيقة ومجاريها، أن نصطاد هذه الجراد مع ذراريها، ونُنج الخلق من كيد الخائنين. فوالذي حباننا بمحبّته، ودعانا إلى تأييد أحبّته، إنّنا لا نرغب في عطاء هذا الرجل وإنعامه، بل نحسبه فضولا كفضول كلامه، وما نريد إلا أن نُريه جزاء اجترامه، لئلا يفتنّ بعض الجهلة من المتعصّبين.

فاعلم يا من ألّف الكتاب ويطلب منّا الجواب، إنا جنناك راغبين في استماع دلائلك، لننجيك من غوائلك، ونجّيح أصل ردائلك، ونريك أنك من الخاطئين. وأنت تعلم أن حمل الإثبات ليس علينا بل على الذي ادّعى الحياة ويقول إن عيسى ما مات وليس من الميتين. فإن حقيقة الادّعاء اختيار طرق الاستثناء بغير أدلّة دالّة على هذه الآراء، أعني إدخال أشياء كثيرة في حكم واحد، ثم إخراج شيء منه بغير وجه الإخراج وسبب شاهد، وهذا تعريف لا ينكره صبي ولا غبي، إلا الذي كان من تعصّبه كالمجنونين.

فإذا تقرّر هذا فنقول إنّنا نظرنا إلى زمان بُعث فيه المسيح، فشهد النظر الصحيح أنه كل من كان في زمانه من أعدائه وأحبّائه وجيرانه، وإخوانه وخلّانه وخالّاته، وأمّهاته وعمّاته وأخواته، وكل ما كان في تلك البلدان والديار والعمران، كلهم ماتوا وما نرى أحدا منهم في هذا الزمان؛ فمَنْ ادّعى أنّ عيسى بقي منهم حيًّا وما دخل في الموتى فقد استثنى، فعليه أن يُثبت هذا الدعوى.

وأنت تعلم أن الأدلة عند الحنفيين لإثبات ادعاء المدّعين أربعة أنواع كما لا يخفى على المتفقيين.

الأول: قطعيّ الثبوت والدلالة وليس فيها شيء من الضعف والكلالة، كالأيات القرآنية الصريحة، والأحاديث المتواترة الصحيحة، بشرط كونها مستغنية من تأويلات المؤلّفين، ومنزّهة عن تعارض وتناقض يوجب الضعف عند المحققين.

الثاني: قطعيّ الثبوت ظنيّ الدلالة، كالأيات والأحاديث المؤوّلة مع تحقّق الصحّة والأصالة.

الثالث: ظنيّ الثبوت قطعيّ الدلالة، كالأخبار الآحاد الصريحة مع قلة القوّة وشيء من الكلالة.

الرابع: ظنيّ الثبوت والدلالة، كالأخبار الآحاد المحتملة المعاني والمشتبهة.

ولا يخفى أن الدليل القاطع القوي هو النوع الأول من الدلائل،

ولا يمكن من دونه اطمينان السائل. فَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، ولا سبيل له إلى يقين أصلاً. ولم أزل أرقّب رجلاً يدّعي اليقين في هذا الميدان، وأتشوّف إلى خبره في أهل العدوان، فما قام أحد إلى هذا الزمان، بل فترّوا مني كالجبان، فأودعتهم كاليائسين وانطلقت كالمفترّدين، إلى أن جاءني بعد تراخي الأمد، تلك رسالتك يا ضعيف البصر شديد الرمد، ونظرت إليه نظرة وأمعنت فيه طرفة، فعرفت أنه من سقط المتاع، ومما يستوجب أن يُخْفَى ولا يُعرض كالْبِعَاع. ولو غشيك نور العرفان، وأمعنت كرجل له عينان، لسترت عوارك، وما دعوت إليه جارك، ولكن الله أراد أن يُخزيك، ويُيري الخلق خزيك، فبارزت وأقبلت، وفعلت ما فعلت، وزوّرت وسوّلت، وكتبت في كتابك الإنعام، لثُرّضي به الأنعام، ولكن رتقت وما فتقت، وخدعت في كل ما نطقت، وإنا نعلم أنك لست من المتمولين.

ومع ذلك لا نعرف أنك صادق الوعد ومن المتقين، بل نرى خيانتك في قولك كالفاسقين. فما الثقة بأنك حين تُغلب وترتعد ستفي بما تعد؟ وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية هذا الجيل، فإن وردت غدِير الغدر، فمن أين تأخذ العين يا ضيق الصدر؟ وما نريد أن تُرجع الأمر إلى القضاة ونحتاج إلى عون الولاية، ونكون عرضة للمخاطر. ونعلم أنك أنت من بني غبراء، لا تملك بيضاء ولا صفراء، فمن أين يخرج العين مع خصاستك وإقلالك وقلة مالك؟ ومع

ذلك للعزائم بدوات، وللعِدات معقبات، وبيننا وبين النَّجْز عقبات، ولا نأمن وعدكم يا حزب المبطلين. فإن كنتَ من الصادقين لا من الكاذبين الغدَّارين، وصدقت في عهد إنعامك وما نويتَ حنثًا في إقسامك، فالأمر الأحسن الذي يسرد غواشي الخطرات، ويجيح أصل الشبهات، ويهدي طريقًا قاطع الخصومات، أن تجمع مال الإنعام عند رئيس من الشرفاء الكرام، ونحن راضون أن تجمع عند الشيخ غلام حسن أو الخواجه يوسف شاه أو المير محمود شاه قطعًا للخصام، ونأخذ منهم سندًا في هذا المرام، فهل لك أن تجمع عينك عند رجلٍ سواءٍ بيني وبينك، أو لا تقصد سبيل المنصفين؟ وإنا لا نعلم مكنون طويِّتك، فإن كنتَ كتبتَ الرسالة من صحة نيتك، لا من فساد طبيعتك، ففهم غيرٍ وإنٍ ولا لاوٍ إلى عدوان، واعمل كما أمرنا إن كنتَ من الصادقين. وإنا جئناك مستعدِّين ولسنا من المعرضين ولا من الخائفين، بل نُسرُّ بالإقدام ولو على الضِرغام، ولا نخاف أمثالك من الناس، بل نحسبهم كالشعالب عند البأس. وأزمعنا أن نفتش خبائك، ونستنفذ حقيقتك، ونحسر اللثام عن قريبتك، وقلِّمنا خصل كذاب أو بورك له اختلاب، وقد بقينا عامًّا لا نخشِن كلامًا، ولا نجيب مكفِّرًا ولوأمًّا، وصرنا ورأينا اجلِّحماما، حتى أَلجأتنا مرارة الكلمات إلى جزاء السيئات بالسيئات، وعلاج الحيات بالعصي والصفاة، فقمنا لنهتك أستار الكاذبين.

فلا نلتفت إلى القول العريض، ونريد أن تبرز إلينا بالصُّفر والبيض، وتجمع مبلغك عند أحدٍ من الرجال الموصوفين، وتأمرهم ليعطوني مبلغك عندما رأوك من المغلوبين. فإن لم تفعل فكذبك واضح، وعذرك فاضح، ألا لعنة الله على الكاذبين، ألا لعنة الله على الغادرين الناكثين، الذين يقولون ولا يفعلون، ويعاهدون ولا ينجزون، ولا يتكلمون إلا كالحادعين المزورين، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فاتَّقِ لعنة الله وأنجز ما وعدت كالصادقين. وإن كنت لا تقدر على الإيفاء، وليس عندك مال كالأمراء، فاطلب لعونك قوما يأسون جراحك ويريشون جناحك، فإن كانوا من المصدِّقين المعتقدين، فيعينونك كالمريدين، مع أن دين القوم جبر الكسير وفكُّ الأسير، واحترام العلماء واستنصاح النصحاء. على أنك لن تطالب بدرهم إلا بعد شهادة حكم، وأما الحكم فلا بد من الحكمين بعد جمع العين. ووكلنا إليك هذا الخطب، ولك كل ما تختار اليبس أو الرطب، فإن جعلت حكمين كاذبين، فنقبلهما بالرأس والعين، ولا ننظر إلى الكذب والمين، بيد أننا نستفسرهما بيمين الله ذي الجلال، وعليهما أن يخلفوا* إظهاراً لصدق المقال، ثم نمهلها إلى عام، ونمد يد المسألة إلى خبير علام، فإن لم تتبين إلى تلك المدّة أمانة الاستجابة، فنشهد الله أننا نُقرّ بصدقك من دون الاسترابة، ونحسبك

* يبدو أنه سهو والصحيح: "يخلفا". (الناشر)

من الصادقين.

وأعجبني لم تصدّيتَ لتأليف الكتاب، وأيّ أمر كتبت كالنادر العجاب، بل جمعتَ فضلة أهل الفضول، واتبعتَ جهلات الجهول، وما قلت إلا قولاً قيل من قبلك، ونُسج بجهل أكبر من جهلك، وما نطقتَ بل سرقت بضاعة الجاهلين. وما نرى في كلامك إلا عبارتك التي نجد ريح كسَهك الحيتان المتعفنة، ونبز الجيفة المنتنة، ونراه مملؤاً من تكلفات باردة ركيكة، وضحكة الضاحكين. وفعلتَ كل ذلك لرغفان المساجد، وابتغاء مرضاة الخلق كالواجد، لا لله رب العالمين.

يا من ترك الصدق ومان، قد نبذت الفرقان، ولا تعلم إلا الهديان، وتمشي كالعمين، لا تعلم إلا الاختراق في مسالك الزور، والانصلات في سكك الشرور، ولا تتقي براثن الأسد وتسعى كالعمي والعور، وإنّا كشفنا ظلامك، ومزّقنا كلامك، وستعرف بعد حين. أتؤمن بحياة المسيح كالجهول الوقيح، وتحسبه كأنه استثنى من الأموات، وما أقمت عليه دليلاً من البيّنات والمحكمات، ولا من الأحاديث المتواترة من خير الكائنات، فكذبت في دعوى الإثبات، وواعدت عن أصول الفقه يا أبا الترهات. أيها الجهول العجول، المخطئ المعذول، قف وفكّر برزاة الحصاة، ما أوردت دليلاً على دعوى الحياة، وما اتبعت إلا الظنيات، بل الوهميات. ونتيجة الأشكال لا يزيد على المقدمات، فإذا كانت المقدمتان ظنّيتين فالنتيجة ظنيّة، كما لا يخفى على ذوي

العينين. وإن كنت لا تفهم هذه الدقائق، ولا تدرك هذه الحقائق، فسَلِ الذين من أولي الأبصار الرامقة، والبصائر الرائقة، وانظر بعين غيرك إن كنت لا تنظر بعينك في سيرك، واستنزل الريّ من سحب الأغيار، إن كنت محرومًا من دَرِّ الأمطار.

ألا تعلم يا مسكين أن قولك يُعارض بيّنات القرآن، ويخالف مُحكمات الفرقان؟ وقد تبَيّن معنى التويّي من لسان سيّد الإنس ونبيّ الجنّ، وصحابته ذوي الفهم والعرفان. وأيّ فضل لمعنى العوام، بعد ما حصّص المعنى من خير الأنام، ومَن يَأباه إلا من كان من الفاسقين؟ فتندّم على ما فرّطت في جنب الله وبيّناته، واتبعت المتشابهات وأعرضت عن محكماته، ووثبت كخليع الرسن، وتركت الحق كعبدة الوثن. وإني نظرتُ رسالتك الفينة بعد الفينة، فما وجدتها إلا راقصة كالقينة، ووالله إنها خالية عن صدق المقال، ومملّوة من أباطيل الدجال، فعليك أن تنقُد المبلغ في الحال، لنريك كذبك ونوصلك إلى دار النكال. وعليك أن تجمع مالك عند أمين الذي كان ضمينا بيقين، وإلا فكيف نوقن أنّا نقطف جناك إذا أبطلنا دعواك، وأريناك شقاك؟ يا أسير المُتربة، لست من أهل الثروة، بل من عَجزة الجهلة، فاتركُ شُنْشنة القحّة، واجمع المال وجانب طرق الفرية والتعلّة، فوَاهَا لك إن كنت من الصادقين الطالبين، وآهَا منك إن كنت من المعرضين المحتالين. وقد أوصينا واستقصينا، ونقّحنا تنقيح من يدعو أخا الرشد

ويكشف طرق السَّدَد، وأكملنا التبليغ لله الأحد، ونظر الآن أجمع المال وتُري العهد والإيمان، أو تُري الغدر وتتبع الشيطان كالمفسدين. ووالله الذي يُنزل المطر من الغمام، ويُخرج الثمر من الأكمام، إني ما نهضتُ لطمعٍ في الإنعام، بل لإخزاء اللثام، ليتبين الحق وليستبين سبيل المجرمين، وإن الله مع المتقين. ووالله الذي أعطى الإنسان عقلاً وفكراً، لقد جئت شيئاً نُكرًا، وأبقيت لك في المخزيات ذكرا. وقد كتبنا من قبل اشتهارا، وواعدنا للمجيبين إنعاما، وأقرنا إقرارا، فما قام أحدٌ للجواب، وسكتوا كالبهائم والدواب، وطارت نفوسهم شعاعا، وأرعدت فرائصهم ارتياعا، وأكبوا على وجوههم متندمين.

أفأنت أعلم منهم أو أنت من المجانين؟ إنهم كانوا أشدَّ كيدًا منك في الكلام، بل أنت لهم كالتّلام، فكان آخر أمرهم خزي وخذلان وقهر رب العالمين. وإن الله إذا أراد خزي قوم فيعادون أوليائه، ويؤذون أحبّاءه، ويلعنون أصفياءه، فيبارزهم الله للحرب، ويصرف وجههم بالضرب، ويجعلهم من المخدولين. ألا تفكرون في أنفسهم أنّ الله يُنزل نُصرته لنا بجميع أصنافها، ويأتي الأرض ينقصها من أطرافها، ويحفظنا بأيدي العناية، ويسترنا بملاحف الحماية، فلا يضرنّا كيد المفسدين؟ يعلم من كان له ومن كان لغيره، وينظر كل ماش في سيره، ولا يهدي قوما مسرفين، ويبيّر الفاسقين ويمحو أسماء المفترين من أديم الأرضين. هو الغيور المنتقم، ويعلم عمل المفسد الفتان، ويأخذ المفترين

بأقرب الأزمان، فيُنزل رجزه أسرع من تصافح الأجنان. فتوبوا كالذين
خافوا قهر الرحمن، وأنابوا قبل مجيء يوم الخسران، وغيرُوا ما في أنفسهم
ابتغاء مرضاة الله، يا معشر أهل العدوان. اطلبوا الرحم وهو أرحم
الراحمين. فتندّم يا مغرور على جهلاتك، واعتذر من فرطاتك، وفكّر
في خسرك وانحطاط عرضك وانكشاف سترك، وازدجر كالحائفين.

واعلم أنه من نهض ليستقري أثر حياة عيسى، فما هو إلا كجادع
مارن أنفه بموسى، فإن الفساد كل الفساد ظهر من ظنّ حياة المسيح،
واسودّت الأرض من هذا الاعتقاد القبيح، ومع ذلك لا تقدرون على
إيراد دليل على الحياة، وتأخذون بأقوال الناس ولا تقبلون قول الله
وسيد الكائنات. وتعلمون أنه من فسّر القرآن برأيه وأصاب فقد
أخطأ، ثم تتبعون أهواءكم ولا تتقون من ذراً وبرا، وتتكلمون كالمجترئين.
وإذا قرئ عليكم آيات الفرقان فلا تقبلوها، وإن قرئ نصف القرآن،
وإن عرّض غيره، فتقبلونه مستبشرين. لا تلتفتون إلى كتاب الله الرحمن،
وتسعون إلى غيره فرحين. وليت شعري! كيف يجوز الاتكاء على غير
القرآن بعد ما رأينا بينات الفرقان؟ أتوصلكم غير القرآن إلى اليقين
والإذعان؟ فأتوا بدليل إن كنتم صادقين.

يا حسرة على أعدائنا! إنهم صرفوا النظر عن صحف الله
الرحمن، وما طلبوا معارفها كطلاب العرفان، وأفنوا زمانهم وعمرهم في
أقوال لا توصلهم إلى روضات الإذعان، ولا تسقيهم من ينابيع مطهّرة

للإيمان، وما نرى أقوالهم إلا كصوّاعين باللسان.

فيا معشر العمي والعور.. اتقوا الله ولا تجترثوا على المعاصي والفجور، وتخيروا طريقا لا تخشون فيه مسّ حيفٍ ولا ضرب سيف، ولا حُمَّةٍ لاسعٍ ولا آفةٍ وادٍ واسع، وقوموا لله قانتين. وفكروا في قولي.. هل صدقتُ فيما نطقْتُ، أو ملتُ فيما قلتُ، وتفكروا كالحاشعين. ما لكم لا تستعدّون لقبول الحجّة وتزيغون عن المحجّة، تركضون في امتراء الميرة، ولها تتركون أقارب العشيرة. وما أرى فيكم من ترك لله الأقارب والأحباب، وجدّ في الدين ودأب. لم لا تتأدّبون بأداب الصلحاء، ولا تقتدون بطرق الأتقياء؟ أنكرتم الحق وما رأيتم سُقياه، وما وطأتم حصاه، وما استشرفتُم أقصاه، وتركتُم الفرقان وهُداه، وكنتم قوما عادين.

يا أهل الفساد والعناد.. اتقوا الله رب العباد. أين ذهب تقاكم؟ وأضلكم علمكم وما وقاكم. لا تفهمون القرآن ولا تمسّون الفرقان، فأين غارت مزاياكم، وأين ذهب ريتاكم؟ ما أجد كلامكم مؤسّسا على التقوى، وأجد قلوبكم متدنسة بالطغوى. فما بال قرب* كان لها كمثليكم الملائح، وما بال أرض يحرثها كحزبكم الفلاّح؟ ولا شك أنكم أعداء الدين وعدا الشرع المتين. ونعلم أن قصر الإسلام منكم ومن أيديكم عفا، ولم يبق منه إلا شفا، ولولا رحمة ربي لأحاطه

* هذا سهو الناسخ والصحيح "القوارب". (الناشر)

الدجى، وكان الله حافظه وهو خير الحافظين.

ألا تنظرون أنكم كنتم فحج سلكتم، وكنتم رجل أهلكنتم، وكنم بدع ابتدعتهم، وكنم قوم خدعتهم، وكنم عرض اختلستهم، وكنم ثعلب افترستم؟ أمّا الآن فالحق قد بان ورحم الرب الرحيم، واستنار الليل البهيم، وأنار الدين القويم، وظهر أمر الله وكنتم كارهين. إن الله في كل يوم نظرة، فنظر الدين رحمة، ووجده غرضاً لسهام الأعداء، وكالوحيد الطريد في البيداء، فأقامني برحمة خاصة في أيام إقلال وخصاصة، ليجعل المسلمين من المنعمين، ويعطيهم ما لم يعط لآبائهم ويرحم الضعفاء، وهو أرحم الراحمين.

وما قمت بهذا المقام إلا بأمر قدير، يبعث الإمام ويعلم الأيام، حكيم عليم يرى أيام الغي والضلال، وصراصر الفساد في النساء والرجال. تناهى الخلق في التخطي إلى الخطايا، وعقروا مطا المطايا، ودفنوا الحق في الزوايا، ولمع الباطل كالمرايا، فرأى هذا كلّه ربُّ البرايا، فبعث عبداً من العباد، عند وقت الفساد، أعجبتهم من فضله يا جمر العناد؟ فلا تتكثروا على الظنون، والله أسرار كالدّر المكنون، يبلي عباده في كل زمان، وكل يوم هو في شان.

وأقسم بعلام المخفيات، ومُعِينِ الصادقين والصادقات، أني من الله رب الكائنات. ترتعد الأرض من عظمته، وتنشق السماء من هيئته، وما كان لكاذب ملعون أن يعيش عمرا مع فريته، فاتقوا الله وجلال

حضرتة. ألم يبق فيكم ذرّة من التقوى؟ أنسيتم وعظ كفّ اللسان وخوف العقبي؟ يا أيها الظانّون ظنّ السوء.. تعالوا ولا تفرّوا من الضوء.

يا قوم إني من الله.. إني من الله.. إني من الله، وأشهد ربي أي من الله. أوّمن بالله وكتابه الفرقان، وبكل ما ثبت من سيّد الإنس ونبيّ الجنّ. وقد بُعثتُ على رأس المائة، لأجدّد الدين وأنور وجه الملّة، والله على ذلك شهيد، ويعلم من هو شقي وسعيد. فاتقوا الله يا معشر المستعجلين.. أليس فيكم رجل من الخاشعين؟ أتصلون على الأسود ولا تميّزون المقبول من المردود؟ وفي الأُمّة قوم يلحقون بالأفراد، ويكلّمهم رهم بالحبّة والوداد، ويُعادي من عاداهم ويوالي من والاهم، ويُطعمهم ويسقيهم، ويكون فيهم وعليهم ولهم، ويُحاطون من رب العالمين. لهم أسرار من رهم لا يعلمها غيرهم، ويشربُ قلبهم هوى المحبوب ويُوصّلون إلى المطلوب. ينور باطنهم ويترك ظاهرهم في الملوّمين، فطوبى لفتى يأتّم بأدابهم، وتنكسر جبائر مكره في جناهم، ويسرج جواد الصدق لصحبة الصادقين.

هذا ما كتبنا وألّفنا لك الكتاب، فإذا وصلك فأملِ الجواب. وحاصل الكلام أنّنا قائمون للخصام، لنذيقك جزاء السهام، ومن آذى الأحرار فأباد نفسه وأبار. فاسمّع مني المقال، إني أرثب أن تجمع المال، فإذا جمعت وأتممت السؤال، فاعلم أن أحمد قد صال وأراك الوبال

والنكال. يا مسكين إن موت عيسى من البديهيّات، وإنكاره أكبر الجهلات، ولكن صدئ قلبك وغلظ الحجاب، فرددت وتقاذفت بك الأبواب، فلا تصعّى إلى العظات، ويؤذيك الحق كالكلم المحفظات، وأرداك تباهيك بكتابك وهو أصل تبابك. وإني عرفت سرّك ومعتمّاه، وإن لم يدّر القوم معناه. وما تريد إلا أن تفتتن قلوب السفهاء، وتخدع الجهلاء، لتكون لك عزّة في الأشقياء، وتفوز في الأهواء، وهذا خاتمة الكلام، فتدبّر كالعقلاء، ولا تقعد كالعميين.

هداك الله هل تُرضي العواما	لكي تستجلبن منهم حطاما
وهل في ملّة الإسلام أثر	من الكلم التي تَبْري خصاما
أعندك حُجّة إجماع قوم	أضاعوا الحق جهلا واهتضاما
ومثلك أمة قتلت حسينا	إذا وجدت كمنفرد إماما

تمّت

'نظرة أخرى على كتيب المولوي رسل بابا "حياة المسيح" وطلب إيداع ألف روية كجائزة

لقد بيّنا آنفاً بأن المولوي المذكور في العنوان قد كتب في هذه الأيام كتاباً لإثبات حياة عيسى عليه السلام، سمّاه "حياة المسيح". لكنه إذا طُرح سؤال: ما الذي أثبتته رغم تكبده الجهود الكثيرة وإضاعته للوقت؟ لن يقول أي منصف رداً على هذا السؤال سوى: "لا شيء". فلو كانت نية المولوي صادقة وكانت غايته من هذه العملية تحريّ الأمر الحق لا أمراً آخر، لقرأ بتدبر قبل تأليف هذا الكتيب الآياتِ البينات التي تُثبت وفاة عيسى عليه السلام بجلاء وكأنه مات أمام أعيننا ودُفن. لكن المؤسف أن المولوي المحترم مرَّ بهذه الآيات البينة المحكمة مغمض العينين. وأراد- بتحريفه بعض الآيات الأخرى وبإضافة بعض الجمل من عنده إليها- أن يُثبت للعامة أن تلك الآيات تدل على حياة عيسى عليه السلام. لكنه إذا كان يثبت شيء من مفتريات المولوي هذه فإنما يثبت أن في طبعه صفات اليهود أيضاً؛ وإلا ليس من عمل أي سعيد أن يسعى لإثبات أمر بتغيير الترتيب الظاهر في القرآن الكريم، وفصل الرابط غير المنفك في الآيات، وإضافة بعض الجمل من عنده. وإذا كان هذا العمل يسمّى إثباتاً، إذن فليس هناك أي أمر يستحيل

١ من هنا إلى صفحة ٩٥ ترجمة عربية للنص الأردّي الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

إثباته. بل يمكن أن يُثبت كل ملحد وعديم الإيمان مقاصده بهذا الأسلوب. فمن ذا الذي يجهل أن معنى كتاب ما، لا يعدّ صحيحاً إلا إذا صدر بحسب ترتيب الجمل وارتباطها وسياقها. أما إذا فك أحدهم تركيب هذا الكتاب وفصل أجزاء العبارة عن بعضها البعض وأضاف إليها بعض الجمل من عنده بمنتهى التجاسر، وأراد من ذلك النص المختلق أن يُثبت غاية ما، أفلا يعد تصرفه هذا كتحرّيف اليهود الذي بسببه وُصفوا في القرآن الكريم بالقردة والخنازير، وهم الذين كانوا قد قاموا بمثل هذه الأعمال الإلحادية في التوراة؟ إذا كان إثبات حياة المسيح صلى الله عليه وآله ممكناً بتصرفات الخيانة والتحرّيف من هذا القبيل فيجب أن نُقر بأن حياته ثابتة. لكن كيف نعالج هذه القضية وقد سمى الله صلى الله عليه وآله المحرفين من هذا القبيل بالخنازير والقردة ولعنهم ونهى عن مصابحتهم. يجب أن نتذكر دوماً أننا لسنا مخولين بتغيير آية من كلام الله أو تبديلها أو تقديمها أو تأخيرها ولا باختراع الجمل من عندنا ودسّها فيه، إلا إذا وجدنا مثيله في أسوة النبي صلى الله عليه وآله، وثبت أنه صلى الله عليه وآله بنفسه قام بمثل هذا التغيير والتبديل. وما لم يثبت ذلك لا نستطيع أن نقلب ترصيع القرآن الكريم وترتيبه ولا نستطيع أن نضيف إليه بعض الجمل من عندنا. وإن فعلنا ذلك فنحن مجرمون وجدديرون بالمؤاخذة عند الله. الآن ينبغي أن يقرأ القراء كتاب المولوي المحترم شخصياً، ليتأكدوا إن كان مليئاً بمثل هذه الأعمال والتصرفات أم أنه قد ذكر في

بعض المواضع آيةً من القرآن الكريم وأثبت أنها تفيد حياة المسيح حصراً في ضوء أحاديث النبي ﷺ، دون القيام بالتكلفات والتحريفات. لا نكتفٍ أي عناد وتعصب للمولوي رسل بابا ولا لأي مولوي آخر. وإن لم يسلك مسالك اليهود وقام باستدلال صحيح فمن الإلحاد ألا يقبل أمراً مُؤكّداً، فلو فكر أحدهم بعيداً عن كل أنواع التعصب كيف تثبت الحقائق وما هي القاعدة لإثباتها، لأدرك أن الله ﷻ قد حدد قاعدة واحدة لإثباتها فقط وهي أنه ينبغي أن توظف الأمور الواضحة والصریحة والبدیهية برهاناً على إثبات الأمور النظرية. أما إذا قدموا كدليل أمراً هو بحد ذاته نظري ومشتبه به، وقد اخترع بالتكلفات والتأويلات والتحريفات، فلن يسمى دليلاً، بل هو دعوى مستقلة بحاجة إلى دليل. من المؤسف أن المولويين السذج لا يقدرّون على تمييز الدعوى من الدليل، إذ حين يُطلب منهم دليلٌ أي دعوى يقدمون دعوى أخرى، ولا يفهمون أنها أيضاً تحتاج إلى دليل كسابقتهما. كنا قد طرحنا على المولويين المعارضين في الرأي سؤالاً واحداً فقط حول حياة المسيح ﷺ ومماته. فلو أمعنوا النظر فيه بأمانة، لكفاهم للهداية سؤالٌ واحد فقط. فلو أراد أحد أن يهتدي لفكرٍ فيه. وكان ذلك السؤال: إن الله ﷻ استخدم كلمة التوفي بحق المسيح ﷺ في آيتين في القرآن الكريم، وقد وردت الكلمة نفسها في القرآن الكريم بحق نبينا ﷺ أيضاً، كما ذكر الله ﷻ الكلمة نفسها في دعاء يوسف ﷺ

أيضا، ووردت في آيات كثيرة أخرى. وبإلقاء نظرة على كل هذه الآيات يستطيع كل ذي طبع منصف أن يدرك بقناعة كاملة أن كلمة التوفي لا تعني في كل آية غير الإمامة وقبض الروح، كما أن كُتِب الحديث هي الأخرى زاخرة بهذا التعبير. ستجدون ورود كلمة التوفي في مئات الأحاديث، فهل يمكن أن يُثبت أحدٌ أنها قد وردت في أي موضع من تلك المواضع في غير معنى الإمامة؟ كلا لا يمكن. بل لو قيل لأي عربي أمي "تُوِّفِي زيدٌ" فلن يفهم من ذلك إلا أن زيدا قد مات. اتركوا تعبير العرب المتداول الشائع أيضا جانبا، ولنر أنه من الثابت من ملفوظات النبي ﷺ المباركة أنه كلما مات أي صحابي أو أحد أقاربه عبّر ﷺ عن وفاته بكلمة التوفي حصرا. ثم عندما مات ﷺ نفسه قال الصحابة بحقه إنه توفي. وكذلك استخدموا الكلمة نفسها للتعبير عن موت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. باختصار؛ قد ورد الخبر بموت جميع الصحابة خطيا وشفهيا بكلمة التوفي حصرا. وتقررت هذه الكلمة كلمة شرف للتعبير عن وفاة المسلمين، فحين ترد هذه الكلمة نفسها بحق المسيح عليه السلام فلماذا تخترع لها معانٍ أخرى؟ وإن لم تقبلوا قرار التعبير الشائع فالطريق الثاني للحكم هو أن تنظروا بم فسر النبي ﷺ والصحابة كلمة التوفي الواردة بحق المسيح عليه السلام في القرآن الكريم. فقد بحثنا في هذا الباب أيضا وتبين لنا بعد التحري أنه قد ورد في صحيح البخاري- كتاب التفسير- معنى "فلما توفيتني" على لسان

النبي ﷺ الإمامة فقط ١، ثم في الموضع نفسه قد ورد قول ابن عباس رضي الله عنه: "متوفيك أي مميتك". أي يا عيسى أنا سأميتك. فليسأل الآن أحدُهم هؤلاء المشايخ الذين لم يقبلوا القرار الأول؛ هل إنكار حكم الصحابة بل حكم النبي ﷺ والإصرار على أن للتوفي معنى آخر، إيمانٌ أم إحداد؟ فالأسف كل الأسف على العناد الذي يقود المرء إلى رفض المعنى الذي سمعه من فم النبي ﷺ لكلمة ما، ونحّت معنى آخر، وعدم قبول الحكم الذي أصدره النبي ﷺ بنفسه. فهو لا يرد نزاعه إلى الله ورسوله، بل يستعين بمنطق أرسطو وأفلاطون. كلا إن ذلك ليس من سنة الصلحاء، بل الأشقياء هم الذين يقومون بذلك على الدوام. فلا نرى أي شهادة أجدر بالقبول من شهادة النبي ﷺ. إن أوصالي ترتعد حين أرى شخصا لا يقبل حكم النبي ﷺ الذي يُعرض عليه، بل يتخبط في مواضع أخرى، ثم لا نعرف من أي نوع إيمان هؤلاء السادة الذين لا يقيمون أي وزن لقرار القرآن الكريم ولا لقرار النبي ﷺ ولا لتفسير الصحابة رضي الله عنهم. فأبي زمن هذا الذي هجر فيه الله ورسوله أولئك الذين يُدعون مشايخ، وإذا أصر عليهم أحد كثيرا وقال لهم إن رسول الله ﷺ قد بين معنى التوفي بالإمامة فلماذا لا تقبلونه أنتم؟ فالجواب الأخير لهؤلاء: "كيف نقبل ذلك وقد حصل الإجماع على حياة

^١ فعن عائشة رضي الله عنها- في الطبراني والمستدرک- أن رسول الله ﷺ قد قال في المرض الذي توفي فيه إن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة.

المسيح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! " لكن هذا العذر أيضا أقبح من الذنب، وتجاسرُ مكروهٌ جدا وإساءة. ذلك لأن الإجماع الذي لا يشمل نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بل يعارضه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صراحة فلا يجدر أن يسمى إجماعا ولا قيمة له. كما أن ادعاء الإجماع أيضا لكذب وافتراء. فقرأوا كتاب بحار الأنوار، المجلد الأول، الصفحة ١٢٨٦؛ فقد ورد فيه تحت شرح "حكما": "ينزل (أي ينزل عيسى) حكما؛ أي حاكما بهذه الشريعة لا نبيا، والأكثر أن عيسى لم يمت، وقال مالك: مات، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة."

فانظروا ما دام هذا هو إيمان الإمام مالك الحائز على مكانة مرموقة وعظيمة والذي يعدّ إماما عظيما، وهو من خير القرون وله عشرات الملايين من الأتباع، فيمكن أن نقول بتعبير آخر إن عشرات الملايين من العلماء والأفاضل والأتقياء والأولياء- أي الذين كانوا أتباعا صادقين للإمام- كانوا يعتقدون حصرا بأن عيسى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد مات، لأنه من المستحيل أن يعارض التابع الصادق إمامه، ولا سيما في أمر لا يعدّ قول الإمام فقط، بل هو قول الله وقول الرسول وقول الصحابة وقول التابعين وأتباع التابعين. الآن يجب الحياء والخجل قليلا، أن الإمام العظيم الذي ظهر قبل جميع أئمة الحديث وكان محيطا بجميع الأحاديث النبوية كدائرة، ما دام هذا هو مذهبه فكم من الوقاحة أن

^١ مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر القنّيني؛ ج ١، حرف الحاء- باب الكاف/ تحت شرح "حكما". لقد وضع حضرته رقم الصفحة حسب الطبعة المتوفرة لديه والتي يبدو أنها بقيت في الهند على هذه الشاكلة. المترجم

يذكر الإنسان الإجماع في مثل هذه المسألة. من المؤسف أن حضرات المشايخ يخذعون العامة ولا يفكرون عند الكلام بأن العالم بأسره ليس أعمى، فالذين يقرأون الكتب ويثبتون الخيانات هم أيضا موجودون في القوم أنفسهم، فحين يلاحظ هؤلاء المشايخ المزعومون أنهم عجزوا عن تقديم النصوص من القرآن والأحاديث ولم يبق لهم أي مهرب، وليست في أيديهم أي حجة؛ فإنهم يقولون مضطرين بأنه قد تم الإجماع على ذلك. فصدق من قال إن الشيخ هو من لا يسكت حتى لو تكلم زورا. فهؤلاء يعرفون أن هناك اختلافا حتى في معنى الإجماع، فعند البعض ينحصر الإجماع في الصحابة وعند البعض الآخرين يمدونه إلى القرون الثلاثة وبعضهم إلى الأئمة الأربعة. فما قاله الصحابة والأئمة قد تبين، فالإبطال للإجماع يكفي انسحاب شخص واحد فقط، ناهيك عن إمام عظيم كالإمام مالك رحمته الله الذي يقدر عدد أتباع قوله بعشرات الملايين؛ فهو يقول بوفاة عيسى عليه السلام صراحة، ومع ذلك يقول هؤلاء بأنه قد تم الإجماع على حياته، الخجل الخجل الخجل!

إن قول الإمام أحمد رحمته الله عن الإجماع مبني على بحث عظيم وإنصاف، فهو يقول بأن من ادّعى الإجماع فهو كاذب. فمن هنا تبين أن الوثيقة الحقة الصادقة والكاملة للمسلمين هي القرآن الكريم والحديث فحسب، وكل ما عداهما عديم القيمة. لكن الحديث الذي يعارض بينات القرآن المحكمات ويسرد قصة منافية لقصصه هو في

الحقيقة ليس حديثاً، بل سيكون قولاً محرفاً، أو يكون أصلاً موضوعاً ومزيفاً، وهو بلا شك جدير بالرد. لكن من فضل الله ﷺ وكرمه أن الحديث لم يعارض القرآن في مسألة وفاة المسيح في أي موضع قط، بل صدّقه. فقد ورد في القرآن الكريم ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وورد في الحديث "مميّتك"، وفي القرآن ورد ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، وفي الحديث أثبت النبي ﷺ باستخدام جملة فلما توفيتني نفسها بحقه دون أي تغيير أو تعديل على أنها تعني الإمامة لا غير. ويُستبعد من شأن النبي ﷺ أن يحرف المعاني التي أرادها الله، بحيث يبين لآية من القرآن الكريم التي تعني الرفع حياً أنها تعني الإمامة وذلك باستخدامها بحق نفسه. فهي خيانة وتحريف؛ وإن نسب هذه العملية الخبيثة إلى النبي ﷺ فسق من الدرجة الأولى في رأيي بل هو قريب من الكفر. من المؤسف ما آل إليه مآل هؤلاء المشايخ الخونة بغية إثبات حياة عيسى عليه السلام، بحيث يصفون النبي ﷺ محرف القرآن والعياذ بالله. فماذا نقول سوى: لعنة الله على الخائنين الكاذبين. كان الأمر سديداً وقويماً أن نبينا ﷺ نسب آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إلى نفسه بالضبط كما كانت منسوبة إلى عيسى عليه السلام، ولم يقل إن هذه الآية إذا وردت بحق عيسى عليه السلام يكون لها معنى آخر مختلف عن معناها في حال نسبتها إلي. مع أنه إذا كان النبي ﷺ ينوي أي تغيير وتبديل معنوي لكان واجبا عليه أن يقول درءاً للفتنة عند هذا التشبيه والتمثيل: حذار أن تفهموا من كلامي هذا

عندما سوف أقول لله ﷻ يوم القيامة: "فلما توفيتني" وأثبت له بذلك أن الفاسدين فسدوا بعد وفاي، حذار أن تفهموا أن المسيح ﷺ أيضا سوف يقصد من هذا القول إن الذين فسدوا من أمته فإنما فسدوا بعد وفاته. لأنني حين أستخدم هذه الجملة فأقصد وفاي، أما المسيح ﷺ فحين تصدر من فمه هذه الجملة فلن يقصد من ذلك وفاته، بل سيكون مراده من استخدام هذه الجملة رفعه حيًّا! لكن النبي ﷺ لم يبين هذا الفرق. ومن هنا ثبت قطعاً أن النبي ﷺ قصد معنى واحداً في كلا الموضعين. فالآن يجب أن ننظروا بفتح العينين أنه ما دام النبي ﷺ وعيسى ﷺ كلاهما مشتركان في جملة "فلما توفيتني"، فكأن هذه الآية نزلت بحق كليهما، وأي معنى تبيينونه لهذه الآية سينطبق على كليهما. فإن قلتم إن المراد هنا من التوفي الرفع حيًّا إلى السماء فلا بد لكم من الإقرار بأن في هذا الرفع المادي حيًّا لم ينفرد عيسى ﷺ به، بل قد رُفِعَ نبينا ﷺ أيضاً إلى السماء حيًّا. لأن الآية تشملهما على حدّ سواء. ومعلوم أن النبي ﷺ لم يرفع إلى السماء حيًّا، بل قد توفي وقبره المبارك موجود في المدينة المنورة. فهذا يستلزم الإيمان بأن عيسى ﷺ أيضاً كان قد توفي. والطريف أن قبر عيسى ﷺ أيضاً موجود في بلاد الشام، وللتوضيح أكثر نسجل في الحاشية شهادة أخي وحبي في الله السيد المولوي محمد السعيد الطرابلسي،

وهو من سكان طرابلس في بلاد الشام، وفي حدوده يقع قبر عيسى عليه السلام. وإن قلت إنه قبر مزيف فيجب إثبات التزييف، ويجب أن تثبتوا متى صدر هذا التزييف. وفي هذه الحالة لن تبقى القناعة بقبور الأنبياء

^١ حين استفسرت السيد المولوي محمد السعيد الطرابلسي الشامي - عبر البريد- عن قبر عيسى عليه السلام، قال في الرد على رسالتي ما أسجله مع الترجمة أدناه.

يا حضرة مولانا وإمامنا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نسأل الله الشافي أن يشفيكم. أما ما سألتكم عن قبر عيسى عليه السلام وحالات أخرى مما يتعلق به فأبينه مفصلا في حضرتكم؛ وهو أن عيسى عليه السلام ولد في بيت لحم وبينه وبين بلدة القدس ثلاثة أقواس وقبره في بلدة القدس وإلى الآن موجود وهنالك كنيسة وهي أكبر الكنائس من كنائس النصارى وداخلها قبر عيسى عليه السلام كما هو مشهود وفي تلك الكنيسة أيضا قبر أمه مريم ولكن كل من القبرين على حدة وكان اسم بلدة القدس في عهد بني إسرائيل يروشلم ويقال أيضا أورشليم، وسميت من بعد المسيح إيلياء، ومن بعد الفتح الإسلامية إلى هذا الوقت اسمها القدس، والأعاجم تسميها بيت المقدس، وأما عدة أميال الفصل بينها وبين طرابلس فلا أعلمها تحقيقا، نعم يعلم تقريبا نظرا على الطرق والمنازل، وتختلف الطرق. الطريق الأول من طرابلس إلى بيروت؛ فمن طرابلس إلى بيروت منزلين متوسطين (وقدر المنزل عندنا من الصباح إلى قريب العصر) ومن بيروت إلى صيدا منزل واحد، ومن صيدا إلى حيفا منزل واحد ومن حيفا إلى عكا منزل واحد، ومن عكا إلى سور منزل واحد. ويقال لبلاد الشام سورية نسبة إلى تلك البلدة في القديم ثم من سور إلى يافا منزل كبير، وهي على ساحل البحر، ومنها إلى القدس منزل صغير. والآن صنع الريل (أي أنشئت سكة الحديد) منها إلى القدس، ويصل القاصد من يافا إلى القدس في أقل من ساعة. فعدة المسافة من طرابلس إلى القدس تسعة أيام مع الراحة، وإليها طرق من طرابلس وأقربها طريق البحر، بحيث لو ركب الإنسان من طرابلس بالمركب الناري يصل إلى يافا بيوم وليلة ومنها إلى القدس ساعة في الريل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أدام الله وجودكم وحفظكم وأيدكم ونصركم على أعدائكم، آمين.

الآخرين أيضا، وسنضطر للزعم بأنها أيضا ربما مزيفة. على كل حال قد ثبت معنى آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ حصرا أنه ﷺ أماته. بعض المولويين المزعومين السفهاء يقولون صحيح أن آية ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ هذه تعني الإمامة فقط لا غير، لكن ذلك الموت سيصيبه بعد النزول، وإلى الآن لم يصبه.

لكن المؤسف أن هؤلاء الأغبياء لا يفقهون أن هذا يفسد معنى الآية، لأن الآية تعني أن عيسى عليه السلام سيقول لله ﷻ: "إن أفراد أمتي فسدوا وضلوا بعد وفاتي؛ أي كانوا على الصراط المستقيم ما دمت حيًا، وأن أمتي ضلت بعد وفاتي لا في حياتي".

لذا إن قلت إن عيسى عليه السلام لم يموت حتى الآن فهذا يستلزم الإقرار أيضا أن أمته إلى الآن لم تضل، لأن الآية تفصح عن منطوقها بجلاء، أن أمته لن تضل ما لم يموت. وحقيقة كلمة الوفاة أو بتعبير آخر الموت واضحة جلية يعرفها العالم كله؛ وهي أننا حين نقول بحق أحد أنه مات أو توفي فإنما المراد حصرا أن ملك الموت قبض روحه وفصلها عن الجسم. فليقل المنصفون الآن ما الذي يمكن أن يشكل إثباتا أقوى لوفاة عيسى عليه السلام. وهل يمكن أن يكون في العالم قرارًا أكثر منطقية من هذا الذي ورد في هذه الآية، وإن لم يكن نحت معان أخرى لها مقابل لذلك بتحريف كلام الله ﷻ كاليهود بقلب نجس من الفسق والإلحاد فما يكون؟ فكان من مقتضى الإنصاف أن ينقض معارضونا

هذا الإثبات القطعي واليقيني إذا لم يريدوا التسليم به، لكنهم لم يفعلوا ذلك، وأثبتوا لنا بتأويلات ركيكة وبتركهم سبل الحق تماماً أنه لا يعينهم الصدق بتاتا.

لقد وصفوا إنكار حياة عيسى كفرا ولم يمعنوا النظر أن القرآن ونبيّ آخر الزمان كلاهما متفقان على بيان وفاة عيسى واستخدما اللسان واللفظة نفسها. كما أقر بالوفاة إمامٌ جليل الشأن كمالك، وإمام الحديث مقبول الزمان كالإمام البخاري قد جمع آيتين مختلفتين في موضع لمجرد إثبات الوفاة، والمحدث ابن القيم أقر بوفاة المسيح في كتابه "مدارج السالكين"، وكذلك صرح العلامة الشيخ علي بن أحمد بوفاة في كتابه "السراج المنير"، وقد خلا علماء كبار من المعتزلة مقرين بوفاة المسيح. لكن معارضينا إلى الآن يقولون بأنه قد حصل إجماعٌ على حياة المسيح، فما أروعه من إجماع. رحم الله هؤلاء فقد تجاوزوا الحدود، فالأمور التي ثبتت من كلام الله والرسول قد وصفوها كفرا، إنا لله وإنا إليه راجعون.

لا نريد أن نطيل الموضوع أكثر ولا نريد أن نؤكد أن كتيب المولوي رسل بابا "حياة المسيح" زاخر بالسخف وأمور لا أصل لها. لكن الأمر المهم جدا الذي من أجله أُلّفنا هذا الكتيب، هو أن المولوي المذكور قد تفوه في كتيبه- لإرضاء العامة فقط- بالكلمات المعدودة التالية: إن من يبطل أدلتنا على حياة المسيح فسوف نقدم له ألف

روبية. لقد تبينت أدلته، أن المولوي المذكور عبثا سوّد بعض الصفحات وأماط عن نفسه اللثام، وسجل فيه أموراً سخيفة لا نستطيع أن نسميها باسم ثالث؛ فهي إما مجرد دعاوى واعتبارها أدلة لحقق وبطلان، وإما هي تحريف القرآن الكريم على شاكلة اليهود لا أكثر، ويبدو أنه قد رسخ في قلبه هو أيضاً أن كتابه فارغ، لذا فقد قال في نهاية الكتاب سترًا على ذلك بأن فهم كتيبه يتعذر على أحد ما لم يدرس منه درسا. فلماذا قال ذلك؟ إنما ليقينه بأن كتيبه خال تماما من الأدلة المقنعة وما هو إلا طبل أجوف، وأن العارفين سيعلمون بأنه ليس فيه شيء. لذا قال على شاكلة التعليق بالمحال بأن الأدلة التي أوردها فيه خفية لا يطلع عليها كل فلان وعلان، وإن لسانه وحده مفتاح لها. وأنه ما لم يقم أحد عنده لمدة ولم يدرس منه هذا الكتاب درسا على شاكلة التلامذة فلن يستفيد من هذه الأوراق المبعثرة. أيها المولوي صاحب الكلام الفارغ والبداء، إذا كانت أدلتك مقبورة وواقعة في الظلام بحيث لا تدل على نفسها في كتابك كبرهان حي، فما الداعي لتأليف مثل هذا الكتاب السخيف الباطل. فما دمت تعرف أن الأدلة واهية جدا وسخيفة وهي عديمة المعالم دون هرائك الشفهي، فتأليف هذا الكتاب بلا جدوى، بل إن تسميته بالأدلة هي أصلا في غير محلها، ومخجلة، وتندرج تحت باب الثرثرة والسخف.

صحيح أن هذا العالم مليء بأنواع الخداع والزيف، لكن من النادر

أن يسمع أحد بالزيف الذي قام به المولوي رسل بابا، إذ قد اشترط على من يريد أن يفهم الأدلة أن يتلمذ على يديه ويدرس منه الكتاب درسا، حيث أيقن في قلبه أن أي ذكي ولبيب لن يقبل بأن يتلمذ على يد جاهل وغيبي، ليتعلم منه كتيبه الشيطاني درسا، أملا منه أن يطلع على الأدلة الكامنة في هذا الكتاب على حياة المسيح التي يستحيل أن يطلع عليه العالم بنفسه حتى لو قرأه ألف مرة بل عشرات الملايين من المرات، وإنما يمكن العثور عليها بواسطة المؤلف فقط وإرشاده، وإلا فثمة يأس من الاطلاع عليها إلى يوم القيامة.

أيها القراء، هل سمعتم من قبل عن مثل هذا الكتاب الذي تبقى أدلته دفينه في بطن المؤلف حتى بعد ورودها فيه؟ من المؤسف أن في المشايخ المعاصرين توجد مكاييد سخيفة من هذا القبيل، تتيح للمعارضين الفرصة للضحك والسخرية. وسبب ذلك أن الذين هم في الحقيقة علماء وأفاضل وأهل العلم ينضمون إلينا إعراضا عن هؤلاء السفهاء قصيري الفهم. أما المولويون المزعمون فلا يتقنون الكتابة بالأردية وهم غافلون عن القرآن الكريم والأحاديث، وإنما يعارضوننا مجرد تقليدهم لأبائهم، وكأننا قتلنا أحد آبائهم. إن شغلهم الشاغل ليل نهار إطلاق الشتائم والاستهزاء والتكفير فقط. وكأنهم لن يموتوا أبدا، وأنهم لن يُسألوا لماذا كفّروا المسلمين. فهم يحاربون الله ولا يكفون عن العناد. لكنه كان يجب أن تتحقق نبوءة النبي ﷺ التي قال فيها بأنه

عندما سيظهر المهدي المعهود أي ذلك المسيح الموعود فسوف يُفتي المولويون في عصره بكفره. ثم يقول النبي ﷺ إن أولئك المفتين سيكونون أسوأ من أشرار العالم كله، ولن يكون على وجه الأرض فاسقٌ مثلهم. وأنهم لن يُقبلوا أبداً إلا بالنفاق. الأسف كل الأسف أن هؤلاء البسطاء لا يفقهون؛ فكيف يكون من يتكلم بحسب ما قال الله ورسوله كافراً؟! وهل يمكن أن يقبل أحدهم أن آلاف الأكابر وأهل الله الذين مروا خلال اثني عشر قرناً أي إلى يومنا هذا قائلين بوفاة المسيح كلهم كانوا كافراً؟ وأن الإمام مالك الذي علّم ذلك عشرات الملايين من أتباعه، أيضاً كافر والعياذ بالله؟ وأن الإمام البخاري الذي أدرج في باب في صحيحه وفاة عيسى ﷺ خاصة، أيضاً كافر والعياذ بالله؟ وابن القيم الذي عدّه من الموتى كموسى ﷺ أيضاً كافر؟ وأن المسلمين الذين يعدّون هؤلاء الصلحاء مسلمين هم أيضاً كفار كلهم؟ وأن المعتزلة الذين مذهبهم أن عيسى ﷺ قد توفي في الحقيقة هم أيضاً كلهم كفار؟

ألن تموتوا يوماً أيها المشايخ الأشقياء؟ إذ قد جعلتم العالم كله كافراً بالتكبر والدهاء، لقد قال الله ﷻ من قال لكم "السلام عليكم" فلا تقولوا له لست مؤمناً، أي لا تحسبوه كافراً، بل هو مسلم. أما أنتم فقد كفرتم أولئك الذين هم شركاؤكم في المعتقدات الإيمانية كلها، فهم أهل قبلة وبريعون من الشرك، ويعدّون مدار النجاة أتباع رسول الله

ﷺ، ويعدون المُعرض عنه ﷺ لعينا وجهنميا ومن أهل النار. أيها المولويون الأشرار، سترون بعد الموت ما هي نتائج شر هذا التسرع، فهل شققتم صدري، وتأكدتم أن فيه كفرا ولا يوجد فيه إيمان، وأن الصدر مسودّ وليس منورا؟ فاصبروا قليلا، فالدنيا ليست طويلة.

إنكم تعدون بضعة من المولويين الفتانين الذين هم عار على الإسلام مسلمين وبقية العالم كله كافرا، الأسف كل الأسف كم قست قلوب هؤلاء، وكم من الحُجُب وقعت على قلوبهم. يا إلهي، ارحم هذه الأمة، وخلصهم من شر هؤلاء المولويين، واهدهم إذا كانوا جديرين بالهدى وإلا فارفعهم من الأرض، لئلا يتفشى الشر أكثر. فهؤلاء ليسوا في الحقيقة مولويين، ولذلك قلنا لقائدهم الشيطان وإمام الفتن وأستاذهم الشيخ محمد حسين البطالوي موجّها الخطاب إليه في كتابي "نور الحق"، أنه إذا كان له نصيب من العربية فليقدم نظيرا لهذا الكتاب، وليأخذ منا جائزة خمسة آلاف روبية. لكن الشيخ لم يتوجه إلى هذا الأمر، مع أن الشيخ المذكور بمنزلة الأستاذ لكل هؤلاء وبتحريكه يتحرك هؤلاء الموتى.

إنني أقول مرارا وتكرارا وبكل قوة إن الشيخ وجميع ذرياته هؤلاء جهلةٌ تماما وأغبياء وغير ملمين باللغة العربية. ولقد ألّفنا تفسير سورة الفاتحة لاختبار هؤلاء فقط. أما كتيب نور الحق فصحيح أي كنت قد ألّفته لاختبار مشيخة القساوسة، إلا أن بعض هؤلاء المعارضين - أي

الشيخ محمد حسين البطالوي وميان رسل بابا وغيرهما من الذين يقتفون أثره وهم مكفّرون ومسيئون ووقحون- ليسوا خارج هذا الخطاب. إنما ثبت من الإلهام أن أيّاً من الكافرين والمكفرين لن يقدر على كتابة الرد على كتيب "نور الحق"، لأنهم كاذبون ومفترون وجاهلون وأغبياء.

إذا كانوا لا يعدّون إلهامي إلهاما ويعدّونه لخبث باطنهم من اختلاقي، أو يعدّونه وسوسة شيطانية، فليكتبوا الرد على كتيب "نور الحق" في الميعاد المحدد، وإن لم يستطيعوا فقد تحقق إلهامي. فالذين حققوا إلهامي بأنفسهم بإظهار جهلهم وعدم جدارتهم فهم قد سلّموا بدعواي من جهة، وبعده لا يجدر بالسماع هراؤهم للمعارضة. إنني أدعو لهذه المواجهة جميع القساوسة والشيخ محمد حسين البطالوي والمولوي رسل بابا الأمرتسري ورفاقه الآخرين كلهم. وقد أعطيناهم جميعاً مهلة إلى نهاية يونيو/حزيران ١٨٩٤ لتقديم الطلب. أما نشر الكتيب مقابلنا فلهم مهلة ثلاثة أشهر من أجل ذلك من يوم تقديم الطلب.

وإذا لم يقدموا الطلب إلى نهاية يونيو/حزيران ١٨٩٤ فلن يُسمع أيُّ طلب بعده، ويثبت غباؤهم للأبد، ويُسحب منهم لقب المولوية. لكن إذا تقدم أحدهم بطلب في شهر يونيو/حزيران ١٨٩٤ وأبدى استعداداً على إعداد كتيب مقابلي فسوف تعدّ طلبات الجميع طلباً

واحدا فقط. وسوف تودع خمسة آلاف روبية فقط لا أكثر. والذين سيُعدّون فائزين في إعداد الكتيب بالمقابل سواء أكانوا مسيحيين أو من هؤلاء المولويين المزعومين المعارضين للحق، أو كلاهما، فسوف يقسمون مبلغ خمسة آلاف هذا فيما بينهم وسيكون من خيارهم أن يؤلفوا الكتيب مجتمعين، ولعل ذلك يسهل عليهم. إلا أنهم لن يروا سوى نتيجة: ﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ وسواد الوجه في الدارين. وإن لم نودع خمسة آلاف روبية في أحد البنوك خلال ثلاثة أسابيع بعد وصول طلبهم هذا الذي يجب أن تُثبت عليه شهادة عشرة زعماء مشهورين على الأقل، والذي يجب أن يرسل إلينا بالبريد المسجل بعد نشره في أي جريدة؛ فسنعُدّ من الكاذبين وتعدّ دعوانا هذه كذبا. وذلك لأن الوعد باللسان بتقديم جائزة لا حقيقة له، إذ يمكن أن يُقبل عليه أي كاذب ذي نية فاسدة. فالصادق من يُثبت ما صدر من لسانه. وإلا فلعنة الله على الكاذبين. لكن إذا أودعنا المبلغ ثم هرب المنافقون من المواجهة فإن النفقات التي تترتب على نقضهم العهد هذا ستؤخذ منهم كلّها مباشرة أو عن طريق المحكمة. كما يجب أن يكون في طلبهم إقرارٌ بأنهم لم يتمكنوا من كتابة الرد.

الآن نذكر جائزة المولوي رسل بابا بمبلغ ألف روبية. لقد سبق أن بيّنا أن المولوي رسل بابا نشر كتيبه "حياة المسيح" بشرط ألف روبية، أي أن الذي سيفند أدلته سيعطى ألف روبية، لكن المولوي المذكور قد

بين في الكتيب نفسه أن الأدلة الواردة في هذا الكتيب بمنزلة أحجية أو لغز ولا يمكن لأحد أن يفهمها ما لم يقرأ هذا الكتيب منه درسا. لعل الألباء أدركوا أيُّ خوف قد استصدر منه هذه الأمور، وأي فرع كان يكمن في قلبه فساقه إلى هذه التصرفات الثعلبية، فقد فطنا فور سماع هذا الكلام إلى ما يقصده بإيراد الكلمات السرية للجنية، وأدركنا السبب المؤلم لضجاته والخوف الذي جعله يقول إن الأدلة في جوفه.

على كل حال نريد أن نفهمه من خلال هذا الكتيب أن عليه أن يودع ألف روبية إلى نهاية شهر يونيو سنة ١٨٩٤ عند الخواجه يوسف شاه المحترم والشيخ غلام حسن المحترم ومير محمود شاه المحترم؛ أي أن يودع عند الثلاثة باتفاق ويخبرنا بإقرارهم الخطي بأنهم استلموا ألف روبية، وأنهم سيسلمون هذا المبلغ لمرزا غلام أحمد- أي راقم هذا الكتيب- في حال تحقق غلبته فورا ودون إبطاء. ولن تكون أي علاقة لرسل بابا بهذا المبلغ. ولقد احتجت إلى هذا الإقرار الخطي لكي نطمئن تماما ونتأكد بأن المبلغ قد وصل إلى الحكام لكي نشتغل في استئصال كتيب المولوي رسل بابا، ونستعد لحسم الموضوع، على أن يتقرر الحكم الشيخ محمد حسين البطالوي أو مولوي معارض سام آخر مثله. ولإصدار الحكم واتخاذ القرار سيكفي أن يحلف الشيخ البطالوي في اجتماع عام بعد قراءة كتيب المولوي رسل بابا وكذلك كتيبنا من أوله إلى آخره، ويكون موضوع الحلف: أيها الحضور، والله

لقد قرأتُ كلا الكتبيين من أولهما إلى آخرهما وأقول مقسما بالله إن كتيب المولوي رسل بابا في الحقيقة يُثبت يقينا وقطعا حياة عيسى عليه السلام، أما الكتيب الذي صدر للخصم فردوده لم تستأصل أدلته. وإذا كذبتُ في هذا الأمر أو كان في قلبي أمر معارض، فأنا أدعو الله أن يصيبي جذامٌ خلال سنة واحدة أو أفقد البصر، أو أموت بعذاب بئس آخر، فقط. وبعد أن يؤمّن الحضور ثلاث مرات بصوت عال، أمين أمين أمين، ينتهي الاجتماع.

وبعد ذلك إذا سلّم ذلك الحالف من كل هذه الآفات لمدة سنة فسوف تعيد اللجنة المحددة ألف روية للمولوي رسل بابا باحترام، وعندها سنعلن نحن أيضا إقرارا بأن المولوي رسل بابا قد أثبت حياة المسيح عليه السلام في الحقيقة. إلا أن مبلغ ألف روية سيبقى مودعا عند اللجنة لمدة سنة واحدة. وإن لم يُودع المولوي رسل بابا ألف روية خلال أسبوعين بعد صدور هذا الإعلان، فسوف يتبين كذبه وزوؤه، وعندها سيكون واجبا على كل واحد أن يستعيد من شر هؤلاء الكذبة المزورين ويحتنبهم. فليكن واضحا أنه قد أصابنا من هذه الفئة المعارضة أدّى بشكل عام، وليس من احتقار أو إساءة أو مسبةٍ وشتيمة لم تصدر من قِبلهم ضدنا. فحين لم يستطيعوا إلحاق أي ضرر بنا بالتكفير والسباب توجّهوا إلى الدعاء علينا، وبدأوا يدعون عليّ ليل نهار. لكن متى كانت أدعية هؤلاء العنيدين ذوي القلوب السوداء

ظلما لتُقبل عند الذي هو خبير بأسرار القلوب. وأخيرا حين لم يستفيدوا من الأدعية أيضا، توجّهوا يأسا من الله إلى الحكومة الإنجليزية ووشّوا بي عندها، وألّفوا الكتب بافتراء، وزعموا أن هناك خطر الفتنة من وجودي ويُحشى الجهاد. لكن هذه الحكومة العاقلة والمتفرّسة ومدركة الحقائق ما كانت لتنتظلي عليها مكاييد الحساد هؤلاء. فالحكومة تعرف جيدا أن هذه هي معتقدات هؤلاء، وأن هؤلاء هم الذين ظلوا يقولون على مدى مئات السنين إن الإسلام يجب أن يُنشر بالجهاد، وليس ذلك فحسب بل يقولون أيضا إنه عندما سيظهر مهديّهم المزعوم أو يخرج من غار، ففي الزمن نفسه سينزل من السماء عيساهم المزعوم أيضا وسيحضر معه حربة حادة من السماء لقتل الكفار، وكلاهما معا سيقتلون جميع الكفار في العالم، والذي أنكر الإسلام سيقتل سواء أكان من اليهود أو النصارى. فهذه هي معتقداتهم الراسخة، وإذا كان أحد يشكُّ في ذلك فليسأل أي مولوي في المحكمة حلفا. لكي يتضح على المحكمة هل هذه هي معتقدات هؤلاء في الحقيقة أم أننا أخطأنا في البيان.

لكننا نخبر الحكومة بصوت عال أن نشر دين الإسلام بالحرب والجهاد العدواني في هذا العصر ليس من معتقداتنا. كما أننا لا نعتقد بأن نقاتل كالمتمردين الحكومة التي نعيش في ظلها ونستفيد من الأمن والسلام والعافية بكنف حمايتها، ونتمكن في حمايتها من

نشر ديننا بكل سرور. ألا نعيش في ظل هذه الحكومة الإنجليزية بأمن وعافية؟ ألا نستطيع نشر ديننا بحسب رغبتنا، هل مُنعنا من العمل بالأحكام الدينية؟ كلا. بل الحق تماماً أن ما نستطيعه في هذا البلد من إلقاء الوعظ الإسلامي والنصائح في الأسواق والأرقة والشوارع، ببذل المساعي والجهود بسلام وحرية ونقدر على إيصال الحق إلى كل أمة، لا نستطيع إنجاز كل هذه الخدمات في مكة المعظمة نفسها، دع عنك مكانا آخر. فهل يجب علينا الشكر على هذه النعمة أم نبدأ بنشر الفتنة والتمرد.

وصحيح أننا نرى هذه الحكومة على خطأ كبير في الدين، ونراها متشبثة بعقيدة مخجلة، إلا أننا نرى أنه من الذنب الشنيع ومن الخبث أن نفكر في التمرد على مثل هذه الحكومة المحسنة. صحيح أننا من ناحية الدين نرى هؤلاء القوم على خطأ صريح ومبتلّين بمعتقد من صنع البشر. وفي هذه الحالة نريد إصلاح ذلك بالدعاء والاعتناء بهم، ونسأل الله أن يفتح عيون هؤلاء القوم، وينور قلوبهم ويكشف عليهم أن عبادة إنسان من البشر ظلم عظيم. من هو المسيح عليه السلام؟ إنما هو إنسان ضعيف، وإذا أراد الله تعالى لخلق في لحظة واحدة عشرات الملايين مثله بل أفضل منه آلاف المرات، فهو على كل شيء قدير، وهو يفعل ما يشاء. فتتوير كفة من التراب هين عليه جدا. فالذي

يأتيه بقلب سليم وحب كامل فمن المؤكّد أنه سيُدخله في عباده الخاصّ، فهل لمدارج القرب التي يمكن أن يرتقي إليها الإنسان أي نهاية؟ كلا. يا عبدة الموتى إن الإله الحي موجود؛ إذا بحثتم عنه وجدتموه، وإذا مشيتم إليه بصدق فسوف تصلون إليه حتما. فمن عمل العيّنين والخنائى أن يعبدوا إنسانا مثلهم. إذا كنتم تعدون أحدا قد بلغ الكمال فاسعوا لتكونوا مثله، لا أن تعبدوه. إلا أن الإنسان الذي أبدى بذاته وصفاته وأفعاله وأعماله وبقواه الروحانية المقدسة- المتدفقة كالنهر- نموذج الكمال التام علما وعملا وصدقا وثباتا وسمي إنسانا كاملا هو ليس والله المسيح ابن مريم، إنما المسيح كان نبيا عاديا، وصحيح أنه كان واحدا من قبل عشرات الملايين من المقربين، إلا أنه كان من هذه الفئة العادية وكان بسيطا ليس أكثر. ويمكن أن تتأكدوا من ذلك بقراءة الإنجيل حيث ورد أنه كان من مريدي النبي يحيى وتعمد على يديه كالتلامذة.

فكان قد جاء لأمة معينة، والأسف كل الأسف أن العالم لم يستفد منه أي فائدة روحانيا، فقد ترك في العالم نموذج نبوة ثبت أن ضررها أكثر من نفعها، وبمجيئه تزايد الابتلاء والفتنة. ونالت فئة كبيرة من العالم نصيبا من الهلاك، ولا شك أنه كان نبيا صادقا وكان من مقربي الله ﷻ. أما الذي كان أكمل إنسان وأكمل نبي، وجاء ببركات كاملة، فظهرت القيامة الأولى في الدنيا بسبب البعث والحشر

الروحانيين، وبعثته عاد العالم الميت بأسره إلى الحياة، فهو النبي المبارك سيدنا خاتم الأنبياء، إمام الأصفياء، ختم المرسلين فخر النبيين جناب محمد المصطفى ﷺ. فيا ربنا الحبيب أنزل على هذا النبي الحبيب رحمة وبركة لم تُنزلهما على أحد منذ بدء الخليقة. فلو لم يأت هذا النبي العظيم في الدنيا لما كان عندنا دليل على صدق بقية الأنبياء الصغار الذين جاؤوا إلى الدنيا مثل يونس وأيوب والمسيح ابن مريم وملاخي ويحيى وزكريا وغيرهم وإن كانوا كلهم مقربين ووجهاء وأحباء الله. فمن منّة هذا النبي أنهم عُذُّوا صادقين في الدنيا. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وآله وأصحابه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.^١

^١ تنتهي هنا ترجمة النص الأردني الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

الْوَصِيَّةُ لِلَّهِ لِقَوْمٍ لَا يَعْلَمُونَ

أيها العلماء والمشايخ والفقهاء.. إني رأيت تعاميتكم في مصنفاتكم، فتأجج قلبي لجهلاتكم. إنكم تسيرون في المعامي، ولا تخافون جُوبِ الحوامي [♦]. وإني عَفْتُ أن أفصّل حالاتكم، وأبين مقالاتكم. أتعاميتم مع سلامة البصر، وتجاهلتم مع العلم والخبر؟ كان عندكم العقل والفهم الصافي، ولكن النفس صارت ثالثة الأثافي. إن حبّ العين سلب عينيكم، والطمع في كرم الناس محق كرميتيكم. أقرّأتم العلوم للقرى، وتعلّمتم لرغفان القرى؟ وواعدتم عن الإخلاص الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء. تركتم الشريعة واتّبعتم النفس الدنيّة، وصرتم قوما خاسرين. أكلتم الدنيا بأنواع الدقاير*، وما نجا من فحكّم أحدٌ من القبيل والديبر. طورًا تلدغون في حلل العِظات، وأخرى بالكلم المحفظات. وأجد فيكم ما يسمّ بالإخلاق، وما أجد شيئًا من محاسن الأخلاق. فإنّا لله على مصيبة الإسلام، وإمحال رياض خير الأنام. وإنّا نكتب قصّتكم متجرّعًا بالغصص، ومتورّعًا من مبالغات القصص.

♦ يبدو أنه سهو الناسخ وربما هو "الموامي" كما ورد كثيرا في كتب حضرته عليه السلام.

(الناشر)

* هذا سهو الناسخ والصحيح "الدقاير". (الناشر)

إنكم جعلتم الإسلام مَصْطَبَةَ الْمُقَيِّفِينَ، أو خانَ المدروزين والمَشْفُشِقِينَ. اتقوا الله ويوم الأهوال، وحلول الآفات وتغيُّر الأحوال، واذكروا الحِمَامَ ومساورة الإعلال، وفضوح الآخرة وسوء المآل. واتركوا الكبر والعُجب والخيلاء، فإنها لا يزيدكم* إلا الغطاء. ولا تصحَّ صفة العبودية إلا بعد ذوبان جذبات الحيَّة، أعني هوى النفس الذي هو على بحر السلوك كزبدٍ، فلا تُطيعوا الزبد كعبد، واطلبوا بحر ماء معين.

واعلم يا طالب الحقِّ الأهمِّ، أن علماء السوء ما يخرجون من الفم هو أضرَّ على الناس من السمِّ، ومن كل بلاء يوجد على وجه الأرضين، فإن السموم إذا أضرَّت فلا تضرُّ إلا الأجسام، وأما كلامهم فيضرُّ الأرواح ويُهلك العوام، بل ضررهم أشدَّ وأكثر من إبليس اللعين. يلبسون الحق بالباطل، ويسلّون سيوف المكر كالقاتل، ويصرون على كلمات خرجت من أفواههم وإن كانوا على خطأ مبین. فاستعدَّ بالله منهم ومن كلماتهم، واجتنبهم وجهالاتهم، وكن مع العلماء الصادقين. ولا تضحك على مواجيد الأولياء، والأسرار التي كُشفت على تلك الأصفياء، فإنهم مظاهر نور الله وينابيع ربِّ العالمين. واعلم أنهم قوم صادقون في الأحوال، والمحفوظون في الأفعال والأعمال، ويُعلّمون من أشياء لا يعلمها عقل العلماء، ويُعطون من علم لا يُعطى مثله أحدٌ من العقلاء. فلا يُنكرهم إلا الذي فيه بقية من مسّ الشيطان، وأثر من

* يبدو أنه سهو والصحيح: "تزيدكم". (الناشر)

آثار الجانِّ، ولا يكفّرهم إلا الأعمى الذي ليس همّه إلا تكفير الصالحين.

ألا إن الله عبادًا يحبّهم ويحبّونه، أثرهم وملاً قلوبهم من حبّه وحبّ مرضاته، فنسوا أنفسهم استغراقاً في محبّة ذاته وصفاته، فلا تُعلّق همّتك بإيذاء قومٍ لا تعرفهم ومنازلهم، وإنّك لا تنظر إليهم إلا كعمين. إنهم خرجوا من خلقٍ كان مشابه خلقٍ وجودك، وسعوا إلى مقام أعلى وتباعدوا عن حدودك، ووصلوا مكاناً لا تصل إليها أنظارك، ولا تدركها أفكارك، ونزلوا بمنزلة لا يعلمها إلا رب العالمين. فلا تدخل في أقوالهم كمجتريين، ولا تتحرك بسوء الظنون وقلة الأدب معهم كالمعتدين، فيعاديك ربك وتلحق بالخاسرين. فإياك يا أخي أن تقع في ورطة الإنكار، وتلحق بالأشرار، وتهلك مع الهالكين.

واعلم أن كتاب الله الرحمن، كسبعة أبحرٍ من أنواع نكات العرفان، يشرب منها كل طير بوسع منقاره، ويختار حقيراً ولا يشرب إلا قدراً يسيراً. والذين وسّع مداركهم عنايات ربهم، فيشربون ماء كثيراً وهم أولياء الرحمن وأحبّاء أحسن الخالقين. يهبُّ على قلوبهم نفحات إلهية، فيتعالى كلامهم، فيجهله عقول الذين ليسوا من العارفين. والذين يُعطون أفعالاً خارقة للعادة، وأعمالاً متعالية عن طور العقل والفكر والإرادة، فلا تعجب من أن يُعطوا كلماتٍ، ورزقوا من نكات تعجز العلماء عن فهمها، فلا تنهض كالمستعجلين.

وإن كنت من الذين أراد الله بهم خيراً، فبادِرْ وسِرْ إليهم سيراً، ودَعْ زوراً وضيعراً، وكن من الحازمين. وكم من كلمات نادرات بل محفظات، تخرج من أفواه أهل الله إلهاماً من الله الذي هو مؤيد الملهمين، فينهضون لله ويُبَلِّغونها ويُشيعونها، فتكون سبب مرضاة الله كهفِ المأمورين. ثم تلك الكلمات بعينها بغير تغيير وتبديل تُخْرَجُ مِنْ فَمِ آخَرَ، فيصير قائلها من الذين تركوا الأدب واجتروا وصاروا من الفاسقين. فتأدَّبْ مع أهل الله ولا تعجلْ عليهم ببعض كلماتهم. وإن لهم نياتٍ لا تعرفها، وإنهم لا ينطقون إلا بإشارة ربهم، فلا تُهْلِكْ نفسك كالمجترئين. لهم شأن لا يفهمه إنسان، فكيف مثلك فتان، إلا مَنْ سلك مسلكهم، وذاق مذاقهم، ودخل في سِكَكهم، فلا تنظرْ إلى وجوه مشايخ الإسلام وكبراء الزمان، فإنهم وجوه خالية من نور الرحمن، ومن زيِّ العاشقين. ولا تحسب كلمات المحدثين المكلمين ككلماتك أو كلمات أمثالك من المتعسفين. فإنها خرجت من أنفاس طيبة، ونفوس مطهَّرة مُلَهِّمة، وهي قريب العهد من الله تعالى كثمرٍ غَضٍّ طريٍّ أُخِذَ الآن من شجرة مباركة للآكلين. والقوم لما لم يفهموا كلمات لطيفة دقيقة حَكَمِيَّة إلهيَّة، فعزَّوا أهلها إلى الفُسَّاق والزنادقة والكفَّار وأهل الأهواء. فيا حسرة عليهم وعلى تلك الآراء، إنهم قد هلكوا إن لم يتوبوا ولم يرجعوا منتهين. والأحرار ينتقلون من القالب إلى القلب، وهم انتقلوا من القلب إلى القالب، ونبذوا كل ما علموا وراء ظهورهم للبخل

الغالب، فأصبحوا كقشِرٍ لا لُبَّ فيه وأكلوا الجيفة كالثعالب، وكفروني ولعنوني من غير علم ليستروا الأمر على الطالب، وقالوا كافر كذاب، واتبعوا دأب الذين خلوا من قبلهم من أهل التباب. وكانوا يقولون من قبل إنّ رجلا لا يخرج من الإيمان باختلافات ليس فيها إنكار تعليم القرآن، وإنما الحُكْم بالتكفير لمن صرّح بالكفر واختاره ديننا، وأنكر دين الله القدير وجحد بالشهادتين كالأعداء اللثام، وخرج عن دين الإسلام، وصار من المرتدّين. وقالوا لو رأينا في هذا الرجل خيرا أو راحةً من الدين ما كفّرنا وما كذّبنا وما تصدّينا للتوهين. كلا، بل قستّ قلوبهم من الإصرار على الإنكار، ودعاوى الرياء وفتاوى الاستكبار، فطبع عليها طابع وما وُفّقوا أن يرجعوا مع الراجعين. ولو شاء الله لأصلح بالهم وطهر مقالهم، وجذبهم وأراهم ضلالهم، ولكنهم زاغوا وأحبّوا عيوبهم، فغضب الله عليهم وأزاع قلوبهم، وتركهم في ظلمات، وجعلهم كصمّ وعمين.

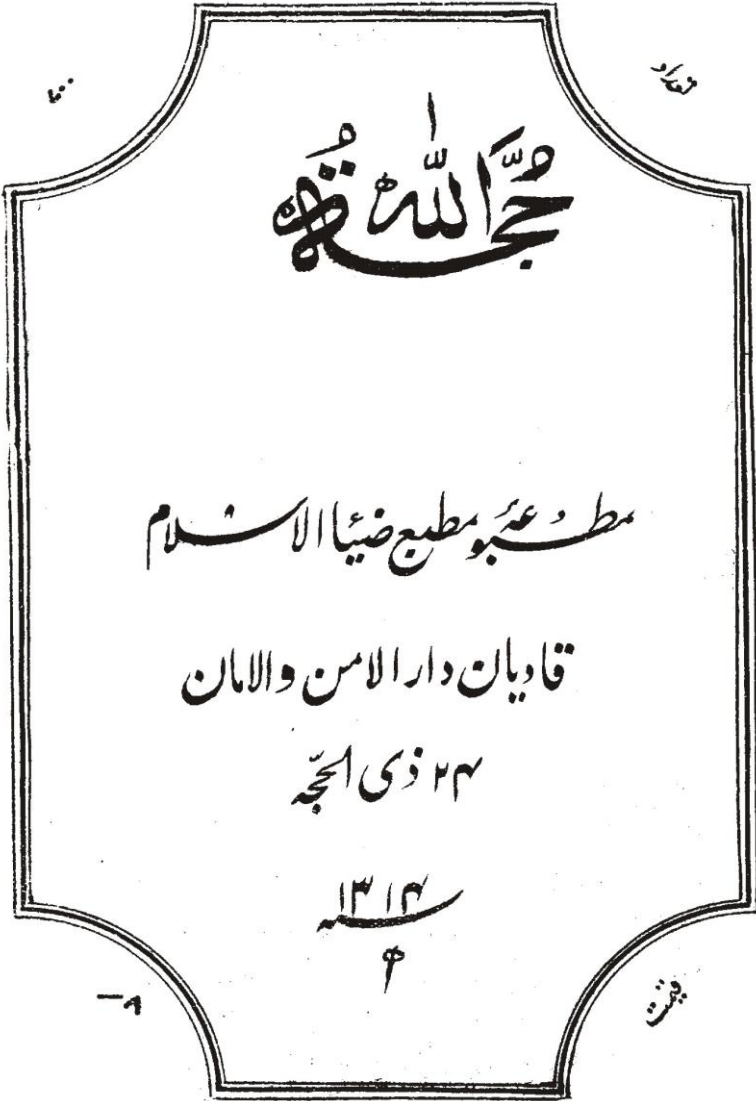
أيها العجول، اتق الله وخفّ أولياء الله الودود، ولا خوفاً من الأسود، وإذا رأيت رجلا تبثّل إلى الله، وما بقي له شيء يشغله عن ربّه، فلا تتكلم فيه ولا تتجرأ على سبّه، أتحارب الله يا مسكين، أو تقتل نفسك كالجنانين؟ واعلم أن أولياء الرحمن يُطرَدون ويُلعنون ويكفّرون في أوائل الزمان، ويقال فيهم كل كلمة شرّ، ويسمعون من قولهم كل الهديان، ويسمعون أذى كثيرا من قومهم ومن أهل العدوان،

ويسمّونهم أجهلّ الناس وأضلّ الناس، مع كونهم من أهل العارفة والعرفان، ويسمّونهم دجالين وعبدّة الشيطان؛ ثم يجعل الله الكثرة لهم، ويؤيّدون ويُنصرون ويبرّأون مما يقولون، ويأتيهم الدولة والنصرة من عند الله في آخر أمرهم من الله المنان، وكذلك جرت عادة الله الديان، أنه يجعل العقابة للمتّقين.

وإذا جاء نصره فترى قلوب الناس كأنها حُلقت خلَقًا جديدًا، وبُدّلت تبديلاً شديداً، وترى الأرض مخضرة بعد موتها، والعقول سليمة بعد سخافتها، والأذهان صافية والصدور مطهّرة بإذن قادرٍ قيومٍ ومُعِين. فيسعون إليهم بالحبّة والوداد، نادمين من أيام العناد، ويثنون عليهم باكين قائلين إنّنا ثبنا فاغفر لنا ربنا إنّنا كنا خاطئين، ومن يرحم إلا هو وهو أرحم الراحمين. هذا مآل الذين سُعدوا وفُتحت أعينهم وجذبوا، وأمّا الذين شقوا فلا يرون حتى يُردّون إلى عذاب مهين.

ربّ أرنا أيامك، وصدّق كلامك، وفرّج كربتنا، واغفر زلاتنا، وارضَ عنّا وتعال على ميقاتنا، وانصرنا على القوم الكافرين. وصلِّ وسلِّمْ وباركْ على رسولك خاتم النبيين. آمين ربنا آمين.

حجة الله



صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

الإعلان فاسمعوا يا أهل العدوان

أيها الناظرون! اعلّموا، رحّمكم الله ورزّقكم رزقًا حسنًا من التفضّلات الجليّة والألطف الخفيّة، أن هذه رسالتي قد تمّت بالعناية الإلهيّة محفوفةً بالأسرار الأنيقة الرّبّانية، ومشمّلةً على محاسن الأدب، والملمح البيانيّة؛ فكأثما حديقة مخضرة، تُعزّد فيها بلابل على دوحة الصفاء، وتُصبي ثمراتها قلوب الأدباء. ومنّ أمعنّ فيها بإخلاص النيّة، وصدق الطويّة، فلا شكّ أنه يُقرّ بفصاحة كلماتها، وبراعة عباراتها، ويُقرّ بأنّها أعلى وأملح من التدوينات الرسميّة، وعليها طلاوة أكثر من المقالات الإنسانيّة. وأمّا الذي جُبلَ على سيرة النعمة والعناد، فيجحد بفضلها ويترك متعمّدًا طريق القسط والسداد، ولو كانت نفسه من المستيقنين. فنحن نُقبل الآن على زُمر تلك المنكرين، ولقد وعيت أسماءهم فيما سَبَق من ذكر المكفّرين والمكذّبين.. أعني شيخ "البطالة" وأمثاله من المفستّقين الفاسقين. فليتناضلوني في هذا ولو متظاهرين بأمثالهم، وليبرهنوا على كمالهم، وإلا كشفت عن سبّهم وأخزيتهم في أعين جُهلّهم. ومن يكتب منهم كتابا كمثل هذه الرسالة، إلى ثلاثة أشهر أو إلى الأربعة، فقد كذّبي صدقًا وعدلاً، وأثبتّ أيّ لست من الحضرة الأحديّة. فهل في الحيّ حيّ يقضي هذه الخطّة، ويُنجّي من التفرقة الأُمّة؟ وليستظهر بالأدباء إن كان جاهلا لا يعرف طرق الإنشاء، وليعلم أنه من المغلوبين. وسيذهب الله بصره ببق من

السماء، فَيُعْشِيهِ كَمَا يُعْشِي الْهَجِيرُ عَيْنَ الْحِرْبَاءِ، وَيُطْفِئُ وَطِيسَ
المفتريين.

أيها المكذَّبون الكذَّابون! ما لكم لا تجيئون ولا تناضلون، وتدعون
ثم لا تُبَارِزُونَ؟ ويلٌ لكم ولما تفعلون يا معشر الجاهلين!

المُعَلِّن

غلام أحمد القادياني

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

ضميمة "حجة الله"

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ

أيها الناظرون، والأدباء المنقِّدون! أنتم تعلمون أني كتبتُ من قبل هذا كتبًا في العربية، وزينتها كالبيوت المشيِّدة المزدانة، ورأيتم أنها تحاكي الدرر العمّانية، وتحاسي الدرر العرفانيّة. وكنتُ أتوقع أنّ العلماء يعدّونها من الآيات، ويعقدون لزوري حُبك النِّطاق بصحّة النِّيّات، وما زلتُ أسلّي بالي بهذا الأمل، حتى وجدتهم فاسدَ النِّيّة والعمل، وبدا أن فراستي قد أخطأت، وأعين العلماء ما انفتحت، وتراءى اليأس وآثار الرجاء انقطعت، وبلغ الأمر إلى حدِّ أن الشيخ الذي هو للطالبيين كسدّ زرى على مقالي، وتكلّم في أقوالي، وقال إنّ هو إلا قول رقيق وما هو بكلام جزل، بل كسقطٍ وهزل، وليس من غرر البيان، ولا من محاسن الكنايات والتبيان. وكل ما رصعتُ في كتبي من الجواهر العربية، والنوادر الأدبية، واللطائف البيانية، والنكات المبتكرة المصبية، أراد المفسدُ المذكور أن يُطفئ نورها، ويمنع ظهورها، ويجعل الناس من المنكرين أو المرتابين. ومع ذلك ادّعى أنه في الأدب رحيب الباع، خصيب الرباع، ومن المتفرّدين. وكذلك خدع الناس بتلبساته، وأضحك الأطفال بخزعبيلاته، وجاء بزور مبين. وجئنا بلولوءٍ رطبٍ فما استجاد، ونفضنا عليه عجماتٍ فما استحلى ثمارنا وما أرى

الوداد، بل زاد بُحلاً وعناداً كالمستكبرين. وقال إن كُتِبَ هذا الرجل مملوءة من الأغلاط والأغلوطات، ومُبَعَّدة من لطائف الأدب ومُلمح المحاورات، وليست كماء مَعِين. فما حَكَمَ بما وجب، بل أخفى الحق ومنع وحجب، وتصدَّى لخدع العوام بعد ما شُغِف بالكلام. وكان يعلم أنّ كتم الشهادة مأثمة، وتكذيب الصادق معصية، ولكنه آثر الدنيا على الآخرة، والنفس الأُمارة على الحضرة الأُحدية. وأراد الله أن يرفعه فأخلدَ إلى الأرض كالفاسقين. وليس في نفسه جوهر من غير تصلّف كالنسون، وخدع الناس بتزويق اللسان، وإنّه من المزورين. يريد أن يُطفئ نوراً، ظلماً وزوراً، ويزيد الناس رهقاً وكفوراً، ويصرف عن الحق قوماً جاهلين. ووالله إنه لا يعلم ما البلاغة وأفنانها، وكيف يحق أدائها وبيانها، وما وصل مقاماً من مقامات فهم الكلام، وإن هو كالأنعام، ومن المحرومين.

فالأمر الذي يُنجي الناس من غوائل تزويراته، وهباء مقالاته، أن نعرض عليه كلاماً منّا وكلاماً آخر من بعض العرب العرباء، ونلبس عليه اسمنا واسم تلك الأدباء، ثم نقول أنّنا بقولنا وقول هؤلاء، إن كنت في زرايتك من الصادقين. فإن عرفَ قولي وقولهم وأصاب فيما نوى، وفرّق كفلق الحبّ من النوى، فنعطيه خمسين رُوفية صِلَةً منّا أو غرامةً، ونحسب منه ذلك كرامةً، ونعدّه من الأدباء الفاضلين، ونقبل أنه كان فيما زرى من الصادقين. فإن كان راضياً بهذا الاختبار،

ومتصدّيًا لهذا المضمار، فليُخبرنا بنية صاحبة كالأبرار، وليُشع هذا العزم في الجرائد والأخبار، كأهل الحق واليقين.

وأما أنا فبعد اطلاعي على ذلك الاشتهار، سأرسل إليه أوراقا للاختبار، ليحكم الله بيني وبين هذا الكفار، وهو أحكم الحاكمين.

وإني أرى مُذ أعوام، أنّ هذا الرجل لا يمتنع من الهذيان، ولا يتقي أخذ الله الديان، فألجأني بخله إلى هذا الامتحان. فإن جاء المضمار وأثبت ما ادعى، ومازّ كلمي من كلمات أخرى، فله ما سمع منّا ووعى، وإن شمر ذيله وانثى، وما طالبنا ما وعدنا وما انبرى، بل انساب ودخل جحره وانزوى، وما ترك التكذيب وما انتهى، فإنّ له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى، والسلام على من اتبع الهدى.

المُعلن

ميرزا غلام أحمد القادياني

٢٦ مايو سنة ١٨٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلني مظهر الآيات، وصيرني ظل سيد الكائنات، وجعل اسمي كاسمه بأنواع النفضلات، فأتم النعم علي لأحمده وأكون له أحمد تحت السماوات، ونصر بي إيمان الناس ليحمدوني وأكون محمدًا بين المخلوقات. فأنا أحمد وأنا محمد كما جاء في الروايات، وأعطيت حقيقة اسمي نبينا فخر الموجودات، كانعكاس الصور في المرآة، فنصلي ونسلم على هذا النبي الأمي الذي تنعكس أنواره في الصالحين والصالحات، وتفتح باسمه أبواب البركات، وتتم بنوره حجة الله على الكافرين والكافرات؛ وعلى آله الطاهرين والظاهرات، وأصحابه المحبوبين والمحوبات، وجميع عباد الله الصالحين.

أما بعد.. فاعلموا أيها الطالبون، والأخيار المسترشدون، أن الله أتم حجتي على الأعداء، وأرى لي الخوارق وأسبغ من العطاء، ورأيت كيف نزلت الآيات من السماء، وكيف فتحت الأبواب للطلباء، ثم الذين بخلوا يُنكرونني لاعنين، ويتركون الديانة والدين. جردوا من غير حق سيف العدوان، وشهروا حسام السب والطغيان، وما كانوا منتهين. إنهم يؤذونني ويسبّونني ويكفرونني، ولا أعلم لم يكفرونني. أيكفرون رجلا يقول إني من المسلمين؟ يُصرون على سبل الضلال والنكوب، فأين خوف الله وتقوى القلوب، وأين سير الصالحين؟ أما جاءتهم الآيات؟ أما ظهرت البيّنات؟ أما حصحص الحق وزُفِع الشبهات؟

أفتعاهدوا على أنهم لا يرجعون إلى حقّ مبين؟ أو تقاسموا على أنهم يُصرون على تكذيبٍ وتوهينٍ؟ أيخوفوني بالسبِّ والشتم والتكفير، ويتربصون بي الدوائر بالحيل والتدابير؟ والله يعلم كيد الخائنين. إنه يعلم ما في نفسي ونفسهم، وإنه لا يُحب المفسدين. وإني عنده مكين أمين، وإن بيني وبينه سرٌّ لا يعلمه إلا هو، فويلٌ للمعتدين. أتحسب الأعداء أن العداوة خيرٌ لهم، بل هي شرٌّ لهم، لو كانوا متفكرين. أيطنون أنهم يهدون ما بنته أنامل الرحمن؟ أو يجوحون ما غرسته أيدي الله ذي المجد والسلطان؟ كلا.. بل إنهم من المفتونين.

يا معشر الجهلاء والسفهاء.. وزمّر الأعداء والأشقياء! أأنتم تطفئون نور حضرة الكبرياء، أو تدوسون الصادقين؟ اتقوا الله، ثم اتقوا إن كنتم عاقلين. أيها الناس.. فارقوا فُرُشَ الكرى، فإن الوقت قد دنا، وإنّ أمر الله أتى، وإنه يريد ليُحيي الموتى. فهل تريدون حياة لا نزع بعده ولا ردّى؟ وهل تحبّون أن يرضى عنكم ربكم الأعلى، أو تُصعرون خدكم مُعرضين؟

واعلموا أي أعطيتُ قميصَ الخِلافة، وتسربلتُ لباسها من حضرة العزة، فارحموا أنفسكم ولا تعتدوا كل الاعتداء، ألا ترون إلى ما تنزل من السماء، أما بقي فيكم رجل من المتّقين؟ ولو كان هذا الأمر من غير الرحمن، لمزّقه الله قبل تمزيقكم يا أهل العداوان. انظروا كيف عنتُم بل مُتّم في جُهد الصباح والمساء، ومددتم إلى الله يد المسألة والدعاء،

فرددتهم مخذولين في الحافرة، وما حصل إلا إضاعة الوقت وزفريات الحسرة. فما لكم لا تتفكرون في أقدار تنزل، ولا ترغبون في أنوار تُستكمل، أهذا فعل الإنسان؟ أهذا من الكاذب الدجال الشيطان؟ فلا تُهلكوا أنفسكم بجهلات اللسان، واستعينوا متضرّعين.

يا حسرة عليكم! إنكم لا تنظرون متوسّمين، وإذا نظرتم نظرتم لاعبين، ولا تُمعنون خاشعين. أتتركون في هذا اللهو واللعب، ولا تُقادون إلى نارٍ ذات اللهب، ولا تُسألون عمّا عملتم مستكبرين؟ لا تُلهيكم أموالكم وأولادكم، فإن الحِمام ميعادكم، ثم قهرُ الله يصطادكم، وأين المفرّ من ربّ السماوات والأرضين؟

وقد رأيتم آية الكسوف فنسيتموها، ثم رأيتم آية الله في "آتم" © فكذبتموها، وتجلّت لكم آية موت "أحمد بيك" فما قبلتموها، وقرأتم

© هو القس عبد الله آتهم، كان مسلماً ثم ارتدّ وتصرّ وأصبح نشيطاً في نشر المسيحية. كان شغله الشاغل الإساءة إلى الإسلام ونبيه ﷺ، حتى سمى نبينا المصطفى ﷺ دجالاً - والعباد بالله. فتحدهاه المسيح الموعود الكليّة وخاض معه في ١٨٩٣م بمدينة أمرتسر الهندية في مناظرة استمرت خمسة عشر يوماً. وأعلن حضرته الكليّة عند نهاية المناظرة أن الله تعالى أنبأه بأن آتهم سيُلقى في الهاوية في خمسة عشر شهراً إلا أن يتوب. فارتعب من هذه النبوءة وامتنع نهائيّاً من الهجوم على الإسلام قلمًا ولسانًا. عندها ألهم الله تعالى إلى المسيح الموعود الكليّة: "اطلع الله على همه وغمه" .. أي حين لاحظ الله خوفه وامتناعه عن الهجوم على الإسلام أنقذه من الهلاك. فأثار التساوسة والمشايخ ضجة أن النبوءة لم تتحقق. عندئذ طلب منه حضرة المسيح الموعود الكليّة أن يعلن أنه لم يخفّ ولم يرتعب من النبوءة ووعده بجائزة أيضا إذا حلف، لكنه لم يتجرأ عليه، وهكذا كنتم الحق. فأخبر الله المسيح الموعود الكليّة أنه سيهلك قريباً جداً. فمات بعد مدة وجيزة من نشر النبوءة الأخيرة. (الناشر)

كتب بلاغة رائعة فيها آية فصاحة معجبة، فكأنكم ما قرأتموها، وظهرت في ندوة المذاهب* آيات فبذتموها، وقد كانت معها أبناء الغيب فما باليتموها، وكأين من آيات شاهدتموها، فكأنكم ما شاهدتموها، وكم من عجائب أنستموها، فما ظلت لها أعناقكم خاضعين. والآن أشرقت آية في "عجل جسد له حُوار"♦، فهل فيكم من يقبلها كالأحرار، أو تولون مُدبرين؟

وتقولون إنّ "آتم" ما مات في الميعاد، وتعلمون أنه خاف فيه قهر رب العباد. ففكروا ألم يجب أن تُرعى شريطة الإلهام، ويؤخّر أجله إلى يوم يُنكر كالثائم؟ وقد سمعتم أنه ما تألى إذا دُعِيَ للإقسام، وما ذهب مستغيثا إلى الحكّام، فانظروا.. أما تحقّق كذبه؟ أما بلغ الأمر إلى الإفحام؟ إنّه زجّى الزمان في صمتٍ وسكوت، وآتم الميعاد كمضطرب مبهوت، وألقى نفسه في متاعب وشوائب، وتراءى مُنكسراً كأنه رأى

* يشير حضرته عليه السلام إلى المؤتمر الأعظم للأديان الذي عُقد في لاهور أيام ٢٦ إلى ٢٩ ديسمبر عام ١٩٦٦م، واشترك فيه ممثلو شتى الأديان، وصار مقاله عليه السلام فيه غالباً على كل مقال آخر، مؤكداً غلبة الإسلام على باقي الأديان، وذلك باعتراف الأصدقاء والأعداء. (الناشر)

♦ هذا الإلهام تلقاه المسيح الموعود عليه السلام عن هندوسي يدعى "ليكهرام البشاورى". كان "ليكهرام" سليل اللسان بذىء الكلام يعادي الإسلام عداء شديداً ويسب النبي صلى الله عليه وسلم سباً فاحشاً. وقد هلك بدعاء المسيح الموعود عليه السلام عليه في السادس من آذار/ مارس عام ١٩٦٧م، ولم يُعثر على قاتله، فكانت آيةً بينة على صدق الإسلام. وسياقي ذكره في الكتاب بشيء من التفصيل. (الناشر)

نوائب، وما تفوّه بكلمة يخالف الإسلام، حتى أكمل الأيام. فهذه القرائن تحكم ببداهة أنه خشي عظمة الإسلام بكمال خشية، وكان من قبل يُجادل المسلمين، ويُخاصم كالمؤذنين، وأمّا بعد نبأ الإلهام، فامتنع من النزاع والخصام، وصار كقلمٍ رديّ، وسيف صديّ، وجَهَلٍ أوصاف المصافّ وأخلاف الخِلاف، وكنث أعطيه أربعة آلاف، إذا قمت لإحلاف، فما تألّى، بل ولّى؛ فانظروا.. أهذه علامة الصادقين؟ ثم إذا انقضت أشهر الميعاد، فقسى قلبه ورجع إلى الإنكار والعناد، فلذلك مات بعد ما أنكر وأبى، ولو أنكر في الميعاد لمات فيها وفى. فلا شك أن هذا النبأ سوّد وجوه المنكرين، وأرغم معاطس المكذّبين، وإنّ فيه آيات للطلابين، وإنّه مكتوب في كتابي "البراهين"، وإنه يوجد في أخبار خاتم النبيين، فأمنوا به إن كنتم مؤمنين.

ومن آياتي أنّ الأحرار نافسوا في مُصافاتي، وآثروا لعن الخلق لموالاتي، وتركوا أنفسهم لنفائس نكاتي، وصَبّوا إلى رؤيتي وجاءوا تحت راياتي، إنّ في ذلك لآيات للمتدبّرين.

ومن آياتي أنّ العدا رغبوا عن معارضتي، بعد ما رأوا عارضتي، ووجدوا كالبخيل القالي، بعد ما وجدوا عدوّة مقالي، وألفوا بالحسد كاللثام، بعد ما أَلْفُوا دُرَرَ الكلام، إنّ في ذلك لآيات للمتعمّقين.

ومن آياتي أي لبثت على ذلك عُمرًا من الزمان، ولا يُمهّل من افتري على الله الديان، إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين.

ومن آياتي أيّ أعطيتُ عقيدةً يدرأ عن الطالب كلّ شبهة،
ويكشف عن بيضة السرِّ مُحَّ حقيقة، إنّ في ذلك لآيات
للمستبصرين.

ومن آياتي أن الزمان نُظِمَ لي في سلك الرفاق، وأنشئَ المناسباتُ
في الأنفس والآفاق، وكذلك أرسلتُ عند خفوق راية الإخفاق، إنّ في
ذلك لآيات للمتفرسين.

ومن آياتي أن الله شخّذ سيف بياني، وأرى جواهره بغيرِ بُرهاني،
إنّ في ذلك لآيات للناظرين.

ومن آياتي أن الحقّ ما استسرَّ عني حيناً، وجعل قلبي له عريئاً،
وجعلتُ له مُجَدِّداً مُبيناً، إنّ في ذلك لآيات للمتأملين.

أيها الناس.. قد جاءكم لطفُ ربِّ العباد، وتعهّدكم فضله تعهّد
العهاد، عند إمحال البلاد، فلا تردّوا نعم الله إن كنتم شاكرين. أنتم
تهدّون ما شاد، أو تمنعون ما أراد؟ وقد رأيتم أنكم لم تستطيعوا أن تأتوا
بكلامٍ من مثل كلامي، حتى سكتّم وصمتم متندمين من إفحامي.
وأشيع الكتب المملوءة بالنكات النخب، ولطائف النظم وبدائع النثر
ومحاسن الأدب، فما كان جوابكم إلا أن قلتّم إنها من قوم آخرين.
فانظروا كيف عجزتم ثم صرّفتم قلوبكم عن الحق فصرتم قومًا عمين.
حتى إذا احتدّ منكم الحجاج، وامتدّ اللجاج، ونبح النجفي والغزنوي،
وقالا إنه جاهل غويّ، كتبتُ رسالتي هذه لتكون حُجّة على المفترين،

وليفتح الله بيني وبينكم وهو خير الفاتحين.

وقال الذي آذاني من جماعة عبد الجبار، إن هذا دجال وأكفر الكفار، وجاهل لا يعلم العربية ولا شيئا من النكات والأسرار، وأعانه عليه قوم من العلماء المتبحرين. وكذلك ظنَّ النجفي، فانظر كيف تشابحت قلوب المعتدين. وما أثبت أحدٌ منهم أنهم أُرْضِعُوا ثدي الأدب، أو أُعْطُوا من العلوم النخب، وما جاءوني بالديب ولا بالخبيب، بل تكلموا كالنساء متسترين. وما أنكروا بصحة النية، بل كبخيل خاطب الدنيا الدنية. وتبَّههم الله فما تبَّهوا، وأيقظتهم الآيات فما استيقظوا. ألم يروا آية كبرى، إذ أهرق قاتلٌ دمًا وأولع فيه الممدى؟ وكان المقتول "آرية" خبيثا ومن العدا. فأبكى الله من سخر من الدين وسبَّ وهجا، وألقاه في عذاب لا يتقضى، ونارٍ لا يموت فيها ولا يحيى، وضيع كل ما صنع وهدم كل ما علا، إن في ذلك لآيات لأولي النهى. وكان نبأ "آتم" يحكي السها، بما خفي من أعين العمي وما تجلَّى، فألقت هذه الأيأة عليه رداءها، فأشرق كشمس الضحى، وأضاء عقول العاقلين وجذبا إلى الحق من أتى. وهذه آية عذراء، وشمس بيضاء، فليهد من شاء، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. وإنها تشفي النفس، وتنفي اللبس، وتوضح المعنى، وتكشف السر عن ساقه والعُمى، وتُتمَّ الحجَّة على المجرمين.

فيا حسرة على المخالفين! إنهم يتركون أحكم الحاكمين. فكأنَّ الله

شَرِّقَ وهم غَرَّبُوا، ودعا لجمع الثمار وهم احتطبوا، وأمر أن يُؤْتُونِي عَذْبًا فعذبوا، وما اجتنبوا الأذى بل كادوا أن يُجَنَّبُوا، فردَّ اللهُ نِيَّاتِهِمْ عَلَيْهِمْ فانقلبوا مخذولين.

ومنهم رجل من الغزني يسمونه عبد الحق، وإنه سبَّ وشتَمَ ووَثَبَ سفاهةً كالبقِّ. وإنه فُوسِقَةٌ يُدْعَرُ الأَسْوَدَ فِي جُحْرِهِ بِالغَقِّ. وَإِنَّ الحَنَّاسَ زَقَّهُ فبالع في الزقِّ. وإنه كَذَّبَ آيةَ الكسوف كما كُذِّبَ مِنْ قَبْلِ آيَةِ القَمَرِ المُنشَقِّ. إن الشيطان لَقَّ عَيْنَهُ فَذهب ببحره باللقِّ. وما نَقَّ إِلَّا كدجاجة فندبجه بمُدَى الحق، وثرَّيه جزاء النقِّ، فما ينجو مَنَّا بالهرب والهُقِّ، ولا ينفعه كيد الكائدين. وإنه أرسل إلى كتابه المملوِّ من السبِّ والتكفير، وخدع الناس بأنواع الدقارير، وذكر فيه كتابي وهدي، وقال أهذا من هذا؟ كلا بل إنه من النوكي، ولا يكاد يُبين. وخاطبني وادَّعى كعارف الحقيقة، وقال إنك لست مؤلِّف هذه الكتب الأنيقة، ولا أبا عُذر تلك الرسائل الرشيقة، والنكات الدقيقة العميقة، بل استمليتها من رجال هذه الصناعة، ثم عزوتها إلى نفسك لِتُحَمِّدَ بالفضل والبراعة، وإنا نعرف مبلغ علمك وما كنا غافلين.

وشابَّهه في قوله شيخ طويل اللسان، كثير الهديان، وزعم أنه من فضلاء الزمان، وأنه نَجَفِيٌّ ومن المتشيعين. وإنه أرسل إلى مكتوبه في العربية، ليخدع الناس بالكلم الملققة، ولتعظِّمه قلوب العامة وليستميل إليه زُمَرُ الجاهلين. وما كان قوله إلا فُضْلة قول الفضلاء، وعَدْرَةٌ

كلمتهم العذراء. فالعجب من جهله، إنه ما خاف إزراء القادحين، ووقف موقف مندمة، وما أرى الوجه كالمتمدّمين. بل إنه مع ذلك بلغ السبّ والشتم إلى الكمال، وما غادر سبًّا إلا كتبه كالسفيه الرزال، ولا يعلم ما الإيمان وما شيم المؤمنين. ومثل قلبه المنقبض كمثل يومٍ جوّه مُزْمَهْرٌ ودَجْنُه مُكْفَهْرٌ، عاري الجِلْدَة، بادي الجُرْدَة، شقيّ خسرٍ في الدنيا والدين. يسبني ويشتمني بطغواه، ولا ينظر إلى مآل سابٍ من "الآرية" ومأواه، وإن السعيد من اتّعظ بسواه. وأنى له الرشد والهدى، وإنه لا يعلم ما التقي، ولا الأدب المنتقى، وإنه سلك سبل الهالكين. لا يُبالي الحشر وأهواله، ولا قَهَرَ الله ونكاله، وكل ما كتب فليس إلا ككيدٍ، أو أحبولة صيدٍ، أراد أن يفتن قلوب الجماعة، بافتنانه في البراعة، وأرَعَفَ كُفُه البِرَاعِ، لِيُرِي السّفهاء البِعَاعَ، ولكنه هتك أستاره، وأرى في كل قدمٍ عثاره، وأفضى في حديث يُفْضِحه، ودخل نارًا تَلْفِحه، فمثله كمثل رجل شهّر خزّيه بدفّه، أو جدع مارنَ أنفه بكفّه، فالحق بالملومين المخدولين. ومع ذلك سبني ليجير فُقدانَ فضلِ بيانه بفضول لسانه، وأما نحن فلا نتأسّف على ما قلّى وقال، ولا نُطيل فيه المقال، فإنه من قوم تعوّدوا السبّ والانتصاب للإزراءات، وحسبوه لأنفسهم من أعظم الكمالات، فنستكفي بالله الافتنانَ بمفترياته، ونعوذ به من نيّاته وجهلاته، وما نعطف إلى السبّ كما عطف هو من العناد، ونُفَوِّضُ أمرنا إلى رب العباد، وهو أحكم الحاكمين. وكيف

يكذبني مع أنه ما نقض براهيني، وما دَوّن كتدويني، وما تصدّيتُ لدعوى ما كان معه الدلائل، بل عرضتُ دلائل أزيد مما يسأل السائل، وما كان كلامي بالغيب بضنين.

وقد ثبت عند جميع الحُكّام، وولاية الأحكام، أن الدعاوي تجب قبولها بعد الأدلة، كما تجب الأعياد بعد الأهلة، وكنتُ ادّعت أني أنا المسيح الموعود، والإمام المهدي المعهود، فأرى الله آياته على ذلك الادّعاء، وسكّت وبكّت زُمَرَ الأعداء، وأرى آية تارةً في زيّ الإيجاد، وأخرى في صورة الإعدام والإفناد، وأعجز الأعداء مرّة بخوارق الأقوال، وأخرى أخزاهم بعجائب الأفعال. وأيدني ربي في كل موطن ومقام، وما بقي دقيقة من تبكيت وإفحام، ومُزّقوا كل ممزّق من الله مُحزّي المفسدين. ثم قيّض قدر الله لنصبتهم ووصبتهم، أنهم طعنوا في علمي وفخروا ببراعتهم وأدبهم، وكانوا عليها مُصرّين، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

فوالله ما فكّرتُ في الإملاء والإنشاء، وما كنتُ من الأدباء والفصحاء، وما احتاج يراعي إلى من يراعي كالرفقاء، بل كنتُ لا أعلم ما البلاغة والبراعة، ولا أدري كيف تحصل هذه الصناعة. فبينما أنا في حيرة من هذه الإزراء، وقد تواتر طعنهم كالسفهاء، إذ صُبّ على قلبي نورٌ من السماء، ونزل عليّ شيء كنزول الضياء، فصرتُ ذا مَقُول جريّ، وقولٍ سحباتيّ، فتبارك الله أحسن الخالقين. ولكن ما تسلّت به

عمايات هذه العلماء، وظنّوا أن رجلاً أعانني أو جمعاً من الفضلاء، وأنها ثمرة شجرة الآخرين. ثم بدا لهم أن يُعارضوني مُشافهين، فإذا قمتُ فكأثمّ كانوا من الميئين. والآن ما بقي في كفهم إلا الرفث والإيذاء، وكذلك سبني النجفي وما يدري ما الحياء. ولكنّا لا ندفع السبّ بالسبّ، وما كان لحمامٍ أن يُحجر نفسه كالضبّ، أو كالتين. وما نشكوه على ما فعل، ولا نتأسّف على ما افتعل، فإنهم قوم ما عُصم من ألسنهم خاتم النبيين، بل الله الذي هو أحكم الحاكمين، ولا خلفاء نبي الله ولا أمّهات المؤمنين.

ألا ترى كيف ظنّوا ظنّ السوء في حضرة أصدق الصادقين، وكذبوا نبأ "الاستخلاف" وقالوا إنّ عليّاً من المظلومين، فأرادوا هدم ما شاد الرحمن، وكفروا بما جاء به القرآن، وما هذا إلا ظلم مبین. وقالوا إنّ عليّاً أنفد عمره مُبتلى بلفوة النفاق، وما حُلِقَ في طينته جرأة الصدق وما تفوّق دَرَّ إخلاص الأخلاق، وإذا استُخلف الكفّار فما أبي، بل أطاعهم وعقد لهم مع رفقته الحُبّ. أمرُ الإسلام فآثر الإنصات، وأمرُ الفسّاق فمعهم أكل وبات، وما ذمّهم بل أنشد في حمدهم الأبيات، وكان هذا حُلُقه حتى مات، أهذا هو أسدُ المتشيعين؟

وقالوا إنه عارض أمّه الصديقة، وما بالي الشريعة ولا الطريقة، ولم يكن بَرّاً بوالدته ولا تقيّاً، بل أعقّ وصار جبّاراً شقيّاً. آثر النفاق ولم يصبر على ضرٍّ ومسغبة، واتبّع النفس وترك التّقى كأرض مُعطلّة. أسرّ الغلّ ولكن ما

نظر بعينٍ غَضَبِيٍّ، واختار النفاق في كل قدمٍ وحَابِيٍّ، سجد لكل مَنْ تبرَّعَ باللَّهْمِيٍّ، ولو كان عدوَّ الدين والثَّقَى، وإذا عُرِضَ عليه حُطَامٌ فقال لنفسه: ها. وأثنى على الكافرين طمعًا في الموات، لا خوفًا من عقوبات الموات، وصلَّى خلفهم للصَّلَات، لا لبركات الصَّلَاة. اتَّخَذَ النِّفَاقَ شِرْعَةً، والاقْتِبَاسَ مِنْهُ نُجْعَةً، وصرف الله عنه المعارف، ولو كان زُمْرًا مِنْ مَعَارِف. فما بقي معه من سَرَوَاتِ الصَّحَابَةِ ولا سرايا المَلَّةِ، حتى رجع مضطَّرًّا ومخذولًا إلى باب الصَّدِيقِ، وكان يعلم أنه كالزنديق، ولكن البطن أجبَّاهُ إليه، وما وجد حطبَ تَنْوُرِ المِعْدَةِ إلا لديه. وإنَّ صَاحِبَهُ * اغْتَالَ بعضَ ولده، فما امتنع من التردد إليه، وفجعه بالفَدَكِ فما غَارَ عليه، بل كان على بابهِ كالمعتكفين. وتواتر عليه جور الشيخين، حتى جرت عبرة العينين كالعينين، فما انتهى من الرجوع إلى هذين الكافرين، بل أبدى الإطاعة بالنفاق والمين. اشتدَّ عليه غضبهم ونهبهم حتى صَفَرَتِ الرَّاحَةُ، وفُقدتِ الرَّاحَةُ، فما ترك لُقْيَاهُم، وما كره رِيَّاهُم، بل كان يستمرُّ على بائهم، ويستمرُّ فُضْلَةً أنيائهم، وما باعدهم كالمستنكفين، بل كان يُحَلِّقُ لهم ديباجته، ويعرض عليهم حاجته، ويدور على أبوائهم كالسائلين الملحفين. وكان عليه أن يترك المدينة وأهلها الكافرين المرتدين، ولو كانوا من المترفين والمخصبين، بل كان من الواجب أن يقتعد مَهْرِيًّا، ويعتقل سَمَّهْرِيًّا، ويهاجر من أرضٍ إلى أرضٍ، ويطلب رِفْعًا مِنْ خَفْضٍ، ويُنادي بين الناس أن

* ورد في الترجمة الأوردية تحت هذه الكلمة: أمي عمر ﷺ. (الناشر)

الصحابة ارتدوا كلهم أجمعون، ثم إذا أحسن الإيمان من قوم فكان عليه أن يُلقَى بأرضهم جِرانه، ويتخذهم جيرانه، ويجعلهم لنفسه معاونين، ويقتل أهل المدينة كلهم إن لم يكونوا مسلمين. فكيف تتمعنت مُقلته بنومها، وكان يرى الملة قد اكفهر وجه يومها، وأحلت بلاد الإيمان والمؤمنين. لم لم يُهاجر ولم يلق نفسه في أرجاء آخرين، وكان أُعطي منطق البلاغة، وكان يُرِين الكلم ويلونها كالدباغة، فما نزل عليه لم يستعمل في استمالة الناس صناعته، وما أرى في الإصغاء براعته، بل تمايل كل التمايل على النفاق والتقية، وحسبه للعدا كالرقية؟ أهذا فعل أسد الله؟ كلا! بل هو افتراؤكم يا معشر الكذابين. إنه كان حاز من الفضائل مغنما، وكان بقوى الإيمان توأماً، فما اختار نفاقاً أينما انبعث، وما نافق في كل ما فعل ونفث، وما كان من المرائين. فلما نضضتم في شأنه نضضة الصل، وحملتم إليه حملقة البازي المطل، مع دعاوي الحب والمصافاة، فكيف تقصرون في غيره مع جذبات المعادة؟

وكذلك استحققتم خاتم الأنبياء، وقتلتم دُفن معه الكافرين من الأشقياء، يمينا وشمالا كالإخوان والأبناء. فانظروا إلى توهينكم يا معشر المجترئين. ونحن نستفسر منك أيها النجفي الضال، فأجب متحملا ولا يكبر عليك السؤال: أترضى أن تُدفن أمك المتوفاة بين البغيتين الزانيتين الميتتين؟ أو يُقبر أبوك في قبر المجذومين الفاسقين؟ فإن كرهت فكيف رضيت بأن يُدفن سيّد الكونين بين جنبي الكافرين الملعونين؟

ولا يعصمه فضل الله من جوار الجارين الجائرين الخبيثين؟ والكفر أكبر من الزنا وأشنع عند ذوي العينين. ففكّر كيف تحفرون خاتم النبیین، وتسوّغون له مكروهات لا تسوّغون لأنفسكم ولا بنات وأمّهات ولا بنين.

تبّاً لكم ولما تعتقدون يا حُمّة الفسق والميّن. بل دُفن بجوار رسول الله رجلان كانا صالحين مطهّرين مقرّبين طيّبين، وجعلهما الله رفقاء رسوله في الحياة وبعد الحين، فالرفاقه هذه الرفاقه وقلّ نظيره في الثقلين. فطوبى لهما أنهما معه عاشا، وفي مدينته وفي مأواه استخلفا، وفي حُجر روضته دُفنا، ومن جنّة مزاره أدنيا، ومعه يُبعثان في يوم الدين.

وانظر إلى عليّ أنه إذا أُعطي منصب الخلافة، فما بعد تربة هذين الإمامين من روضة خير البريّة. فإن كان يزعم أنهما ليسا مؤمنين طيّبين، فكيف تركهما ولم يُنزّه قبر رسول الله عن هذين القبرين؟ فالذنب كل الذنب على عنق ابن أبي طالب، كأنه لم يبالي عرض رسول الله من نفاق غالب، وما أرى الصدق كالمخلصين. أهذا أسد الله وضرغام الدين؟ أهذا هو الذي يُحسب من أكابر المتّقين؟

فاعلموا أن ثقة عليّ لا تثبت إلا بعد تقاة الصديق، وفكّر ولا تعدّ كالزندق، ولا تُلُق بأيديك إلى حفرة الهالكين. وإنكم تحبون أن تُدفنوا في أرض الكربلاء، وتظنون أنكم تُغفرون بمجاورة الأتقياء، فما ظنكم بالسعيدين اللذين دُفنا إلى جنّتيّ نبيّه القدر خاتم النبیین وإمام

المتقين وسيد الشافعين؟ ويل لكم لا تتفكرون كالحاشعين، ولا يسفر عنكم زحام التعصبات، ولا تُعطون حسن التوفيقات، ولا تُمعنون كالمستبصرين. وكيف نشكوكم على سبكم وإنكم تلعنون الصحابة كلهم إلا قليلا كالمعدومين، وتلعنون أزواج رسول الله أمهات المؤمنين، وتحسبون كتاب الله كلاما زيدَ عليه ونقص، وتقولون إنه بياض عثمان وأنه ليس من رب العالمين. فلعنكم الله بفسقكم وصرتم قوماً عمين. وحسبتم الإسلام كواد غير ذي زرع خاليا من رجال الله المقرين. فأبي عرض بقي من أيديكم يا معشر المسرفين؟

وأريتم تصوير عليّ كأنه أجبن الناس، وأطوع للخناس. اعتلق بأهداب الكافرين اعتلاق الحرباء بالأعواد، وآثر نار النفاق ليفيض عليه غُباب المراد. أخزى نفسه بتنافي قوله وفعله، ورضي بشيء لم يكن من أهله. وحمد الكافرين في المحافل، وأثنى عليهم في المجالع والقوافل، وحضر جنازهم وما ترك الطمع، حتى انزوى التأميل وانقمع، فما آوا لِمَفْأَرِهِ، وما فرحوا بمحامد أترعت في فقره، بل اغتصبوا حديقة فدكِهِ، وقاموا لفتكِهِ، وما أبرزوا له دينارًا، لِيُطْعِمَ بطنًا أمارًا، وما كانوا راحمين. وما نزلت عليه من السماء مائدة، وما ظهرت من الخلق فائدة، وديس تحت أقدام الجائرين. وكان لم يزل يدعو ويفتكر، ويصوغ ويكسر، ولم يكن من الفائزين. إلى أن انقطعت الحيل وركد النسيم، وحصحص التسليم، فخرّ تقيّةً على باهم، وطلب القوت من جناهم، وهم كانوا

مستكبرين. وغلقت عليه أبواب إجابة الدعاء، وسدّت طرق الحيل والاهتداء. فانظر.. أهذه علامات عباد الله المؤيدين، وأمارات الصادقين المقبولين، وآثار المخلصين المتوكلين؟ ثم انظر كيف حقرتم شأن المرتضى الذي كان من المحبوبين الموقّنين؟

وأما ما طلبت مني آية من الآيات، فانظر كيف أراك الله أجلّ الكرامات، وهو أني كنتُ دعوت على رجل مفسد مُعو كالشيطان، وتضرّعتُ في الحضرة ليزيقه جزاء العدوان، فأخبرني ربّي أنه سيقتل ويُعَد من الإخوان، وكان اسمه "ليكهرام" وكان من البراهمة، وكان معتديا في السبّ والشتم وجاوز الحد في الخباثة. فلما دعوتُ عليه وتضرّعتُ في حضرة الباري، وأقبلت كل الإقبال على جبّاري، سُمِع دعائي في الحضرة، ومنّ عليّ ربّي بالرحمة والنصرة، وبشّرني ربّي بأنه يموت في ستّ سنة، في يوم دنا من يوم العيد بلا تفاوت، وأوماً إلى ليلة يوم الأحد، وإلى أنه يُقتل بحكم الربّ الصمد، ولا يموت بمرضة، ويموت بقتلٍ مهيب مع حسرة، ليكون آية للطالبيين. فلما انقضى من الميعاد قريبا من خمسة أعوام، واطمأن الهالك وزعم أن النبا كان كأوهام، نزل أمر الله عليه وأتى بفتح مبين. ففرحتُ فرحة المطلق من الإسار، وهرة الناجي من حفرة التبار. وقبل أن يأتيني أحد بفصّ خبر وفاته، بشّرني ربّي بمماته، وكنْتُ أفكّر في هذه البشارات، فإذا عبد الله جاء بالتبشيرات، وحصحص الحق وزهق الباطل وقُضِيَ الأمر من رب

الكائنات، وفرح المؤمنون كما أُعد من قبل واسودّ وجوه أهل المعادة، وظهر أمر الله وهم كانوا كارهين. وكان هذا الرجل وقاحا طويل اللسان، كثير السب والهذيان، طلب مني آية ملحّحًا في طلبه، وشرط لي أن أصرّح الميعاد في عُلبه، وأصرّح يوم موته، مع إظهار شهر فوته، وأبيّن كيفية وفاته، ووقت مماته، وكتب كلها ثم طالب كالمصرّين. فلبّيته ممتطيا شِمْلَةً عناية الرحمن، ومنتضيا سيف قهر الديان. وكنت لفرط اللهج بظهور الآية، والطمع في إعلاء كلمة الملة، أجاهد في الحضرة الأحديّة، وأصرف في الدعاء ما جلّ وعظّم من القوّة، ثم تركت الدعاء بعد نزول السكينة، وتواتر الوحي الدالّ على الإجابة. فلما انقضى أربع سنة من الميعاد، ودنا منا عيد من الأعياد، أُلقي في نفسي أن أتوجّه مرّة ثانية إلى الدعاء، وكذلك أشار بعض الأصدقاء. فصبرت أنتظر الوقت والمحلّ، وأتعلّل بعسى ولعلّ، إلى أن أدركت ليلة القدر في أواخر رمضان، فعرفتُ أن الوقت قد حان، ورأيت ليلةً نشرت أودية الاستجابة، ودعت الداعين إلى المأدبة، ونادت كل من خاف نابّ النُوب، وبشّرت كل من أسلمه اليأس للكرب. فنهضتُ للدعاء نحووض البطل للبراز، وأصلّتُ لسان التضرّع كالعَضْب الجراز، حتى أحلّني التذلل مقعد العلاء، وبُشّرتُ بالإجابة من حضرة الكبرياء. فجلستُ كرجل يرجع برُذُنٍ ملآن، وقلبٍ جَدْلان، وسجدتُ لربّ يُجيب دعاء المضطرين. وكان في هذه الآية إعلاء كلمة الملة، وإتمام الحجّة على

الكفرة الفجرة، ولكن الذين ملكوا أثاث عقل صغير، واتسموا بحمق شهير، ما آمنوا بهذه البينات، وتركوا النور واتبعوا سبل الظلمات، وجحدوا بآيات الله ظلمًا وزورًا، وكانوا قومًا بُورًا، ومن المستكبرين.

ويقولون إننا نحن المسلمون! وليس فيهم سير المسلمين. في قلوبهم مرض فيزيد الله مرضهم ويموتون محجوبين، إلا قليل منهم فإنهم من الراجعين. ويبغون عرض الدنيا وعرضها ولا يتقون الله رب العالمين. فسيضرب عليهم الذلة ويمسئون أبا عيلة، يسألون الناس ولا يملكون بيت ليلة، كذلك يجزي الله الفاسقين.

وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله من الآيات، قالوا لن نؤمن ولو كان إحياء الأموات، وطبع الله على قلوبهم بما كانوا مفترين. وكانوا يستفتحون من قبل، فلما جاءهم الفتح وصاب النبل، أعرضوا عنه، فويل للمعرضين. وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم، فما بالهم إذا ماتوا ظالمين. أبقِيَ في كنانتهم مرمأة، أو في قلوبهم ممرأة؟ كلا.. بل مرقهم الله كل ممزق فلا يتحركون إلا كالمذبوحين. ألا يرون كيف يُفحَمون الفينة بعد الفينة، ويُحزَن كل عام مع رقصهم كالفينة، وتراءت سُحُبهم جَهامًا، وُحُبهم لثامًا، ولمعائهم ظلامًا، وجناهم عَمامًا، فأبي آيه بعده يؤمنون؟ أما أحلني ربي محلَّ من يبلغ قصوى الطلب، ونقلني من وقْد الكُرب إلى رُوح الطُرب، وأيدي وأعاني، وأهان كل من أهاني، وأراني العيد، ووفى المواعيد، وأرى الفتح كل من فتح العين، وطوى قصة كيف وأين، وأتمَّ الحجَّة على المنكرين.

فالحمد لله الذي كفاني من غير تدبيرى، وجعل لي فرقانا وفرق بين قبيلى ودبيرى. وكنتم لا تُصْعُونَ إلى العظات، ولا تحفظونها بل تؤذون بالكلم المحفظات، فدقَّ الله رأسكم بالآيات، وجاءكم سلطانة بالرايات، وأدبكم بالزجر والغضب، لتأخذوا نفوسكم بهذا الأدب. فلا تستنوا استنان الجياد، وفكروا في فعل ربِّ العباد، لعلكم تُعصَمون كالراشدين. ما لكم تتكايدكم كلماتُ الحق والصواب، وتميلون من اليقين إلى الارتياب، ولا تتركون سبل المجرمين؟

وانظروا إلى آيات رأيتموها، وخوارق شاهدتموها، أهذه من المكائد الإنسانية، أو من الطاقة الربانية؟ وإني عزمْتُ عليكم فاشهدوا إن كنتم مقسطين. وإنه مَنْ كان أُعطيَ حظًّا من التقوى، ولو كُمُصاصة النوى، فلا يكتم شهادة أبدا. وأما الذي اتَّبِع الهوى، وما حَسِيَ الله الأعلى، وما تواضع وما استحيًا، فليُظْهِرْ ما نحا وتمتَّى، ولينكر الله وما أُولى من جدوى، ومن نصرته والعدوى، فسوف ينظر هل ينفعه كيده أو يكون من الهالكين.

أيها الناس، لا تُحْقِرُوا الله والآيات، واستغفروا الله وَاعْتُوا له من الفُطرات. أَجْهَلْتُمْ مآل قوم كذَّبوا من قبل هذا الزمان، أو لكم براءة في زُبُر الله الديان؟ فَعُوذُوا بالله من ذات صدوركم إن كنتم خاشعين. قُومُوا فُرَادَى فَرَادَى، واجتنبوا مَنْ عادى، ثم فكروا أما أُوتيتم مثل ما أُوتِيَ قبلكم من الكفار؟ أما جاءتكم آيات الله القهار؟ أما حُقِّرتم بتحقيق

حضرة الكبرياء؟ أما قُضيتْ ديونكم كالغرماء؟ فَوَحِّ المنعم الذي أحلني هذا المحلّ، وأرى لتصديقي العقد والحلّ، ووهب لي الولد وأهلك لي العدا اللثام، وأرى في آياته الإيجاد والإعدام، وأرى في ندوة المذاهب إعجاز الإنشاء، ثم أرى في العجل المقتول إعجاز الإفناء، وأظهر آية القول وآية الفعل للناظرين، وأرى الكسوف والخسوف في رمضان، وأفحمكم ببلاغي وعلمي القرآن، فسكتّم بل متم مع غلّوكم في العناد، وأخزيتّم ورؤيت عظمتكم بالكساد، فأصبحتم كالمغبونين. إن هذا لحق فلا تكونوا من الممترين.

أيها الناس إني جئتكم من الرب القدير، فهل فيكم من يخشى قهر هذا الغيور الكبير، أو تمرّون بنا غافلين؟ وإنكم تناهيتم في المكائد، وتماديتم في الحيل كالصائد، فهل رأيتم إلا الخذلان والحرمان؟ وهل وجدتم ما أردتم غير أن تُضيعوا الإيمان؟ فاتّقوا الله يا ذراري المسلمين! أما تنظرون كيف أتم الله لي قوله، وأجزّل لي طوله؟ فما لكم لا تلتفتون وجوهكم إلى آيات الخبير العلام، وتنصّلون لي أسهم الملام؟ أما رأيتم بطل زعيمكم، وخطأ وهمكم؟ فلا تقوموا بعده للذمّ، ولا تنحتوا فريّة بعد العجم، وكفّوا ألسنكم إن كنتم متقين. توبوا إلى الله كرجل سُقط في يده، وخشي ماله وسوء مقعده، وإن الله يحبّ التوابين.

وإني علّمتُ مُذ بوركتْ قدمي، وأيدّ لسني وقلمي. إن الذين اتّخذوا العناد شرعة، وكلم الخبث تُجعة، إنهم سيُخذلون، ويُغلبون ويُخسّأون،

ولا يلقون بُغيتهم ولا يُنصرون. وتحرقهم جذوتهم، فهم من جذوتهم يُعدمون. وأما الذين سُعدوا منهم فسيُهدون بعد ضلالهم، ويتداركهم رُحْم رُحْم قبل نكاهم، فيستيقظون مُسترجعين، ويتركون حقداً ولدداً، ويخزون على الأذقان سُجداً، ربنا اغفر لنا إنا كنا خاطئين، فيغفر الله لهم وهو أرحم الراحمين. فيومئذ ينعكس الأمر كله ويتجلى الله للناظرين. وترى الناس يأتوننا أفواجا، وترى الرحمة أمواجاً، وتتم كلمة ربنا صدقا وعدلا، وترى كيف ينير سراجا، فحينئذ تشرق أيام الله وتنفى فتن المفسدين. ويُقضى الأمر بإتمام الحجّة والإفحام، وتهلك الملل كلها غير الإسلام، وترى الفترة رهقت وجوه الكافرين. فما لكم إلى ما تكذبون؟ أتجعلون رزقكم أنكم تكفرون؟ أعزّتكم كثرة علمائكم، وتظاهر آرائكم؟ وقد رأيتم مبلغ علمكم وعلم فضلائكم، وشاهدتم نقص فهمكم ودهائكم، وأنستم كيف وليتم مدبرين.

وأيتها النجفي.. لم تؤذيني وقد رأيت آياتي، وشاهدت حُججي وبيّاتي؟ ثم أبيت وهذيت، فقاتلك الله كيف هذيت، وقد رأيت آثار الصادقين. أيها الثعلب.. أنك تخوّفني وتُغري عليّ هذه الدولة، وما رأيت منا الدولة إلا الإخلاص والنصرة، والله يحفظ عباده من مكائد الخبيثين. ثم إنك اخترت في كل أمرٍ طريق الدجل والضميم، ورددت كالجهايم لا كالغيم، ونطقت كالمعارف العرفاء مع البعد والرّيم، فما هذا.. أصبحت إبليس ذات العويم، أو هذا من سير المتشيعين؟

وخاصتني في رسالاتك، وقلت إني جُبتُ البلاد لمباراتك، وما هذا إلا زور مبين. بل الحق أنك سافرت لهوى من الأهواء، وسمعتَ الريف، فطمعتَ الرغيف كالفقراء، ووردتَ هذه الديار من برهة طويلة، لا من مدّة قليلة، فانظر إلى كذبك يا رئيس المفترين. وأظنّ أن بلادك أحمَلتُ، أو المتربة عليك اشتدّت، ففررت إلى بلاد المخصبين، لتدور حول البيوت، وتكسب القوت كبني غبراء مُشَقِّشَيْن. فما أجاءك إلا ففرك إلى مغنانا الخصيب، فألقيت بها جِرانك وآثرت الحبوب على الحبيب، ثم سترت الأمر يا مضطرم الأحشاء، ومضطرّاً إلى العشاء، وتجافيت عن طرق الصادقين. هذا غرضك ومُنيتك من هذا السفر، ولكنتك سترجع خائبا ولا ترى فائزا وجه الحُضْر؛ فاسترجع على ضلّة المسعى، وإحمال المرعى، وسوء الرجعى، واخسأ فإِنَّك من المفسدين.

وإني التقطتُ لفظك كلّ ما نفثت، ورددتُ عليك جميع ما رفثت، فكلُّ ما سقط عليك فهو منك يا أبا الغول، وليس منّا إلا جواب الغويّ الجهول، وما كنّا سابقين. ولو كنت تخاف عرضك وعزّتك، لهذبتَ قولك ولفظتك، ولكن كنتَ من السفهاء السافلين. وأمّا نحن فلا يُصيبنا ضرٌّ بكلماتكم، ويرجع إليكم سهم جهلاتكم، وما تفترون كالفاسقين. وكذلك إذا اشتهرَ أفيكهُ الأفاكين على غير سقاكين، فأمدتم الهنود كالمحتالين، وقلتم إن هذا الرجل كرجلكم فحذوه إن كان من المغتالين. وما قام منكم أحد لنستوفي منه اليمين، وما كان أمر

أحدٍ منكم من غير أن يمين. لا تطروا ولا تفرحوا بكثرة جمعكم، فإن الله قادر على قمعكم. فاجتنبوا البطر مرتاعين. ولا تقولوا إن الزحام جمعوا عليك لاعنين، وقد كُذِّب الرُّسل من قبل وأوذوا ولُعِنوا، حتى إذا جاء أمر الله فسودَّ وجوه المكذِّبين.

وقد جرت عادة الله في أوليائه، ونُحِب أصفياه، أنهم يؤذون في مبدء الأمر، ويُسلِّط عليهم أوباشٌ من الزمر، فيسبُّونهم ويشتمونهم ويكفرونهم مستهزئين. ولا يُبالون الافتراء، ويقولون فيهم أشياء، ويُغري بعضهم بعضاً بأنواع المكر والتدابير، ولا يغادرون شيئاً من المكائد والدقارير، ويفترون مجترئين. ويريدون أن يُطفئوا أنوارهم، ويحربوا دارهم، ويحرقوا أشجارهم، ويُضيعوا ثمارهم، وكذلك يفعلون متظاهرين. ويزمعون أن يدوسوهم تحت أقدامهم، ويُمزقوهم بحسامهم، ويجعلوهم أحقر المحقرين. فإذا تم أمر التوهين والتحقير والإيذاء، وظهر ما أراد الله من الابتلاء، فيتموِّج حينئذ غيرة الله لأحبائه من السماء، ويطلع الله عليهم ويجدهم من المظلومين، ويرى أنهم ظلموا وسبوا وشتموا وكفروا من غير حق وأوذوا من أيدي الظالمين. فيقوم لئيمٌ لهم سنَّته، ويُريهم رحمته، ويؤيِّد عباده الصالحين. فيُلقي في قلوبهم ليُقبلوا على الله كل الإقبال، ويتضرَّعوا في حضرته في الغدو والآصال، وكذلك جرت سنَّته في المقربين المظلومين. فتكون لهم الدولة والنصرة في آخر الأمر، ويجعل الله أعداءهم طُعمة الأسد والنمر، وكذلك جرت سنَّته للمخلصين. إنهم لا

يُضَاعُونَ وَيُيَارَكُونَ، وَلَا يُحْفَرُونَ وَيُكْرَمُونَ، وَيُحْمَدُونَ وَلَا يُسَبُّونَ، وَيَسْعَى الرَّجَالُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُتْرَكُونَ. يُدْخَلُونَ فِي النَّارِ، وَلَكِنْ لَا لِلتَّبَارِ، وَيُؤَلَّجُونَ فِي اللَّجَّةِ، وَلَكِنْ لَا لِلضَّيْعَةِ، بَلِ اللَّهُ يُظْهِرُ أَنْوَارَهُمْ عِنْدَ الْإِبْتِلَاءِ، ثُمَّ يُهْلِكُ أَعْدَاءَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْإِخْزَاءِ، فَيُتَبَّرُ فِي سَاعَةٍ مَا عَلَّوْا فِي مَدَّةٍ، وَيَبْرِئُهُمْ مِمَّا قَالُوا، وَيَنْزَهُهُمْ عَمَّا افْتَعَلُوا، وَيَفْعَلُ لَهُمْ أَفْعَالًا يَتَحَيَّرُ الْخَلْقُ بِرُؤْيَتِهَا، وَيُنْزَلُ أُمُورًا يَتَزَعَّزَعُ الْقُلُوبَ بِهَيْبَتِهَا، وَيُؤَيِّرُ كُلَّ أَمْرٍ كَالصُّوْلِ الْمَهِيْبِ، وَيُثَقِّلُ أَمْرَ الْعَدَا كُلِّ التَّقْلِيْبِ، وَيُؤَيِّرُ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ؛ وَيُؤَيِّدُهُمْ بِتَأْيِيدَاتٍ مُتَوَاتِرَةٍ، وَإِمْدَادَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ مُتَكَاثِرَةٍ، وَيَجْرِدُ سَيْفَهُ عَلَى الْمُجْتَرِّئِينَ.

فاعلموا أنه هو أرسلني عند فساد الديار، وأنه هو ربّ هذه الدار، وأنه سينصرنني ويبرئني من ثمّ الأشرار. فاحفظ قصتي التي هي أحسن القصص، وذق ما نذيقك ولو متجرّعًا بالغصص. أزعمت أني أكيد كيدًا للدنيا الدنيّة، وأصيد صيدًا للأهواء النفسانية؟ أيها الجهول! هذا قياس قسنت على نفسك الأمارة، فإنك من قوم لا يعلمون حقيقة الطهارة، ويلعنون قومًا مُطَهَّرِينَ. أيها الغويّ! إنا لا نبغي المشيخة والعلاء، ولا الأمارة والاستعلاء، ولا نميل إلى الترفّه والاحتشام، ولا نطلب ما طاب وراق من الطعام، ونجد في نفسنا أذواق حُبّ الرحمن، وسُكْرًا فاق صهباء الدنان، فلا نزيد أرائك منقوشة، ولا طنافس مفروشة، إن نزيد إلا وجه المحبوب، فالحمد لله على ما أوصلنا إلى

المطلوب، وأرانا ما تغيَّب من أعين العالمين.

والعجب كل العجب أن عبد الحق الغزنوي يسبني منذ خمس سنين، ولا يُباحثني كالصالحين المتقين، ولا يتقي الله بعد رؤية الآيات، ولا ينتهي عن الافتراءات، وسلك مسلك الظالمين. وإني صبرْتُ على مقالاته، وأعرضتُ عن جهلاته، حتى غلا في السبِّ والشتم والتوهين، وسمَّاني بأسماء الفاسقين، وأشاع اشتهارات، وأرى جهلات، وكان من المعتدين. فرأينا أن نردَّ عليه وقومه ونكسر نفوسهم الأمارات، ونذيقهم جزاء السَّبِّعيَّة وسوءِ الجذبات، وإمَّا الأعمال بالنيَّات، وإنَّ الله يعلم ما في القلوب ويعلم ما في الأرض والسموات. وإنَّا أسسنا كل ما قلنا على تقوى وديانة، وصدقٍ وأمانة، واجتنبنا الرفث وفضول الهدر، وكل شجرة تُعرَف من الثمر. ونستكفي برب الناس الافتنان، بهذا الوسواس الخناس. ونعلم بعلم اليقين أنه ليس بذاته مبدأ هذا السبِّ والتوهين، بل علّمه إبليس آخر من الغزنويين. ولا ريب أنهم هم العلل الموجبة لفتنته، ومنبثُ شُعبته، وجرموثُهُ* شَدَبِيته، وحطبُ تلهُبِ جذوته، ومحركُ عَوَمَرتِه. يذكرون النعلين عند المقال، كأنهم يتمنون ضرب النعال، ويتضاغى رأسهم ليُدَقَّ بالأحذية الثقال. وما قام عبد الحق هذا المقام الشاين، إلا بعد ما أروه صِفاتي كَمَشائِن، فويل لهم إلى يوم القيامة، ما سلكوا كأبيهم طرق السلامة، وتركوا سبل الصلاح

* سهو من الناسخ، والصحيح جرثومة. (الناشر)

معتدين. وإنهم ما استسروا عني حيناً من الأحيان، وأعلم أنهم هم
المفسدون وأئمة العدوان. بيد أي كنتُ أظن أنهم يتعلقون بأهداب
صالحٍ، ويُحسبون من وُلدِهِ مع كونهم كمثل طالحٍ، فدرأْتُ السيئات
بالحسَنات، ونافستُ في المصافاة. وكنتُ أصبر على ما آذوني بالجور
والجفاء، وأرجو أنهم ينتهون من الغلواء، حتى إذا بلغ شرهم إلى
الانتهاء، وما انتهوا من النباح والُعواء، فعرفت أنهم المردودون
المخدولون، والأشقياء المحرومون. فهناك أردتُ أن أستفلَّ عَرَبَهُم،
ونذيقهم حرَّهم، ولا تُجاوز في قولنا حد الديانة، بل نردِّ إليهم كلماتهم
كردِّ الأمانة.

أيها الغويّ المسمّى بعبد الجبار، لم لا تخشى قهر القهار؟ أتتكبر
بلحية كثة، أو مَشِيخةٍ مجتّئة؟ أخفي نفسك كالنساء، وتُغري علينا
جَزُوكَ للإيذاء؟ أيستسني الناس بهذا الكيد شأنك، أو يستغزرون
عرفانك؟ كلا.. بل هو سببٌ لهوانك، وعلةٌ موجبة لخسرانك. تحسب
نفسك من أخائر الصلحاء، وتسلك مسلك الأشقياء والسفهاء.
تعيش عيشة الفاسقين، ثم ترجو أن تُعدَّ من الصالحين. وإذا زرعتَ
حَبَّ السِّمِّ المبيد، فمن الغباوة أن تطمع اجتناء الثمر المفيد. انظر نظرة
في أعمالك، ولا تُهلك نفسك بسوء أفعالك.

أيها الغويّ! الوقت وقت التوبة، لا أوان الجدل والخصومة. وقد
تجلّى ربنا ليُظهر دينه على الأديان، وقد أشرقت شمس الله لإزالة ظلام

العدوان. فالآن ينظر الله إلى كلِّ مكذَّب بعين غضبي، فكيف تظن نفسك من أهل الصلاح والتقوى؟ صدئ بالك، وأرداك أعمالك ومالك، حتى أحالت نَحْوُكَ حليتك، وغيَّرتَ عَدْرَةَ باطنك صورتك. فمن أمعن النظر في وشمك، وسرَّح الطرف في ميسمك، عرف أنك كالسِّرحان، لا من نوع الإنسان، ومن الأشرار، لا من الصلحاء الأخيار، فاتق الله ولا تكن من الظالمين.

انظُرْ ما هذا المسلك الذي سلكتَ، واتق فإنك هلكت هلكت. أوتيت الدنيا فما شكرت، ودُّكرت فما تذكَّرت. تُب أيها الغويِّ اللئيم، وقد شِحتَ واستشنتَ الأديم، وقرب أن يتأوَّد القويم، وحن الوقت الوخيم. ما لك لا تعنو ناصيتك لرب العباد، ولا تترك طرق الخبث والفساد؟ ألا تؤمن بيوم المعاد، أو تنكر وجود الله القادر على الإعدام والإيجاد؟ فأصلح نفسك قبل أن تأكلك الدود، ويجيئك الأجل الموعود، وبادِرْ لما يحسن به المال، قبل أن يأخذك الوبال، وحيَّهَلْ بالتوبة قبل أن تنخر عظمك في التربة، فإن الله يحب التوابين ويجب المتطهرين. وإنما الوُصلة إلى الرحمن.. التقوى وتطهير الجنان. فاتق الله ولا تكن من المجترئين.

ثم نرجع إلى عبد الحق، الذي تكبر ووثب كالبق، فاعلم يا عدوِّ الصالحين، ومكفِّر المؤمنين، إنك آذيتني، فقاتلك الله كيف آذيتني، وعاديتني، فتبًّا لك لما عاديتني. أما كنتُ من المهلِّلين المسلمين؟ أما

كنتُ من المصلِّين الصائمين؟ فكيف كَفَّرتني قبل تفتيش الأحوال، وأَفَحَّتْ دَمَ الصدق بأباطيل المقال؟ وعزوتَ فتح المباهلة إلى نفسك الأُمارة، مع أن الله أَدَلَّكَ وأَرَاكَ سوء العاقبة. وكان مرام دعائك المتهالك، أن يجعلني الله كاهالك، فسوِّد الله وجهك وأسلمك إلى الحُدِّ الذلَّة، وأدخلك في جدِّ أَضيقٍ مِن سَمِّ الإبرة، وأكرمني إكرامًا كثيرًا بعد المباهلة، وأعزَّني وخصَّني بأنواع النعمة، حتى ما انقطع آثارها إلى هذا الوقت من الحضرة، وإن فيها لآيات للمتوسِّمين. وأنت رأيت كلَّ رفعتي وعلائي، ثم انتصبتَ بترك الحياء بسِّي وإزرائي. وكيف نأمن حصائد ألسن الفجَّار، وما نجا الرسل كلهم من كَلِمِ اللئام الكفَّار. ولكن عليك أن تعي مني أن غوائل كلامك عليك، وأن رأسك تلينُ بنعليك، وما ظلمتنا ولكن ظلمت نفسك يا أجهل الجاهلين.

أيها الجهول! تحارب ربك ولا تخشاه، وتختار الفسق ولا تتحاماه. كلما تواضعتُ استكبرت، وكلما أكرمتُ حقرت. وما كان هذا إلا لضيق ربعك، وقساوة زرعك*، ثم كان قدرُ الله فيك افتضحك، فما اخترتَ طريقا كان فيه صلاحك، وما أقصرتَ عن السبِّ والإيذاء، وآذيتني فبلَّغت الأمر إلى الانتهاء، والآن أكتب جواب اعتراضاتك، ليعلم الناس تعصُّبك وجهلاتك، ولتستبين سبيل المجرمين.

فمنها ما هذيتَ في قصة "آتم"، وتركتَ الحياء واخترتَ الإفك

* هو سهو، والصحيح: "زرعك" أي قلبك، كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

الأعظم. وقد علمت أن "آتم" قد مات، وتم فيه نبأ الله فليحق الأموات، وصدق الله فيه قولي وأخزي القنات، فلا تغض عينك كالعمين. وأما ما تكلمت في موته بعد الميعاد، فهذا حُملك يا قُضاة العناد. أيها الجهول! كان موت "آتم" مشروطاً بعدم الرجوع، وقد ثبت أنه خاف في الميعاد وزجى أوقاته بالخوف والخشوع، فلما انقضى ميعاده وعاد إلى سيرة الإنكار، أخذه نكال الله ومات في سبعة أشهر من آخر الاشتهار. ومكر النصارى مكرًا كُبَارًا، واشتهروا خلاف ما وارى، وأما "آتم" فما تألى وما بارى. وقد كان ذكرُ مكرهم في "البراهين"، وكان فيها ذكرُ فتنتهم المتطائرة، وبيان فريتهم المنسوجة، قبل ظهور ذلك* الواقعة. فانظر إلى دقائق علم الله الخبير، وحكم الله اللطيف القدير، ولا تهد كالمستعجلين. ألا ترى إلى شريطة كانت في نبأ "آتم"، والله أحق أن يوفي شرطه الذي قدّم، فاتق الله واجتنب بهتاننا أعظم. ألا تُنزه نفسك عن نقض الشرائط يا عدوّ الأخيار، فكيف لا تُنزه السبوح القدوس عن تلك الأقدار؟ وتعلم أن "آتم" ما تفوّه بلفظة في أيام الميعاد، وترك سيرته الأولى وما أظهر ذرّة من العناد، بل أظهر رجوعه من الأقوال والأفعال، والحركات والسكنات والأحوال، وما أثبت ما ادّعى، من صول الحية وغيرها من البهتانات الواهية وما تألى، بل أعرض وولى، وشهد قوم من الأَشهاد، أنه أنفد أيام الميعاد، بالخوف والارتعاد. ثم إذا أنكر بعد

* يبدو أنه سهو، والصحيح "تلك". (الناشر)

الأشهر المعينة، فأخذه صولُ المرضة، وأوصله الموت إلى التربة. فلو كان هذا الإنكار في الميعاد، لمات فيه بحكم رب العباد، وما كان الله أن يأخذه مع خوف استولى على مُهْجته، ولا يبالي ما ذكر في شريطته، إنه لا يُخلف ما وعد، ولا يطوي ما مهّد، وإنه لا يظلم الناس حتى يظلموا أنفسهم، وإنه أرحم الراحمين.

وإن كنت لا تنتهي من التكذيب كاللئام، وتظن أن الفتح كان للنصارى لا للإسلام، فعليك أن تُقسم بالله ذي العزة، وتشهد حالفاً أن الحق مع النصارى في هذه القضية، وتدعو الله أن يضرب عليك ذلّةً وخزيًا من السماء، إن كان الأمر خلاف ذلك الادّعاء. فإن لم يُصّبك بعد ذلك هوان وذلّة إلى عام، فأفُتّر بأني كاذب وأحسبك كإمام. وإن لم تُقسم ولم تنته فلعنة الله عليك يا عدوّ الإسلام. إنك تريد عزة نفسك لا عزة خير الأنام.

وأما ما ذكرت أن النصارى ومثلك من اليهود، لعنوني في أمر "آتم" وحسبوني كالمردود، فاعلم أيها الممسوخ أن الحكم على الخواتيم، وكذلك جرت عادة الله من القديم. إن أولياء الله وأصفياه يُؤدّون في ابتداء الحالات، ويُلْعَنون ويُكفّرون ويُذكَرون بأنواع التحقيرات، ثم يقوم لهم ربه في آخر الأمر، ويبرّئهم مما قالوا وينجيهم من ألسن الزمر، وكذلك يفعل بالمحبوبين. أما قرأت أن العاقبة للمتقين؟ فالفرح بمبدأ الأمر من سيّر الفاسقين، واللعنة التي تُرسَل إلى أهل الفلاح والسعادة،

تُرَدُّ إلى اللاعنين، فتظهر فيهم آثار اللعنة. فالإبشار بمثل ذلك اللعن ندامة في الآخرة، وجعلهُ أمانة الفتح من أمارات الحمق والسفاهة، بل الفتح فتحٌ يُبديه الله لعباده في مآل الأمر والعاقبة، وكذلك الخزي خزي الخاتمة، ولا اعتبار لمبادئ الأمور، بل الحكم كله على آخر المصارعة، وعليه مدار العزة والذلّة، والفتح والهزيمة. وكلّ لعنٍ لم يُبْنَ على الواقعة الصحيحة، فهو بلاء على اللاعن وعذاب عليه في الدنيا والآخرة. والعاقلون يتدبّرون الخاتمة والمآل، والسفيه يفرح بمبادئ الأمر ويخدع الجهّال. فانظرُ الآن وتطلّبُ أين "آتم" عمك الكبير؟ فلو لم يمت فأين ذهب أيها الشرير؟ وتعلم أنّ الله ذكر شرطاً في إلهامه فرعاه، فأخّر موت "آتم" لخوف عراه، وأكمل شرط نبئه ووفّاه. ثم إذا تمردّ أرداه، فتمّ ما قال ربّنا وفاح ربّاه، وأذلّ الله من كذب وأخزاه، وحصحص الحق وبورك مغناه، فهذه شقوتك إن كنت ما تراه.

يا قُودَ عَزْبِي أين "آتم" سلّ عشيرته
هل مات أو تُلْفِيهِ حَيًّا بينَ أحبّابِ
هل حانَ أو في حَيْنِهِ شكُّ لمرتابِ
فانظرُ إلى الشَّرْطِ الذي أَلْعَيْتَ لعتابي
إحْسأُ فإنّ الله صدّقني وأحبابي
أردى المهيمنُ عَجَلَ أهلِ الوَيْدِ بعذابِ
يشفي الصدور ويروي قلب طلابِ
عينُ الرجالِ ولكنّ كنتَ ككلابِ
يا قُودَ عَزْبِي أين "آتم" سلّ عشيرته
هل تمّ ما قلنا من الرّحمن في الخصمِ
إن كنت تُبْصِرُ أيّها المحجوبُ من بخلِ
قد مات "آتم" أيّها اللعان من فسقِ
أنظرُ إلى نبيّ تجلّى الآن كدُكّاءِ
لصدّق فيهِ لأربابِ التّهى أَرْجُ
عينُ جرتْ لرياض دين الله تُونِسها

ثم إن كنت تجعل لعنة الخلق دليلاً على سخط رب العالمين، ففكّر في "عبد الله" * الذي تحسبه من الصالحين، كيف انصبّ عليه مطر الذلّة والهوان واللعنة، وكيف صار ذليلاً محقّراً من أيدي العلماء وعامة البريّة، وكيف أخرجوه من بلاد كالكَفْرَةَ الفَجْرَةَ، حتى اشتدّت عليه الأهوال، وصفرت الراحة وُهب المال، وأعوّل العيال، وعُدّب بالعذاب الموقع، ودُقّق بالفقر الموقع. وطالما احتدى الوجى، واغتذى الشجى، واستبطن الجوى. وكذلك أنفد عمره في الكُرب، وانتياب النُوب، ثم هاجر إلى الهند مخذولاً ملومًا، وعاش مطعونًا مكلومًا. ما زال به

* هو المولوي عبد الله الغزنوي أحد كبار أولياء الله المعروفين في الهند. وقد أوصاه مرشده أن المهدي قد ولد في منطقة بنجاب بالهند وهو على وشك الظهور بل نحن الآن في زمنه. وكان المولوي عبد الله الغزنوي قد رأى في الكشف أن نورا عظيما قد هبط من السماء ونزل على قاديان ولكن أولاده حُرّموا منه.

لقد لقبه سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في شبابه وطلب منه الدعاء، فدخل على الفور حجرته ودعا له، ثم جاءه وأسمعه إلهاما تلقاه بعد الدعاء وهو: "أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين." ثم قال له: إن معنى هذا الإلهام أن نصره الله ستحالفك على شاكلة الصحابة. وقد توفي هذا الشيخ الصالح قبل دعوى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

وكان حضرة المسيح الموعود عليه السلام قد رأى في رؤيا أن بيده سيفا مسلولا له يريق ولمعان يخرج منه نور وأنه يضرب به شمالا وجنوبا ويقتل ألوفا من أعداء الدين، وأنه رأى في نفس الرؤيا الشيخ عبد الله الغزنوي وسأله عن تفسيرها فقال: أما السيف فهي الحجج التي أعطاك الله ونصرك بالدلائل والبراهين، وضربك إياه شمالا وجنوبا فهو إراءتلك آيات روحانية سماوية، وأما قتل الأعداء فهو إفحام المخاصمين وإسكاتهم.

يوجه حضرته الخطاب هنا إلى المولوي عبد الحق الغزنوي الذي هو أحد تلامذة المولوي عبد الله الغزنوي، غير أنه وقف في صف المعارضين لسيدنا الإمام المهدي عليه السلام فدكّره حضرته في عدة مواضع من كتبه بما قاله مرشده المولوي عبد الله الغزنوي وما رآه في الكشف. (الناشر)

قطوب الخطوب، وحروب الكروب، ولعنُ اللاعنين، وطعن الطاعنين، حتى تواترت المحن، وتكاثرت الفتن، وأقوى الجمع، ونبا المرتع. وكان يُداس تحت هذه الشدائد حتى فاجأه الموت، وأخذ كالصائد الفوئ، وأدخله في الزمر الفانيين. فما ظنك.. أكان هو من الصلحاء أو من الفاسقين؟

فثبت أن لعن الفاسقين وأهل العدوان، لا يدلّ على سخط الرحمن، وإيذاء المفسدين وأهل الشرور، لا ينقُص مراتب أهل العمل المبرور، بل يكون لعنهم وسيلةً رُحِمَ حضرة الكبرياء، ووُصلة الاجتباء والاصطفاء. وكذلك بشرني ربي في تلك الفتنة، وإن شئتَ فارجع إلى "البراهين الأحمدية"، وانظُر كيف أخبر ربّي فيها عن هذه القصة، وأنبأ من نبأ "آتم" وفتن النصارى ويهود هذه الملّة، وأخبر أن النصارى يمكرون بك في الأزمنة الآتية، ويهيّجون فتنة عظيمة ويكونون معهم علماء هذه الأمة. فهذه شهادة من الله قبل هذه الواقعة، فهل أنتم تؤمنون بشهادات حضرة العزّة؟ وإن كنت لا تترك الآن ذكر اللعنة، ففكّر في هذا النبأ وانظُر مَنْ لعنه الله فيه ومن جعله مورد الرحمة. وانظر أنه كيف أخبر أنّ النصارى يمكرون ويأتون بالفرية، ثم يفتح الله ويجعل الكرة لأهل الحق بإراءة الآية الواضحة، وينصر عبده ويُحقّ الحقّ ويُبطل الباطل بالصولة العظيمة، ويخزي قوما كافرين. فهذه الأنباء التي كتبت في "البراهين" من الله العلام، كانت مكنونةً فيها لهذه الأيام،

لَيْتَمَّ اللهُ حَجَّتَهُ عَلَى الْخَوَاصِّ وَالْعَوَامِّ، وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ.
أيها المسارعون إلى الحرب والخصام، والساعون من النور إلى
الظلام، ما لكم لا تتفكرون في الكلام، ولا تتقون قهر الله ذي الجلال
والإكرام؟ أتتركون في دنياكم ولا ترون وجه الحمام؟ أأثرتم عيشة الحياة
الدنيا، أو نسيتم يوم الأثام والعقبي؟ توبوا توبوا، وإلى الله ارجعوا، فإنَّه
لا يُحِبُّ قَوْمًا فَاسِقِينَ.

وَمَا ادَّعَيْتَ يَا مَنْ أَضَاعَ الدِّينَ، أَنْكَ قَلْتَ إِنِّي أَنَا ضَلُّ فِي الْعَرَبِيَّةِ
كالمترجلين، وأستملي كالأدباء الماهرين، وأكون من الغالبين. وَيَحْكُ يَا
مسكين، لِمَ تُخْزِي اسْمَ دُنْيَاكَ وَقَدْ ضَاعَ الدِّينُ؟ أَلَسْتَ الَّذِي أَعْرَفَكَ
من قديم الزمان؟ غيبي الفطرة سفيه الجنان، كثير الهديان قليل العرفان،
الموصوم بمعرة لکن اللسان؟ أتصارع بهذه القوة الفاتك البازل، وتحارب
الكمي الجازل؟ كلا.. بل تريد أن تُري الناس وصمتك، وتشهد على
جهلك أبتتك، وإن كنت عزمت على مناظرتي، وأردت أن تذوق
حزبي وحررتي، فأدعوك كما يدعى الصيد للاصطياد، أو يُدنى النار
للإخماد. بيد أني اشتطت من الابتداء أن لا يعارضني أحد إلا بنية
الاهتداء، فاسمع مني أني أناضلك على هذه الشريطة، ليهلك من هلك
بالبيئة. فَإِنْ اتَّفَقَ أَنْ أُغْلِبَ فِي النِّضَالِ، وَتَغْلِبَ فِي مَحَاسِنِ الْمَقَالِ،
فأتوب على يدك بالإخلاص التام، وأحسبك من الأتقياء الكرام، وإن
اتَّفَقَ أَنَّ اللهُ أَظْهَرَ غَلْبَتِي فِي الْجِدَالِ، فَمَا أُرِيدُ مِنْكَ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَتُوبَ

في الحال، وتبايعني بالتذلل والانفعال وتُصدّق دعواتي بصدق البال، وتدخل في سلك جماعتي بالاستعجال، وتؤثّرني على النفس والعرض والمال. فإن كنتَ رضيت بهذه الشريطة، فتعالَ تعالَ بصحة النية، واشهدْ مجمعَ الحيّ، ليتبينَ الرشد من الغيِّ، وتعلمَ أيّ ما أريد في هذه الدعوة، أن تحسبني الناس أديبا في العربية، ولا أبالي أن يرموني بجهالة، أو يقولوا أُمِّي لا يطّلع على صيغة، إنْ أريدُ إلا إقامة الآية، وإثبات الدعوى بهذه البيّنة، ليطمئنّ الله على الناس، ولينجو الخلق من الوسواس، وليمتنعوا من الغواية، وتتكشف عليهم أبواب الهداية، ويأتوني توابين مُصدّقين.

فإن كنتَ تُعاهدني على هذا، ولست كالذي نقض العهد وأدى، فقمُ بهذا الشرط للنضال، وأتني حالفا بوجه الله ذي الجلال، وأشهدُ عليه عشرة عدلٍ من الرجال، ثم اشتهرْ بعد طبعه بصدق البال، فتراني بعده حاضرا عندك في الحال، كبازي متقضي على طيور الجبال، فتمزّق كلّ ممزّق بإذن رب العالمين. هذا عهد بيني وبينك، ليظهر منه ميني أو مئتك، وليهلك من كان من الكاذبين. وإن الكذب يُخزي أهله، ويُحرق رحله، ولكنكم لا تبالون الله ويوم الإخزاء، وتقولون ما تشاءون بترك الحياء. ألا إن لعنة الله على المزورين، الذين يُخفون الحق ويزيّنون الباطل ويريدون أن يُطفئوا نور الله مفسدين.

وقالوا اهجرُوا هؤلاء ولا تلاقوهم مسلمين، ولا تُصلّوا على

أمواتهم، ولا تتبعوا جنازاتهم، واقتلوهم إن قدرتم على قتلهم في حين،
 واسرقوا أموالهم، وأنهبوا رحالهم، وكفروهم وسبّوهم واشتموهم، ولا
 تذكرهم إلا مُحْضَرِينَ. تَبَّأْ لَهُمْ! كيف نحتوا مسائل من عند أنفسهم وما
 خافوا أحكم الحاكمين. أولئك عليهم لعنة الله والملائكة وأخيار الناس
 أجمعين، وأولئك هم شرّ البرية تحت السماء ولو سمّوا أنفسهم عالمين.
 ثم أعلم أي كتبت مكتوبي هذا في اللسان العربية، لأختبرك قبل أن
 أجيئك للمناضلة، فأني أظنك غيبًا ومن الجاهلين. وما أريد أن يكون
 ذهابي إليك صُلفَةً، وأكون كالذي يقصد عذرة، أو يأخذ في يده
 روثه، وما أريد أن أعطي جاهلاً بحثًا عزةً المقابلة، وأرفع له ذكره في
 العامة. فإن كنت من أدباء هذا اللسان، فلا يشقّ عليك أن تريني في
 العربية بعض درر البيان، بل إن كنتَ بارعًا من غير التصلّف والميّن،
 فستكتب جواب ذلك المكتوب في ساعة أو ساعتين، ولا تردّ مسألتني
 كالجاهل المحتال، بل تُملي بقدر ما أمليت وترسل في الحال. وعليك أن
 تراعي مماثلتي في النظم والنثر والمقدار، وتأتي بما أتيتُ به من درر كدرر
 البحار. وإذا فعلتَ كله فأرسل إليّ مكتوبك العربيّ بالسرعة، ثم أنزلُ
 ساحتك كالصاعقة المحرقة، ويفتح الله بيننا بالحق وهو خير الفاتحين.
 وإن كنتَ ما أرسلتَ جوابك إلى سبعة أيام، أو أرسلت في الهندية
 كعوام، أو عربية غير فصيحة كجهام، أو أرسلت قليلا من كلام،
 فثبت أنك من السفهاء الجاهلين، لا من الأدباء المتكلمين، ومن

العجماوات، لا من رجال يؤثر نطقهم على ثمار العجمات، فأتركك كما يُترك سقط من المتاع، وأعرض عنك كإعراض الناس عن السباع، وأشيع في هذا الباب شيئاً لأولي الألباب والمستبصرين.

وأما ما تدعوني متفرداً في المباهلة، فهذا دجلك وكيدك يا عُول البادية. ألا تعلم أيها الدجال، والغوي البطال، أن الشرط مني في المباهلة مجيء عشرة رجال، لملاعة وابتهال، في حضرة مُعين الصادقين؟ فما قبلت شريطي، وكان فيه نفعك لا منفعتي. ثم أردت أن أتمّ الحجّة عليك وعلى رهطك المتعصّبين، فرضيت بثلاثة من رجال عالمين، وخففت عليك وقنعت يا عدوّ الأخيار، بأن تباهلي مع عبد الواحد وعبد الجبار، وإنهما أكابر جماعتك وحرثاء زراعتك، وابنا شيخ أمين. ففررت فرار الظلام من النور، ووليت دُبر الكذب والزور، ودخلت الجحر كالمخوفين. وما وَرَدَ على صاحبك؟ إنهما فرّاً وفقاً عينك، وما جاءني كالمباهلين. وأيُّ خوف منعهما من المباهلة إن كانا يُكفّراني على وجه البصيرة؟ فأين ذهبا إن كانا من الصادقين؟

ومن أقوالك في اشتهاك، أنك خاطبتني وقلت بكمال إصرارك: إنك تحترق في النار وتغرق في الماء، ولا يمسنني ضرٌّ لو دخلتهما وأحفظ من البلاء. أما الجواب.. فاعلم أيها الكذاب أنك رأيت كل ذلك بعد المباهلة الأولى، وأغرقت وأحرقت يا فُضلة التوكى. فأنبئنا أين خرجت من الماء؟ بل مُت في ماء التندّم كالأشقياء. وأين نُجيت من

النار؟ بل احترقت بنار الحسرة التي تطلع على الأشرار، وما صارت النار عليك بردًا وسلامًا، بل أكلتك نار إخزاء الله ولقيت آلامًا، وكذلك يُخزي الله المفتريين.

إن الذين يتكبرون بغير الحق هم الفاسقون حقًا ولو حسبوا أنفسهم من الصالحين. والذين وجدوا فضل ربهم يُعرفون بأنوارهم، ويمشون على الأرض هونًا لانكسارهم، ولا يمشون مستكبرين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قصيدة من المؤلف

إِنِّي صَدُوقٌ مَصْلِحٌ مَتَرِدُّمٌ سَمُّ مُعَادَاتِي وَسَلِمِي أَسْلَمٌ
 إِنِّي أَنَا الْبَسْتَانُ بَسْتَانُ الْهُدَى تَأْتِي إِلَيَّ الْعَيْنُ لَا تَتَصَرَّمٌ
 رُوحِي لِتَقْدِيسِ الْعَلِيِّ حَمَامَةٌ أَوْ عِنْدَلِيبِ غَارِدٍ مَتَرَّمٌ
 مَا جِئْتَكُمْ فِي غَيْرِ وَقْتٍ عَابَثًا قَدْ جِئْتَكُمْ وَالْوَقْتُ لَيْلٌ مَظْلَمٌ
 صَارَتْ بِلَادُ الدِّينِ مِنْ جَدِبِ عَتَا أَفْوَى وَأَقْفَرٌ بَعْدَ رَوْضٍ تَعَلَّمٌ
 هَلْ بَقِيَ قَوْمٌ خَادِمُونَ لِدِينِنَا أَمْ هَلْ رَأَيْتَ الدِّينَ كَيْفَ يُحْطَمُ
 فَاللَّهُ أَرْسَلَنِي لِأُحْيِي دِينَهُ حَقٌّ فَهَلْ مِنْ رَاشِدٍ يَسْتَسَلِمُ
 جُهِدِ الْمَخَالَفَ بَاطِلٍ فِي أَمْرِنَا سَيْفٌ مِنَ الرَّحْمَنِ لَا يَتَثَلَّمُ
 فِي وَجْهِنَا نُورُ الْمَهِيْمِنِ لَا تُخُ إِنْ كَانَ فِيكُمْ نَازِرٌ مَتَوَسَّمٌ
 الْيَوْمَ يُنْقِضُ كُلَّ خَيْطٍ مَكَاثِدِ لَيْنٌ سَحِيلٌ أَوْ شَدِيدٌ مُبْرَمٌ
 مَنْ كَانَ صَوَّالًا فَيَقْطَعُ عِرْقَهُ يُرِيدُهُ عَالِيَةُ الْقَنَا أَوْ هَذَمٌ
 اللَّهُ آثَرْنَا وَكَفَّلَ أَمْرَنَا فَالْقَلْبُ عِنْدَ الْفِتَنِ لَا يَتَجَمِّمُ
 مَلِكٌ فَلَا يُخْزِي عَزِيزٌ جَنَابِهِ إِنْ الْمَقْرَبُ لَا أَبَا لَكَ يُكْرَمُ
 كَفِّرْ وَمَا التَّكْفِيرُ مِنْكَ بَبَدْعَةٍ رَسْمٌ تَقَادِمٌ عَهْدُهُ الْمُتَقَدَّمُ
 قَدْ كَفَّرْتَ مِنْ قَبْلِ صَحْبِ نَبِيِّنَا قَالُوا لِمَا كَفَرْنَا، وَهُمْ هُمْ هُمْ
 أَنْظُرْ إِلَى الْمُتَشِيعِينَ وَلَعْنَهُمْ مَا غَادَرُوا نَفْسًا تُعْزُّ وَتُكْرَمُ
 جَاءَتْكَ آيَاتِي فَأَنْتَ تَكْذِبُ شَاهَدْتَ رَايَاتِي فَأَنْتَ تُكْتَمُ
 يَا مَنْ دَنَا مِنِّي بِسَيْفٍ زَجَاجَةٍ فَاحْذَرْ فَايِنِي فَارِسٌ مُسْتَلَمُ

يُدرِيكَ مَنْ شَهِدَ الْوَقَائِعَ أَنِّي
 كَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ شَقَقْتُ جَنُورَهَا
 وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِن نَطَقِي مَفْحِمٌ
 حَارِبْتُ كُلَّ مَكْدَبٍ وَبَاخِرٌ
 يَا لِأَيْمِي إِنَّ الْمَكَارِمَ كُلَّهَا
 إِن كُنْتَ أَزْمَعْتَ النَّضَالَ فَإِنَّا
 هَلَّا أَرَيْتَ الْعِلْمَ يَا ابْنَ تَصَلُّفٍ
 قَدْ ضَاعَ عَمْرُكَ فِي السَّفَاهَةِ وَالْعَمَى
 قَدْ جَاءَ إِنَّ الظَّنَّ إِثْمَ بَعْضُهُ
 الْكِبْرَ يُخْزِي أَهْلَهُ الْعَاقِي وَمَنْ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا آجَالَكُمْ
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا خَلَاقَكُمْ
 إِنِّي أَرَى الدُّنْيَا تَمُرُّ بِسَاعَةٍ
 فَلِهَذِهِ لَا تُسَخِّطُوا مَعْبُودَكُمْ
 تَوَبُوا وَإِن العُدْرَ لَعَوُّ بَعْدَمَا
 إِنَّا صَرَفْنَا فِي النَّصِيحَةِ رَحْمَةً
 وَاللَّهِ إِنِّي قَدْ بُعِثْتُ لِحَيْرِكُمْ
 إِن كُنْتَ تَبْغِي حَرْبَنَا فَنَحَارِبُ

بَطْلٌ وَبِيَّ صَفِّ الْوَعَى مُتَقَدِّمٌ
 كَمْ مِنْ صُدُورٍ قَدْ كَلَّمْتُ وَأَكْلُمٌ
 سَيْفٌ فَيَقْطَعُ مَنْ يَكِيدُ وَيَجْدِمُ
 لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَيْكَ فَتَعْلَمُ
 فِي الصَّدَقِ فَاسْأَلْكَ سُبُلَ صَدَقٍ تَسْلُمُ
 نَأْتِي كَمَا يَأْتِي لِصَيْدٍ ضَيِّعُمُ
 إِن كُنْتَ عَلَامًا بِمَا لَا أَعْلَمُ
 طُوبَى لِمَنْ بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمُ
 فَارْفُقْ وَلَا يُضِلُّ جَنَانَكَ مَاثِمٌ
 لِلَّهِ يَصْعُرُ فَلْمُهَيْمِنِ يُعْظَمُ
 إِن الْمَنَايَا لَا تُرَدُّ وَتَهْجُمُ
 تَوَبُوا وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّ أَرْحَمُ
 غَيْمٌ قَلِيلُ الْمَاءِ لَا يَتَلَوَّمُ
 تَوَبُوا وَطُوبَى لِلَّذِي يَتَنَدَّمُ
 كُشِفَتْ سَرَائِرُكُمْ وَأُخِذَ الْمَجْرُمُ
 مَا حَمَلَ حَسَنُ بَيَانِنَا وَتَكَلَّمُ
 وَاللَّهِ إِنِّي مُلْهَمٌ وَمُكَلَّمُ
 بَارِزٌ فَإِنِّي حَاضِرٌ مُتَخَيَّمُ

القصيدة الثانية

لك الحمدُ يا تُرْسِي وجرزِي وجوسقي
 بذركك يجري كلُّ قلب قد اعتقى
 وباسمك يُحفظ كلُّ نفس من الردى
 وما الخير إلا فيك يا خالق الورى
 وتعنو لك الأفلاك خوفا وهيبة
 وليس لقلبي يا حفيظي وملجائي
 يميل الورى عند الكروب إلى الورى
 وإنك قد أنزلت آيات صدقنا
 ألم ير عَجَلاً مات في الحيّ داميّاً
 أرى الله آيته بتدمير مفسدٍ
 وما كان هذا أوّل الآي للعدا
 والله آيات لتأييد دعوتي
 ألا ربّ يوم قد بدت فيه آينا
 إذا قام عبد الله عبدُ كريمنا*
 فكلُّ من الحُضار عند بيانه
 وقاموا بجذبات النشاط كأنهم
 بحمدك يُروى كلُّ من كان يستقي
 بحبك يحبي كل ميت ممزق
 وفضلك يُنجي كلَّ من كان يُرَبِّق
 وما الكهف إلا أنت يا مُتَكَا التقي
 وتجري دموع الراسيات وتثيق
 سواك مُريحٌ عند وقت التأزُّق
 وأنت لنا كهفٌ كبيتِ مُسردق
 فويلٌ لعمرٍ لا يراها وينهق
 أهذا من الرحمن أو فعل بُندقى؟
 وتعرفها عين رأت بالتعمق
 بل الآي قد كثرت فأمعن وحقق
 فأنس بعين الناظر المتعمق
 ولا سيما يوم علا فيه منطقي
 وكان بحسن اللحن يتلو ويغق
 كمثل عطاشى أهرعوا أو كأعشق
 تعاطوا سُلَافاً من رحيقٍ مُزَهزق

* يشير حضرته عليه السلام هنا إلى أحد كبار صحابته وهو المولوي عبد الكريم السيلكوتي عليه السلام الذي قام بإلقاء محاضراته عليه السلام على مسامع الناس في المؤتمر الأعظم للأديان بـلاهور عام ١٩٦١ م. (الناشر)

ومالت خواطرهم إليه لذاذة
فأخرج حيوات العدا من جحورها
وكانوا يهْمَسِ يحمدون كأنه
حداهم فلم يترك بها قلب سامع
كأن قلوب الناس عند كلامه
وكان كسِمَطِي لؤلؤ و زبرجد
إليه صبت رعباً قلوب أولي النهى
ومن عجب قد أخذ كل نصيبه
إذا رفعت أستارها فكأنها
فضل العذارى ينتهين بجلوة
فشيء من الإيوان لم يبق خاليا
وكان الأناس مليلهم نحو كلمتي
وقوفاً بهم صحي لخدمة دينهم
وكم من عيون الخلق فاضت دموعها
وكانوا إذا سمعوا كلاما كلؤلؤ
يقولون كرزها وأرو قلوبنا
هنالك لاحت آية الحق كالضحى
وإني سقيت الماء ماء المعارف
يمائية بيضاء دُرُّ كأنها
فكان بكلماتي يجز قلوبهم
وأضحى يسح الماء ماء فصاحة

كمثل جياع عند خبز مُرَقِّي
وأنزَل عُصْماً من جبال النعزُق
حفيف طيور أو صداء التمطُق
ولا أذناً إلا حدا مثل عَيْهَق
على قلبه لُقْتُ كنبت معلق
وكان المعاني فيه كالدرر تبرق
إذا ما رأوا دُرّاً وسَمَطَ التزيق
وفي السِمْط كانت دُرره لم تُفَرَّق
عذارى أرزَّ الوجوه من تحت بُحُوق
بعاع قلوب المبصرين بمأزق
لما ملأ الإيوان عشاق منطقي
بأقطاره القصوى كطير مُرَقِّي
يرون عجائب ربهم من تعمق
إذا ما رأوا آيات ربِّ موقِّق
وكلماً تُفَرِّحهم كِمْسِكٍ مدقِّق
وهز علينا من عُذَيْقك وانتق
فهل عند أمرٍ واضح من مُبَرِّق؟
وأعطيت حكماً عافها قلب أحمق
جواهر سيف قد فداها لموق
إليه ولم يسحر ولم يتملق
على كل قلب مستعد مجعق

وكلُّ أراؤوا من أسارير وجههم
 ومن سمع قولاً غير ما قرأ فاشتكى
 وكان كمنحوخٍ بعالمٍ سكتةٍ
 وكم حكيمٍ كانت بلفٍ كلامنا
 جرائدُ أقوامٍ تصدّت لذكرها
 ترى زمرة الأدباء في أخبارهم
 وكانت مضاميني كغيدٍ بلطفها
 ولما رآها أهل رأيٍ تمايلتُ
 ومرة على الأعداء بعضُ رشاشها
 إلى هذه الأيام لم يُنسَ ذكرها
 جرى الله عني مخلصي حين قرأها
 وكان الأناص غداة يوم قيامه
 وأخبرني من قبل ربي بوحيه
 فشهدتُ جدور قلوبهم أهما علث
 تراءى بعين الناس حسنُ نكاتها
 فوعدتُ مضاميني على كل منكر
 وكلُّ من الأحرار ألقوا قلوبهم
 فصدنا بكلمٍ كلَّ صيدٍ معظّم
 وتركوا لقولي رأيهم فكأنهم

سرورًا وذوقًا ما يناني التازق
 كما تشتكي إبلٌ عُقيب التبرق
 فيا عجبًا من ميلهم كالتعشق
 وكم دررٍ كانت تلوح وتبرق
 لما رغبو في وصف قولي كمنشقي*
 أشاعوا كلامي للأناص كمشفق
 فأصبّت بحسنٍ ثم لحنٍ كيَلَمَق
 عليه عيونٌ قلوبهم بالتومق
 فنفاها قد غسل أوساخ حُنبق
 وكل لطيف لا محالة يُرمق
 فصارت مضامين العدا كالمزق
 حراصًا إليه كمثل طفلٍ لبَلَعق
 وقال سيعلو ما كتبت ويبرق
 وفاقث وراقت كلَّ قلب كصَمَلَق
 وكلماتها كأنها بيضٌ عَقَق
 كعَضِبٍ رقيقٍ الشفرتين مُشَقَق
 إلينا بصدقٍ غير من كان مُمَحَق
 كأسدٍ ونمر غير فأرٍ وخزَنَق
 حذولٌ أتت ترعى خميلةً منطقي

* هكذا ورد في الأصل سهوا والصحيح "كمنشقي" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

على ألسنٍ قد دارَ ذكرُ كلامنا
وسرَّ عيونَ الناظرين صفاؤه
ولما بدت روضُ الكلام تضععت
وقد جدَّ شيخُ المبطلين لمنعهم
تسلَّت عمَاياتُ الهنود بسمعها
ففاضت دموعي من تدكُّرٍ بخله
إذا قام للإسماعِ شيخُ "بطالة"
ولما تلا الشيخ المزور ما تلا
وكان يُعْتُ الكليم من غير حاجة
ومن سمع قولي قبله ظنَّ أنه
وقال أرى الإسلام كالجوِّ خاليًا
فصال على الإسلام في جمع العدا
وحمد كبراءِ الهنود ودينهم
أراد ليُخزِي ديننا من عداوتي
فلما رأوا سيرَ الغراب بنطقه
وقالوا له يا شيخُ! وقتك قد مضى
ولما أصرَّ على القيام وما نأى
فما طاوَع الأحرارَ حمًا وما انتهى
فلما أبى فنفاه صدرُ المنتدى
أهانَ المهيمنُ من أراد إهانتِي
يُدُّ الله تحمي نفسَ من هو صادق

وقد هتأونا كالحبيب المشوق
كورِدِ طرِيِّ الجسم لم يتشقق
قلوبُ العدا وتواردوا بالتأنق
فهل عند شوقٍ غالبٍ من مُعَوِّق
وما قلَّ بخلُ الشيخ فانظرْ وعمِّق
أهذا هو الرجل الذي كان يتقي
ففرَّت جموعُ كارهين كجورق
فكان الأناصير يرونه كيف ينطق
ويأتي بألفاظ كصخرٍ مُدْمَلِق
لدى ثمرات العذق نافضُ عسبِق
وما إن أرى الآيات من صالح تقي
وقد كان يعلم أنه يتخلَّق
وداهنَ من وجه النفاق كمنفِق
فأخزاه ربُّ قادرٍ حافظُ الحق
فقالوا لك الويلات إنك تنعق
فأحسِن إلينا بالسكوت وأطرق
فقل: على عقبيك إنك تدمق
فقالوا إذا صهَّ صهَّ! ولا تك مُقلِق
بزجرٍ يليق بذي مكائد أفسق
فرَّقق وميضَ الحق إن كنت ترمق
وإن المزور يضمحلَّ ويزهق

وتبقى رجالُ الله عند نهابٍ
إذا ما بدتْ نارٌ من الله فتنةً
ومن يُحرق الصديقَ حبَّ مهيمٍ؟
ومن كذب الصديقَ خبثًا وفرية
ومهما يكنُ حقٌّ من الله واضحٌ
ومن كان مفترًا يُضاع بسرعة
تري قوله من كل خير خاليا
فيقطع نبتًا لا مُريح وجوده
وإني من المولى عُذيقٌ مُرجَّبٌ
حسبتم قتال الصادقين كهينٍ
تقدمت "عبد الحق" في السب والهجا
وسميتني كلبًا وقد فُهِت شاتما
وما الكلب إلا صورةٌ أنت روحها
رميتك إذ عرضت نفسك رميةً
فأسقيك مما قلت كاسًا رويةً
فدُق أيها الغالي طعامَ التبادلِ
لطمناك تنبيهاً فألغيت لطمنا
وتسمع مني كلَّ سبٍ تريده
أطلت لسانك كالبغايا وقاحةً
وأعلم أنّ جموعكم أيها الغوي

على النار نفى الكاذبون كزيق
فكل كذوب لا محالة يُحرق
فطوبى لمن يصلى بنار التوهم
فيسفيه إعصارٌ ويُجزى ويسفق
وإن ردها زُمُر من الناس يبرق
ويهلك كذاب بسم التخلُّق
كنت خبيث الريح مُرِّ سَعْبِق
وكل نخيل لا محالة يسْمُق
فيعرق قاطع شجرتي كلَّ معرق
وإن سهام الصادقين سيخزق
فأقربك ما أهديت لي كالمشوق
وجاوزت حد الأمر يا أيها الشقي
فمثلك ينبح كالكلاب ويزعق
ومن أكثر التفسيق يوما يُفستق
وذلك دينٌ لازمٌ كيف يُحَقق
صفيفٌ شواءٌ بالجبيز المرقق
فليت لنا النعلين من جلدٍ عوهق
وإن ترفعن في القول والوصول أرفق
ظلمتك جهلا يا أبا العول فاتق
علي حراس لو تُسرون موبقي

سَأْصِلِي قُلُوبَ الْمَفْسِدِينَ وَأُحْرِقِ
بُحْبُثٍ فَإِنِّي دَامِعٌ هَامَةٌ الشَّقِي
بِكَلِمٍ أَسْأَلْتَنِي إِلَيْكَ فَأَعْلَقِ
مَوَاضِعَ رَفَقٍ تَطْلُبُ الرِّفْقَ كَالْحَقِ
لَكُنْتُ ظَلُومًا مَسْرُفًا غَيْرَ مُتَّقِي
هَجَاهِمٍ فَمَا عَدَوَانُ عَبْدٍ مُسَبِّقِ
كَذُوبٍ سَطُورًا أَوْ مِثْلَ سَيْفٍ مُشَقِّقِ
وَلَكِنَّهُمْ قَدْ كَلَّفُونِي فَأُفَلِّقِ
وَعَادَاتُ سِرْحَانٍ وَقَلْبُ كَحَرْزِقِ
وَعِضِ مِيَاهٍ قَدْ عَلَتْ مِنْ تَدْفُقِ
وَأُعْطِيْتُ حِكْمًا مِنْ خَيْرِ مُوَفِّقِ
أَنَا سَا أَطَاعُونِي وَزَادُوا تَعَلُّقِي
وَتَجَرِي عَلَى رَأْسِ الْعَدَا كَالْمَصْقُوقِ
بَنَا شَمْسُ جَلُوتِهِ فَصُرْتُ كَمَشْرِقِ
عِنَادًا فَمَنْ يَعْطِيهِ عَيْنَ التَّائِقِ
وَهَبَّتْ رِيَاحُ لَا كَهَيْجَانِ سَوَهْقِ
وَيُرْسِلُ غَيْمًا عِنْدَ قَحْطِ مُعْتَرِقِ
ثَمَالِ الصَّدُوقِ مُبِيدُ أَهْلِ التَّخْلُقِ
نَقُومُ بِصَمَصَامِ حَدِيدٍ وَأَذْلِقِ
يُدَاسُ وَيُسْحَقُ كَالدَوَاءِ الْمَدَقِّ
وَقَمْتُ لِسِلْمٍ أَوْ لِحَرْبِ مَمْرَقِ

فَأَقْسَمْتُ جَهْدًا بِالَّذِي هُوَ رَبَّنَا
أَكْفُ لِسَانِي كُلَّ كَفٍّ فَإِنْ تَرَمُ
وَأَشْرَاكَ مَا قُلْنَا وَقَدْ فَهَّتْ بِالْهَجَا
وَلَا خَيْرَ فِي رَفَقٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ بِهِ
وَلَوْ قَبْلَ سَبِّ الْمَكْفُورِينَ سَبِّهِمْ
وَلَكِنْ هَجَوْا قَبْلِي فَأَوْجَبَ لِي الْهَجَا
وَقَدْ كَفَّرُونَ وَفَسَقُونَ وَإِنَّهُمْ
وَمَا كَانَ قَصْدِي أَنْ أَكَلَّمُ مِثْلَهُمْ
لَهُمْ صَوْلُ كَلْبٍ وَالتَّحْوِي كَحَيَّةِ
وَأَرْسَلَنِي رَبِّي لِكَفِّ سِيُولِهِمْ
وَإِنِّي مِنَ الْمَوْلَى وَعُلِّمْتُ سَبْلَهُ
فَنَجَّيْتُ مِنْ بَدَعِ الزَّمَانِ وَفَتْنِهِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ يَشْقُ فُلُوكِي حَبَابَهَا
وَأُعْطِيْتُ مِنْ عِلْمِ الْهُدَى وَتَأَقَّقْتُ
وَلِي آيَةٌ كَبْرَى فَمَنْ غَضَّ بَصْرَهُ
أَلَمْ تَرَ فَتَنَ الدَّهْرِ كَيْفَ تَكْتَفُّ
فَجِئْتُ مِنَ الرَّبِّ الَّذِي يَرْحَمُ الْوَرَى
أَنَا الضَّيْعَمُ الْبَطْلُ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ
عَلَى مَوْطِنٍ يَخْشَى الْكُذُوبَ هَلَاكَهُ
فَمَنْ جَاءَنَا فِي مَوْطِنِ الْحَرْبِ وَالْوَعَى
وَوَاللَّهِ أَلْقَيْتُ الْمَرَّاسِي لِلْعَدَا

فإن جنحوا للسلم فالسلم ديننا
أراهم كآرامٍ وعينٍ بصورهم
وإن تبغني في ندوة السلم تُلفني
ونخضع للأعداء قبل خضوعهم
فإن أسلموا خير لهم ولئن عصوا
وقد جئتكم من نحو عشرين حجةً
عجبت عماءً أن أكون ابنَ مريم
وتُذكِرُ لَعْنِ الخلق في أمر "آتم"
وإن الورى عمي يسبون عجلةً
بل الله يُرجع لعن كل مزورٍ
فدع عنك ذكر اللعن يا صيد لعنة
أترعم يا من لعني بالجفاء أن
كحت إذا ما وقع في مطحن الرحي
لعنتم وإن الله يلعن وجهكم
وكنتم أغض الطرف صبراً على الأذى
وإن كان صلحاء الزمان كمثلكم
وما إن أرى في نفسك العلم والتقوى
رقصت كرقص بغية في مجالس
وما نكره المضمار إن كنت أهله
ومهما يكن حق من الله واضح

وإن ندع في الهيجاء لم نتأق
وإن القلوب كمثل حجرٍ مُدْمَلِق
وإن تدعني في موطن الحرب تلتق
ونرحل بعد الخصم من كل مأزق
فنكلمهم من بعده كالمشقق
ففكر أهدأ مدّة المتخلق
وإن شاء ربي كنت أعلى وأسبق
وقد لعن الأبرار قبلي فحقق
فليس بشيء لعنهم يا ابن أحق
إليه فيمسي بالملاعين مُلْحَق
ألم تر ما لاقيت بعد التلقق
تخلص مني بل تُدق وتُسحق
فيعرُكه دور الرحي ويُدق
ولا لعن إلا لعن رب ممزق
فلما انتهى الإيذاء ذقتم تحققي
فلا شك أي فاسق بل كأفسق
تصول كخنزير وكالحمر تشهق
وفسقتني مع كون نفسك أفسق
ونأتيك يوم نضالكم بالتشوق
وإن ردها زمراً من الناس يبرق

فَذَرْنِي وَرَبِّي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ
 دَعَوْتُ عَلِيَّ فَرَدَّهُ اللَّهُ سَاخِطًا
 تَعَالَوْا نِنَاضِلْ أَيُّهَا الزَّمْرُ كَلِّمُوا
 أَرَاكُم كَذِبًا أَوْ كَكَلْبٍ بِصَوْلِكُمْ
 لَقَدْ ذَاقَ مِنَّا قَوْمُنَا غَيْرَ مَرَّةٍ
 وَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ فَسَلْ شَيْخَ فَجْرَةٍ
 لِكُلِّ أَمْرٍ عِزْمٌ لِأَمْرٍ، وَعِزْمُهُ
 أَلَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الشَّقِيَّ تَعَمَّقِ
 أَكْفَرْتَ قَوْمًا مُسْلِمِينَ خَبَاثَةً؟
 وَتُقَطَّعُ أَيْدِي السَّارِقِينَ لِدِرْهِمٍ*
 صَبَرْنَا عَلَى طُغْوَاك فَازْدَدْتَ شَقْوَةً
 وَإِن شِئْتَ بَارِزْنِي وَإِن شِئْتَ فَاسْتِزِّ
 وَجَدْتِكَ مِنْ قَوْمٍ لِنَامٍ تَأْبَطُوا
 سَبَبْتَ وَأَغْرَيْتَ اللِّغَامَ خَبَاثَةً
 فَأُقْسِمُ لَوْ لَا خَشْيَةَ اللَّهِ وَالْحَيَاةِ
 وَقَدْ ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ كَمَا تَرَى
 وَإِن كُنْتَ قَدْ سَرَّتَكَ عَادَةٌ غُلْظَةٍ
 أَلَمْ تَرَ تَشْمَلُ الدِّينَ كَيْفَ تَفَرَّقْتَ
 وَكَذَّبْتَ نَبَأَ اللَّهِ فِي خَائِرٍ فَنِي

وإن أك كذابًا فأردى وأوبق
 عليك فصرت كمثل ثوبٍ مُحْرِقٍ
 ليهلك من أراه سمّ التخلُّقِ
 وضاهى تكلمكم حمارًا ينهقِ
 حُسامًا جراحته إلى الفَرْقِ ترنقي
 غويًا غيبًا في البطالة مُوبِقِ
 إهانته دين الله فاذهب وحقِّقِ
 وفكّر كإنسان إلى ما تنهقِ
 ظلمتك جهلا فاتق الله وارفقِ
 فقل ما جزاء مكفرٍ ومفسقِ
 وخادعت أنعامًا بقولٍ ملقِّقِ
 فإني سأحوكل ما كنت تنمقِ
 شرورا وسبوا الصالحين كحذلقِ
 عليّ فأدوني ككلبٍ يحرقِ
 لأزمت أن أفنيك سبًا وأدهقِ
 ودينك هذا فاتق الله وارفقِ
 فمزق ثيابي، من ثيابك أمزقِ
 فليت كمثلك جاهلٌ لم يُخلقِ
 وقلت بجبت أنه لم يصدقِ

* هو سهو من الناسخ، والصحيح "لدرهم" كما تدل عليه الترجمة. (الناشر)

وتنحت بهتانا علي كفاسق
 أترمي بريئاً يا خبيثُ بذنبه
 فطوراً تشير إليّ خبثاً وتارةً
 ووالله إن جماعتي في جموعكم
 ومثل الذي يتبعني بعد سلّمه
 فلما عراه المحلُّ رُبِّي ثانياً
 أنتكر آيَ الله خبثاً وشقوة
 أدلّك لي الأعناقُ من غير آية؟
 إلى الله نشكو من ظنونٍ مكذّبٍ
 أنتكر آيةَ خالقِ الأرض والسماء
 أتُدعِرنا كالذئبِ يا كلبَ جيفةٍ
 رضينا ربِّ يُظهر الخير والهدى
 أأنت تؤيد فاسقاً غير صالح؟
 وإني إذا ما قمتُ لله مخلصاً
 وكان لي الرحمن في كل موطن
 وأُعطيتُ قلماً مثل منجرد الوغى
 مكرٌّ مفرٌّ مُقبِلٌ مُدبِّرٌ معاً
 وإنَّ يراعي صارمٌ يحرق العدا
 وإن كلامي مثل سيفٍ مقطوعٍ
 وإني إذا حاولتُ كَلِمًا فصيحة

وتعزي إلى نفسي جرائمٍ مُوبقٍ
 ألا تتقي الديانَ يا أيها الشقي
 تشير إلى حزبي بكذبٍ تخلُّقٍ
 كشجرة عذقٍ عند نبت السعْبِقِ
 كمثل ذرَى سِرِّ مُرِّي بأودقٍ
 فصار كمَوِيِّ الأَسِرَّةِ مُورِقٍ
 وآيةَ مَيِّتٍ بالدم المندفقِ
 أ جاءني العلماء من غير مقلِقٍ؟
 وإن المكذّب سوف يُجزي ويُسحقِ
 أنت تحارب قدره أيها الشقي
 وإنا توكلنا على حافظٍ يقي
 رضينا بعسرٍ إن قضى أو تَفَنَّقِ
 أَحَلَّتْ بجهلك أيها الغول فاتقِ
 فأيدني ربي معيني موقِّقي
 فمَرَّقْتكم بالله كلَّ الممرِّقِ
 فيُسعر نيرانا وكالبرق يخفُّقِ
 كدأبِ أجادِرَ عند موقِدِ مَأزِقِ
 كنار وما النيران منه بأحرقِ
 يَجْدُ رؤوس المفسدين ويفرِّقِ
 فناولني ربي أفانينَ منطقي

وأعطيْتُ في سبيل الكلام قريحةً
 ونزَّهها الرحمن عن كل أبلَّةٍ
 علونا ذرَى فَننِ الكلامِ وقولنا
 فلو جاءنا بالزمر سَحبانٌ وائلٍ
 وفاضت على شفتي من الله رحمة
 وكلم كِسْمَطِي لؤلؤء قد نظمتها
 إذا ما عرضنا قولنا كالمناضلِ
 فما كان يوم الجمع إلا لذكُم
 أبادكم الرحمن خزيًا وذلة
 ألا رَبَّ خصمٍ كان أكوى كمثلكم
 فلما أتاه الرشد من واهب الهدى
 رأيتُ أولي الأبصار لا ينكرونني
 لهم أعين لا يبصرون بها فَمَنْ
 ألا أيها الغالي إلَامَ تُفَسِّقُ؟
 وما جئتكم من غير آيٍ وُحْجَةٍ
 فما وقع منها خُذْ كَمَنْ يطلب الهدى
 رأيتُ كثيرًا من لئامٍ وإنني
 تسترُّ لُبُّكَ تحت كبرٍ ونخوةٍ
 كحوجاء* مِرقال تزُج وتدبق*
 وصيِّرَ غيري كالحقير الحَبَلَقِ
 زلالٌ نَمِيرٌ لا كماءٍ مُرَنِّقِ
 لفرَّ من الميدان خوفًا كحزَنِقِ
 فقولي ونطقي آية للمحققِ
 وجمل كأفنان العُدَيْقِ الأَسْمَقِ
 كَمَيْتِ سَقَطَم* أو كُتوبٍ مُحَرَّقِ
 لييدي ربي شأن رجلٍ موقِّقِ
 وأيدي فضلًا ففكَّرَ وَعَمَّقِ
 مصرًّا على تكفيره غير مُعْتَقِي
 أتاني وبأبَعِي بقلبٍ مصدِّقِ
 وينكر شأني جاهلٌ مُتَحَرِّقِ
 يُريهم إذا فقدوا عيونَ التأنُّقِ
 فدونك نصحي واتق الله وارْفُقِ
 وقد أشرقت آياتُ ربي وتُشْرِقِ
 وما لم يَقَع فاترُك هواك ورَبِّقِ
 كمثلك ما أنستُ رجلا زَبَعْبِقِ
 كلِّبٍ عفا في بطنٍ جوزٍ مُرَصِّقِ

* يبدو أنه سهو والصحيح: كعوجاء أو كهوجاء. (الناشر)

* يبدو أنه سهو والصحيح: تدلق. (الناشر)

* هذا سهو الناسخ، والصحيح "سقطتم". (الناشر)

أراك كَفَدَّانٍ تَخَاذُلُ رِجْلُهُ
وما أنت إلا كالعصافير ذلَّةً
فَتُرْجَمُ يا إبليسُ ثم بَحْرِيَّةٍ
ورثت لئاما قد خلوا قبل وقتكم
وساءتُك ما قلنا فعينك قد عمتُ
ومَن لم يكن في دينه ذا بصيرة
فَقَوِّمِ أموراً لم يكن علمُها لكم
وتُنْكِرُ ما أبدى المهيمُنُ عَزِّي
وبونٌ بعيد بين شَلِقٍ وِقَرَشِنَا
ونحن بحمد الله نلنا مدارجاً
أحاطت بنا الأنوار من كل جانب
وينمو من الرحمن حقُّ مطهَّرُ
ووالله إني مؤمنٌ ومُحِبُّهُ
وتذكُرني كالمفسدين محضراً
أتفخر يا مسكين من قِلَّةِ النهي
وما الفخر إلا بالتقاة وبالهدى
تسبَّ وقد شاهدت صدقي وآيتي
على رأس مائةٍ بُعثَ رجلٌ مجدِّدُ
أتعزو إليّ الافتراءَ خبائثاً
نشأت أحبُّ الصدقِ طفلاً ويافعلاً

فلا بد من رجلٍ يسوق ويزعقُ
وتحسب نفسك من عماء كسودقِ
تُمزَّقُ تمزيقاً ككتوبٍ مُشْبَرْقِ
تشابهت الأَطوارُ يا أيها الشقي
كمثل خفافيشٍ إذا الشمس تُشرقُ
يَكُنُّ أمره تكذيبٌ أمرٌ محققُ
فإني عليكم يا عدا الحقِّ أشفيقُ
ولا تنتهي بل كالجنانين تَشْمَقِ
فنبلعكم كالقرش يا أهلَ عَمَلَقِ
وصرتم كميتهٍ أو كخشبٍ مُدْهَقِ
ومن أفقنا شمسُ المحاسن تُشرقُ
وما كان من عُولٍ فيفئى ويمحى
أأنت علينا بابَ ذي المجد تُعَلِقِ
تقول فقيرٌ مفلسٌ بل كمدحقي
بمالٍ وأولادٍ وجاهٍ ونُسْتَقِ
ولا مالٌ في الدنيا كقلبٍ يتقي
وإن الفتى بعد البصيرة يَعْتَقِي
حديثٌ صحيحٌ لا كقولٍ مُلَقِّقِ
وقد عصمني ربُّ الورى من تحلُّقِ
وكهلاً ولو مُزِّقَتْ كلَّ الممزَّقِ

شربنا زُلالاً لا يُكدر صفوه
 عجبث لعقلك يا أسير ضلالة!
 أتبصر في عيني مخالفك القدي
 تموت بوادٍ ذي حِفافٍ عَقَنْقَلِ
 تجلّي الهدى والشمسُ نَضَّتْ نِقابها
 وسميتني أشقى الرجال تعصبا
 ولا يستوي المرءان هذا محقق
 أرى رأسك المنحوس قَفْرًا من النهي
 متى ضلَّ عقلُ المرء ضلَّت حواسه
 كذلك متمم من عناد ونقمة
 أفي الكفر أمثال جفاءٍ وغلظة
 أهذا هو التقوى الذي في جموعكم
 وقلت لكم توبوا وكُفُّوا لسانكم
 والله آياتٌ لتأييد أمرنا
 على قلبِ أهلِ الله نزلت سكينه
 أيا لاعيبي إن السعادة في التقي
 إذا كتب أن الموت لا بد تُدركُ
 ولا يفلح الإنسان إلا بصدقه
 وما انفتحت شداك بالسبِّ والهجا
 وإن سقام الجسم ملتَمَس الشفا
 ووالله لو لا حربتي لم تكذ تری

وَدُقنا شرابا محييا من تذوق
 تركت نَميرَ الماءِ من حُبِّ غَلْفِقِ
 وعينك من جِدْلِ عتا تتشقق
 وتكره روضاً من عَدِيقِ مُلَبِّقِ
 وأنت كحفاش الدجى تتأبِقِ
 فتعلم إن متنا غداً أئنا الشقي
 وآخر يتبع كلَّ قولٍ مُلَفِّقِ
 وقلبا كموماةٍ ونفسا كسَلَمَقِ
 فلا يُؤنس الوحلَ المزلَّ ويزمق
 فأني لكم تأييدُ ربِّ مُوفِّقِ
 لكم أيها الرامون رَمِي التخلُّقِ
 أتلك الأمور ومثلها شأنٌ مَتَّقِي
 فما كان فيكم من يتوب ويتقي
 وإنا كتبنا بعضها للمحققِ
 وقلبك يا مفتونٌ يعوي وينهق
 فحفَّ قهرَ ربِّ حافظِ الحقِّ وَاتَّقِ
 فموت الفتى خير له من نُحْلُقِ
 وكل كذوبٍ لا محالة يُوبِقِ
 وتكذيب أهل الحق إلا لئتملقِ
 وليس دواء في الدكاكين للشقي
 هَيِّكًا تَحْطُ ضلالةً حين تَسْمُقِ

فَمِنْ حَيِّكُمْ مَنْ كَانَ حَيًّا لِيَنْمُقِ
 غَدًا طَلَّقُ أَلْسِنِكُمْ كَزَوْجٍ نُطَلِّقُ
 وَقَدْ صُبَّ مِنْ عَيْنِي كَمَا مَدَّعَفِقِي
 فَقَالُوا أَعَانَ عَلَيْهِ قَوْمٌ كَمُشْفِقِي
 فَيَمْلُو* الْقِصَائِدَ لِي بِحَجْرِ التَّائِبِي
 عَلَيْهِ وَتَنْبَحُ كَالْكِلَابِ وَتَزَعِقِي
 وَأَثَرَتْ سَبَلَ الْغِي يَا أَيُّهَا الشَّقِي
 أَتُعْرِضُ عَنْ حَقِّ مَبِينٍ مُرَوِّقِ
 وَقَدْ حَقَّقَ أَنْ تُمْحَى لِحَاكُمُ وَتُحَاقِ
 وَمُتَّمَّ كَمَوْتِ الْمَفْسُدِ الْمُتَحَلِّقِ
 وَأَخْزَى الْعِدَا وَأَبَادَ كَلًّا بِمَازِقِ
 فَمَا إِنْ أَرَى فِيكَ الْهَدَايَةَ تُشْرِقِ
 كَزُبُرٍ إِذَا حُمِلَتْ عَلَى ظَهْرِ زَهْلِقِ
 تَلَا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَأَحْمَقٍ أَنْزَقِ
 وَضَاعَتْ خَلَايَاكُمْ وَمَتَمَّ كَمُعْرِقِ
 هَنِئًا لِرَجُلٍ قَدْ دَنَاهَا لِيَسْتَقِي
 وَنُورًا عَلَى وَجْهِ الْمُخَالَفِ يَبْرِقِ
 وَمَنْ جَاءَنِي صَدَقًا فَقَدْ دَخَلَ جَوْسَقِي
 عِدَاوَةٌ مَنْ يَدْعُو عَلَيَّ لِأَوْبِقِ

وَإِنِّي كَتَبْتُ قَصِيدَتِي هَذِهِ لَكُمْ
 كُتُبِكُمْ أَرَاكُمْ أَوْ كَأَحْمِرَةِ الْفَلَا
 أَتَحْسَبُ أَنَّ الْقَوْلَ قَوْلُ الْأَجَانِبِ
 فَمَا هِيَ إِلَّا كَلِمَةٌ قِيلَ مِثْلُهَا
 فَفَكَّرْتُ أَتَعْلَمُ مُنْشَأً لِي كَتَمْتُهُ
 أَتَنْحَتُ كَذِبًا لَيْسَ عِنْدَكَ شَاهِدٌ
 رَضِيَتْ بِحُكَاكَاتِ إِبْلِيسِ شَقْوَةً
 أَتُنْكِرُ آيَاتِي وَقَدْ شَاهَدْتُمَا
 وَقَدْ مَاتَ "أَتَمُّ" عَمُّكَ الْمُنْتَصِرُ
 رَأَيْتُمْ جَوَازِيَكُمْ مِنَ اللَّهِ رَبِّنَا
 وَقَدْ قَطَعَ رَبِّي أَنْفَ الْجَمْعِ كُلِّهِمْ
 تَكَنَّفَ قَلْبَكَ صَدًّا ظَلَمَاتِ الشَّقَا
 وَقَدْ ضَاعَ مَا عُلِّمْتَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا
 أَرَاكَ وَمَنْ ضَاهَاكَ زَرْبَ جَهْلَةٍ
 رَأَيْتُمْ عَوَاقِبَكُمْ بَتَرَكَ سَفِينَتِي
 وَعِنْدِي عَيُونٌ جَارِيَاتٍ مِنَ الْهُدَى
 وَأَعْطَيْتُ عِلْمًا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قُرَّةً
 وَإِنِّي أَرَى الْعَادِينَ فِي تَيْهَةِ الشَّقَا
 وَلَوْ كُنْتُ دَجَالًا كَذُوبًا لَضَرَّيْنِي

* يبدو أنه سهو، والصحيح: "فيملي". (الناشر)

دَعَا ثُمَّ سُبُوا ثُمَّ كَادُوا فَحُيِّبُوا
 يَنَازِعَ أَقْوَامٌ وَيَشْتَدُّ حَرْبَهُمْ
 فَلَيْتَ عَقُولَ الزَّمْرِ قَبْلَ افْتِضَاحِهَا
 وَمَا أَنَا إِلَّا مَنذُرٌ عِنْدَ فِتْنَةٍ
 وَلِي قُرْبَةٌ شَدُّوا عَلَيَّ عِصَامَهَا
 فَمَنْ يَأْتِنِي صَدَقًا كَعَطْشَانَ سَاعِيًا
 فَكُنْ شَاهِدًا لِلَّهِ إِنْ كُنْتَ خَاشِعًا
 وَقَدْ كُنْتُ لِلَّهِ الَّذِي كَانَ مَلْجَأِي
 رَأَيْتُ وَجُوهًا ثُمَّ آثَرْتُ وَجْهَهُ
 أَحْبَبْتُ بَرُوحِي فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى
 وَلِلَّهِ أَسْرَارٌ بَعَاشِقُ وَجْهَهُ
 لِحَيِّ خَوَاصُّ فِي الْوِصَالِ وَفُرْقَةٍ
 وَأَعْطَيْتُ مِنْ حَيِّي قَمِيصَ خِلَافَةٍ
 وَأَعْطَيْتُ عِلْمَ الْفَتْحِ عِلْمَ مُحَمَّدٍ (ﷺ)
 فَتِلْكَ عِلَامَاتٌ عَلَى صَدَقِ دَعْوَتِي
 وَإِنَّ صِرَاطِي مِثْلَ جَسْرِ عَلَى اللَّظَى
 إِذَا مَا تَحَامَتْنِي الْأَرَادِلُ كُلُّهُمْ
 أَرَى اللَّهَ يُخْزِي الْفَاسِقِينَ وَيُصْطَفِي
 وَيَأْتِي زَمَانَ إِنْ رَبِّي بِفَضْلِهِ
 وَقَدْ صُفِّقْتُ كَلِمِي كَمِثْلِ سَجَنْجَلٍ
 أَرَى غَيْدَ أَسْرَارٍ نَضَضْنَ لِرِمْقِنَا

لِإِذَا حَفِظْتَنِي عَيْنُ رَبِّ مُرْمَقٍ
 فَيُعَلِّي الْمُهَيْمِنَ كُلَّ مَنْ كَانَ أَصْدَقٍ
 يَصِلَنَّ إِلَى حَقِّ مَبِينٍ مُحَقَّقٍ
 وَقَدْ جِئْتُ مِنْ رَبِّي كِرَاعٍ مُعَقِّقٍ
 لِأُرْوِي أَقْوَامًا بِمَاءِ أَعْدَقِ
 يَجِدُ كَاهِلِي هَذَا ذَلُولًا لِمُسْتَقِي
 وَأَكْرَمُ نَاسٍ عِنْدَهُ فَاتِكُ تَقِي
 وَذَلِكَ سُرٌّ بَيْنَ رُوحِي وَمُرْعَقِي
 فَوَاهَا لَهُ وَلَوْجَهُ الْمَتَأَلِّقِ
 وَإِنِّي لِأَوَّلُ مَنْ نَوَى كُلَّ مُلْزِقِ
 فَسَلْ مَنْ يَشَاهِدُ بَعْضَ هَذَا التَّعَلُّقِ
 فِي الْقُرْبِ يَجِينِي فِي الْبَعْدِ يُؤَبِّقِ
 قَمِيصَ رَسُولِ اللَّهِ أَيْضَ أَمْهَقِ
 وَأَعْطَيْتُ سَيْفًا جَدًّا أَصْلَ التَّخَلُّقِ
 فَإِنْ كُنْتَ تَطْلُبُهَا فَفَتِّشْ وَعَمِّقِ
 حَفَافَهُ نَارٌ فَأَتِنِي أَيُّهَا التَّقِي
 فَأَيْقُنْتُ أَنْ شَرِيفَ قَوْمِي سَيْلَتَقِي
 عِبَادًا لَهُ قُتِلُوا بِسَيْفِ التَّعَشُّقِ
 يَجِدُ رُؤُوسَ الْمَفْسِدِينَ وَيَفْرِقُ
 فَتَرْنُو إِلَيْهَا مُثْلَةَ الْمَتَأَلِّقِ
 وَمِنْ غَيْرِنَا بَاعِدَنَّ كَالْمَتَأَلِّقِ

إذا ما خرَجَنَ من العَيْبِطِ بزينة
 إذا ما تجلَّى حسنُهُن بنوره
 وَقَلَّ مِنَ الأخْدَانِ مَنْ كان حسنه
 فجعلتُ به ذاتُ الكسور لنا السُّوى
 وليس كشرح الصدر للمرء نعمة
 ونفسٌ كموماةِ السباع مُبيدة
 فما خفتُ صوتلهم وحقرتُ أمرهم
 وكإن ترى من مفسدٍ هو صائلٌ
 تجلّت من الرحمن أنوارٌ حجتي
 سينصرني ربي ويُعلي عمارتي
 تبصّرُ خصيمي هل ترى من علامة
 إذا ما نقول هلمَّ لا تنبري لنا
 دعوتٌ فأكثرت الدعاء لنكبتني
 عرضنا عليكم رحمةً أمر ربنا
 وقلتُ لكم توبوا ولا تتركوا الحيا
 وإني حبستُ النفسَ عند فضولكم
 ووالله لا يُجزى الصدوقُ بقولكم
 فتوبوا إلى الرب * الورى واستغفروا

فأصبي رشاقتهنَّ قلب مُرمِّق
 فرحلتُ كجاليةٍ ظلامٌ يعسِّق
 كحسنِ عذارانا وخذٍ أبرى
 وأنستُ وهَدَّ الجائرِين كصمَلق
 ومن أردءِ الأوقاتِ وقتُ التازُق
 بها الذئب يعوي كالأسير المحنَّق
 بما صانني ربي بعين التومُق
 عليّ فيدفعه الحفيظ ويعفُق
 فما الخوف إن تُعرض وإن تتعزَّق
 فهُدُّوا ورضُّوا من أكفِّ وأسوق
 بها يُعرف الكذاب عند المحفَّق
 وفي بيتك المنحوس تهذي وترتقي
 فوالله زدنا بعده في التفنَّق
 فلم تحفلوا كبيراً وقد كنتُ أشفق
 فزدتم عنادا واعتديتم كأفسق
 صبوراً على سبِّ وشتيمٍ مُحرق
 أيُرهُقُ قترٌ وجهَ مَنْ كان أصدق
 ولا تشتروا بالحق عيشاً مُرمِّق

* سهو، والصحيح: "رب الورى". (الناشر)

خاتمة الكتاب

إنّ كتابي هذا آخر الوصايا للعلماء، الذين تصدّوا للتكذيب والاستهزاء. يا حسرة عليهم وعلى ما أروا من حالة! إنهم فتحوا على الناس أبواب ضلالة، في زمن تطايرت فيه الفتن كشعلة جوّالة، والناس كانوا تائهين في موماة بطالة، فألقاهم العلماء في وهدٍ مُغتالة، وجمعوا لهم قذائف جهالة، ثم أوقدوا قذائفهم بقبسٍ وذباله، وصاروا لهم كضغثٍ على إباله، واختاروا مدرج اليهود، وسلكوا مسلك الغيِّ والعنود، وما كانوا مُنتهين.

فغلظت عليهم بعد ما أكدى الاستعطاف، ولم ينفع التملق والائتلاف، ولم أر فيهم أهل قلبٍ صافٍ، ولا فتىً مُصافٍ. وإنهم رغبوا من العلم في المشوف المعلم، ومن الدرّ في الدرهم، وتركوا طوائف أسرارٍ فاقت في السّناعة، كرجلٍ يتخطى رقاب نخب الجماعة، أو كائرةٍ تتحرى طرق السّناعة، وكانوا يعرفون شأني ومقامي، وراوا آياتي وسمعوا كلامي. وإني أكثرت لهم وصيّي حتى قيل أني مكثارٌ، وما عُفْتُ أن يسبني أشرارٌ، فما نفعهم كلامي ومقالي، وما انتفعوا بتفصيلي وإجمالي، وكان هذا أعظم المصائب على الإسلام، لو لا رحمة الله ذي الجلال والإكرام. فالحمد لله على ما رحم وأرسل عبده بالآيات، وأنزل من البيّنات المفحّمات، وقطع دابر المفسدين.

إنه أحسن إلى الخلق وأتمّ حُجّتي، وأظهر لهم آيتي، وأعلا لهم رايتي، وأماط جلباب الشبهات، وما بقي إلا جهام التعصّبات. وأبدي في تأييدي أنواع العُجاب، ونجّي أولى الألباب من حُجب الارتياب. وحن أن أطوي البيان وأقص جناح القصّة، وأعرض عن قوم لا يبالون الحق بعد إتمام الحجّة، فاعلموا أني الآن أصرف وجهي عن كلّ من أهان، من الظالمين المتجاهلين، وأبعدُ

نفسى من المنكرين الخائنين، وأعاهد الله أن لا أحاطبهم من بعد وأحسبهم
كالميتين المدفونين، ولا أكلّم المكفرين المكذّبين، ولا أسبّ السابّين المعتدين، ولا
أضيّع وقتي لقوم مسرفين، إلا الذين تابوا وأصلحوا وجاءوني مسترشدين، دقّوا
باب طلب الهداية، واستفسروا لثلج القلب لا كأهل الغواية، وآمنوا مع المؤمنين.
وهذا آخر ما كتبنا في هذا الباب، وندعو الله أن يفتح لعباده سبل الصدق
والصواب، والحمد لله في المبدأ والمآب. وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإياه
نستعين. رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ،
آمين.

تمّت

الراقم ميرزا غلام أحمد القادياني ٢٦ مئي سنة ١٨٩٧ م

**ترغيب المؤمنين
في
إعلاء كلمة الدين**

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

هَذِهِ رِسَالَةٌ كَرِيمَةٌ الْجَاءَتْ نِيَّ إِلَيْهَا مَصْلِحَةٌ عَظِيمَةٌ وَسَمِيحَةٌ

تَرْغِيبُ الْمُؤْمِنِينَ
فِي
أَعْلَى حِكْمَةِ الدِّينِ

طُبِعَتْ فِي مَطْبَعِ ضِيَاءِ الْإِسْلَامِ قَادِيَانِ

فِي سَنَةِ ١٣١٦ هـ مِنَ الْبَحْرِ الْمُقَدَّسَةِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للرحمن الذي ابتداءً بالأفضال، وأسبغ من العطاء من غير عملٍ سبق من العَمَل، الكريم الذي نضح عنا المكاره وأتم علينا أنواع النوال، وأعطانا كل شيء قبل السؤال وإظهار الآمال. بعث لنا رسولا كريما بارعا في الخصال، سباق غايات في كل نوع الكمال، خاتم الرسل والنبیین، النبي الأمي الذي هو محمد بما محمد على ألسن المستفيضين، وبما بذل الجهد للأمة وشاد الدين، وبما جاء لنا بكتاب مبين، وبما أودى لنا عند تبليغ رسالات رب العالمين، وبما أكمل كل ما لم يكمل في الكتب الأولى، وأعطى شريعة منزّهة عن الإفراط والتفريط ونقائص أخرى، وأكمل الأخلاق وأتم ما حرى، وأحسن إلى طوائف الورى، وعلم الرشد بغرر البيان ووحى أجلى، وعصم من الضلالة وتحامى، وأنطق العجماوات ونفخ فيهم روح الهدى، وجعلهم ورثاء كافة المرسلين. وطهرهم وزكاهم حتى فنوا في مرضاة الحضرة، وأهراقوا دماءهم لله ذي العزة، وأسلموا وجوههم منقادين. وكذلك علم معارف مبتكرة، ولطائف مكنونة ونكات نادرة، حتى بلغنا الفضل باغتراف فضالته، وعرفنا أدلة الحق باختراف دلالته، وصعدنا إلى السماء بعد ما كنّا خاسفين. اللهم فصلّ عليه وسلّم إلى يوم الدين، وعلى آله

الطاهرين الطيبين، وأصحابه الناصرين المنصورين، نُحِبُّ الله الذين آثروا الله على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم والبنين. السلام عليكم يا معشر الإخوان، لقيتم خيرا ووُقيتم شرور الزمان، ورُزقتم مرضاة رب العالمين.

أما بعد.. فاعلموا أيّها الإخوان، والأحباب والأقران، أن الزمان قد أظهر العجب، وأرانا الشجى والشجب، وسخر بوم ليلة الليلاء من الدرّة البيضاء، وشارف أن تُشَنَّ الغارات على دين الرحمن، الذي ضَمَّخ بالطيب العميم من العرفان، وأودع لفائف نعيم الجنان، وسيقت إليه أنهارٌ من ماء معين.

وتفصيل ذلك أن بعض السفهاء من المنتصرين، والمرتدين الضالين، سبوا نبينا محمّرين غير مبالين، وطعنوا في ديننا مستهزئين. مع أنهم اتخذوا إلهاً من دون الرحمن، وتركوا الله عاكفين على الإنسان، وجاءوا بإفكٍ مبین. فلا يَسْتَحْيُونَ بل يؤذون أهل الحق جالعين، ويُفسدون في الأرض مجترئين، ويصولون على المسلمين مغضبين. وكنا مأمورين لإزالة تماثيلهم، وإزاحة أباويلهم، وإجاحة تساويلهم، واقتلاع أقاويلهم، والآن ظهر الأمر معكوسا، وعاب الليل شُموسا، وصال المنتصرون على المسلمين.

ومن فتنهم الجديدة أن رجلا منهم ألف كتابا وسماه "أمّهات المؤمنين"، وسلك فيه كل طريق السبِّ والافتراء كالمفسدين الفتانين.

إنه امرؤ استعمل السفاهة في خطابه، وأبدى عذرةً كانت في وطابه، وأظهر كأنه أتمّ الحجة في كتابه، وختم المباحث بفصل خطابه. وليس في كتابه من غير السبّ والشتم، وكلمات لا يليق* لأهل الحياء والحزم، بيد أنه أبدع بإرسال كتبه من غير طلب إلى المسلمين الغيورين، من أعزة القوم ونُخب المؤمنين. وتلك هي النار التي التهمت في ضرم المتألمين، وأحرقت قلوب المؤمنين المسلمين. فلما رأينا هذا الكتاب، وعثرنا على غلوائه وما سبّ وذاب، قرأنا كلمه المؤذية، وأنسنا قذفاته المغضبة، وشاهدنا ضميمه الصريح، وقوله القبيح، واجتلينا ما استعمل من جورٍ واعتساف، وقذفٍ وشتمٍ كأجلاف، علمنا أنه نطق به معتمداً لإغضاب المسلمين، وما تفتوة على وجه الجدّ كالمسترشدين المحققين، بل تكلم في شأن سيد الأنام بأقبح الكلام، كما هو عادة الأجلاف واللثام، ليؤذي قلوب المسلمين وطوائف أهل الإسلام، ويغلي قلوب أمة خير المرسلين. فظهر كما أراد هذا الفتان، وتألّم بكلمه كلٌّ من في قلبه الإيمان، وأصاب المسلمين بقذفه جراحة مؤلمة، وقرحة غير ملتئمة، وظنّوا أنهم من المجرمين إن لم ينتقموا كالمؤمنين المخلصين، وذكروا بها أيام الأولين، ولولا منعه أدم السلطنة المحسنة، وتذكر عناية الدولة البريطانية، لعملوا عملاً كالمجانين.

* يبدو أنه سهو من الناسخ والصحيح "تليق". (الناشر)

ولا شك أن هذا السفية اعتدى في كلماته، وأغرى العامة بجهلاته، وجاوز الحدّ كالغالين، فلأجل ذلك قد هاجت الضوضاء، وارتفعت الأصوات، وتضاغى الناس برثة النياحة، واشتعل الطباع من هذه الوقاحة، وملى الجرائد بتلك الأذكار، وقام كل أحدٍ ككُماة المضمار، بما آذى كالمعتدين.

والحاصل أنه افتري وتجرم، وأراد أن يستأصل الحق ويتصرّم، وأسبل غطاءً غليظاً لإغلاط الناس، وأراد أن يُطفئ أنوار النبراس، فهض المسلمون مستشيطين مشتعلين، وصاروا طرائق قِدَدًا زاعقين مغتاضين. فذهب بعضهم إلى أن يُبلِّغ الأمر إلى الحكّام، ويترافع لغرض الانتقام، والآخرون مالوا إلى الردّ على تلك الأوهام، وحسبوه من واجبات الإسلام. فالذين اختاروا الترافع عرضوا شكواهم على حضرة نائب الدولة، وأرسلوا ما كتبوا لهذه الخطّة. والفريق الثاني توجّهوا إلى ردّ الكتاب. والآخرون وجموا من الاكتياب، وكذلك اختلفوا في الأعمال والآراء، واستخلص كل أحدٍ ما هُدي إليه من الدهاء.

فالذي أُشربَ حسّي، وتلقّفه حدسي، أن الأصوب طريقُ الردّ والذبّ، لا الاستغاثة ولا السبّ بالسبّ، وإني أعلم بلبال المسلمين، وما عرى قلوب المؤمنين من ألسن المؤذنين، ولكني أرى الخير في أن نجتنب المحاكمات، ولا نوقع أنفسنا في المخاصمات، ونتحامى أموالنا من غرامات التنازعات، وأعراضنا من القيام أمام القضاة، ونصبر على

ضجر أصابنا، وغم أذابنا، لِيَعَدَّ مِنَّا مَبْرَةً عند أحكم الحاكمين. وما نسينا ما رأينا من جور وعسف، وأيُّ حُرِّ رَضِي بِحَسْفٍ، وقد أودينا في ديننا القويم، ورسولنا الكريم، وأنسنا ما هيج الأسف وأجرى العبرات، وشاهدنا ما أضجر القلب وزجى الزفريات. بيد أن الدولة البريطانية لهؤلاء كالأواصر المؤتملة، ولقسيسين حقوق على هذه الدولة، ونعلم أن نَبَدَ حُرْمِهِمْ أمرٌ لا ترضاه هذه السلطنة، وينصبها هذا القصد وتشق عليها هذه المعدلة، ولها علينا مننٌ يجب أن لا نلغيها، فلنصبر على ما أصابنا لعلنا نرضيها. وما نفعنا بتعذيب المنتصرين. وقد رأينا أمناً من حكامها العادلين؟ ووجدنا بهم كثيراً من غضٍّ وسرور وخفضٍ وجبور، وما مسنا منهم شظفٌ في الدين، ولا جنفٌ كالظالمين من السلاطين، بل أعطونا حريَّةً فعلاً وقولاً، وأرضونا حفاوةً وطولاً، وما رأينا سوءاً من هذه الدولة، ولا قشفاً كأَيَّام "الخالصة"*، بل رُبِّينا تحت ظلها مُدِّ مِيطت عَنَّا التمام، ونِيطت بنا العمائم، وعِشْنَا بكنفها آمنين. وجعلها الله لنا كعينٍ نستسقيها، وكعينٍ نجتلي بها، فنحاذر أن يفرط إلى هذه الدولة بعض الشبهات، وتحسبنا من قوم يُضمرون الفساد في النيات. فلذلك ما رضينا بأن نترافع لتعذيب هذا القذاف الشرير، وأعرضنا عن مثل هذه التدابير، وحسبنا أنه عمل لا ترضاه الدولة، ولا تستجاده تلك السلطنة، فكففنا كالمعرضين.

* أَيَّ أَيَّام الإرهاب والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون خلال حكم السيخ - الذين يطلقون على أنفسهم "الخالصة" أيضاً - قبل دخول الإنجليز إلى البنجاب. (الناشر)

وسمعتُ أن بعض المستعجلين من المسلمين، أرسلوا رسائل إلى الدولة مستغيثين، وتمنّوا أن يؤخذ المؤلّف كالمجرمين، وإن هي إلا أماني كأماني المجانين، وأمّا نحن فما نرى في هذا التدبير عاقبةً الخير، ولا تفصيًّا من الضير، بل هو فعل لا نتيجة له من غير شماتة الأعداء، ولا يُستكفى به الافتتان بمكائد أهل الافتراء. ولو سلكنا سبيل الاستغاثة، ورتافع لأخذ مؤلّف هذه الرسالة، لنُعزّي إلى فضوح الحصر، ونُرهِق بمعبّية عند أهل العصر، ويقال فينا أقوال بغوائل الزخرفة، ويُقطع عِرْضنا بحصائد الألسنة، ويقول السفهاء إنهم عجزوا من الإتيان بالجواب، فلا جرم توجّهوا إلى الحكّام من التضرّم والاضطراب، فبعد ذلك لا تبقى لنا معذرة، وترجع إلينا مندمة وتبعة. فليس بصواب أن نطلب هذه المنية، ونرُود هذه البُغية، وليس بحريّ أن نسعى كالنادبات إلى السلطنة، ونُضحّي أنفسنا من مأمّن الحجج البيّنة، ونضيع أوقاتنا في البكاء والصراخ كالنسوة، ولا نفكّر لهدم بناء هذه الفرقة، ولا نتوجّه إلى خزعبيلاتهم، ولا نُزيح وساوس جهلاتهم، ونتركهم في كبرهم وزهوهم، ولا نُنبّههم على غلطهم وسهوهم، ولا نأخذهم على بهتانهم وافتراءهم، ولا نُري الخلق خيانتهم وقلة حياثهم، ونفرح بما ينالهم من الحاكمين. بل ينبغي أن نُجّيح أوهامهم، ونُكسّر أعلامهم، ونجعل كَلِمهم مُضغّةً للماضين. وإن لم نفعل هذا فما فعلنا شيئًا في خدمة الدين، وما عرفنا صنيعه الله خير المحسنين، وما شكرنا بل أنفدنا

الوقت غافلين. فإن الله وهب لنا حرّية تامة لهذه الأمور، لنُحقّق الحقّ ونبطل ما صنّع أهل الزور، فلو لم نمتّع بهذه الحرّية، فما شكرنا نعم الله ذي الجود والموهبة، وما كنّا من الشاكرين. ألم تروا كيف نعيش أحراراً تحت ظلّ هذه السلطنة، وكيف حُيّرنا في ديننا وأوتينا حرّية في مباحث المِلّة الإسلامية، وأخرجنا من حبسٍ كنّا فيها في عهد دولة "الخالصة"، وفوّضنا إلى قوم راحمين؟ وإنّ حُكّامنا لا يمنعوننا من المناظرات والمباحثات، ولا يكفّأوننا إن كان البحث في حلّ الرفق وبصحة النيات، ولا يحيفون متعصّبين. فلأجل ذلك نستسني دولتهم ونستغزر ديمة نصرتهم، فإنّا لا نرى تلّهّب جذوتهم عند ردّ مذهبهم وإزراء ملّتهم، وهذا هو الذي جذب القلوب إلى محبّتهم، وأمال الطبايع إلى طاعتهم، وأحبّهم إلينا كالسلاطين المسلمين. وإنهم قوم قد أسرونا بمنّتهم لا بسلاسل حكومتهم، وقيدونا بأيادي نعمتهم لا بأيدي سطوتهم. فوالله قد وجب شكرهم وشكر مبرّتهم، والذين يمنعون من شكر الدولة البريطانية، ويندّدون بأنّه من مناهي المِلّة، فقد جاءوا بظلم وزور، وتورّدوا مورداً ليس بمأثور. أيحسبونهم ظالمين؟ حاشا لله وكلاً، بل جلّ معروفهم وجلّى. انظروا إلى بلادنا وأهلها المخصبين، من القانطين والمتغربين. انظروا، ما أيمّن هذا السواد، وما أهجج هذه البلاد! عمّرت مساجدنا بعد تحريبها، وأُحييت سنننا بعد تنبيها، وأنيرت ماذننا بعد إظلامها، ورفعت مناورها بعد إعدامها، ورأينا النهار بعد الليلة الليلاء،

ووصلنا الأنهار بعد فقدان الماء، وفتُح الجوامع والمساجد لذكر الله الوحيد، وعلا صيت التوحيد، وترجَّينا بعد تمادي الأيام أن يُزيح سموم الكفر ترياقاً وعظ الإسلام، وحفظنا من شر كل مفاجئ، وعُدنا من تبيُّه الغربة إلى معارج، واقترب ماء النضارة من سرحتنا، وكاد يحلّ بمنبتنا وأصبحنا آمنين. حتى ألفينا كلَّ مَنْ ألقى عنقه من العناد، كالأصاقد وأهل الوداد، وتبدَّى الأسود كأعوان النَّادِ، وقُلِّب عُجرنا وبُجرنا ونُقل إلى الصلاح والسداد، ونُصِّرنا بدولة جاءت كعهادٍ عند سنة جماد، فرأت هذه الدولة دخيلةً أمرنا، واطَّلعت على ذوبنا وضُمرنا، فأوتنا ورحمتنا، وواستنا وتفقدتنا، حتى عاد أمرنا إلى نعيم بعد عذاب أليم، فالآن نرقد الليل ملءً أجفاننا، ولا نحسّ ولا وخز لأبداننا. تُغرِّد في بساتيننا بلابلُ التهاني والنعماء مايسةً على دوحة الصفاء، بعد ما كُتِّب نُصدم من أنواع البلاء. فأنصفوا.. أليس بواجب أن نشكر دولةً جعلها الله سبباً لهذه الإنعامات، وأُخرجنا بيديها من سجن البليات؟ أليس بحق أن نرفع لها أكفّ الضراعة والابتهال، ونُحسن إليها بالدعاء كما أحسنتُ إلينا بالنوال؟ فإن لنا بها قلوباً طافحة سرورا، ووجوهاً متهللة ومستبشرة حبورا، وأياماً مُلئتُ أماناً وحريةً، وليالي ضُمَّخت راحةً وهُنيئةً، وترى منازلَ مزدانةً بأهج الزينة، ولا خوفَ ولا فرع ولو مررنا على أسود العرينة. ضُربت خزي الفشل على الظالمين، وضافت الأرض على المرجفين المبطلين، ونعيش مستريحين آمنين. فأبي ظلم كان

أكبر من هذا الظلم أن لا نشكر هذه الدولة المحسنة، ونُضمِر الحقد والشرّ والبطاوة؟ أهذا صلاح؟ بل فسقٌ إن كنتم عالمين. فويلٌ للذين يبعون الفساد، ويُضمرون العناد، والله لا يحب المفسدين. إنهم قوم ذهلوا آداب الشكر عند رؤية النعمة، وأنساهم الشيطان كلّ ما نُدب عليه من أمور الشريعة، وجاءوا شيئاً إِدًّا، وجازوا عن القصد جدًّا، وما بقي فيهم إلا حمية الجاهلية، وفورة النفس الأبيّة، ولا يمشون كالذي خشى ودأف، ولا يخلعون الصلف، ولا يذكرون ما سلف في زمن "خالصة" مغشوشين. ألم يعلموا أن الشكر لأهله من وصايا القرآن، وإكرام المحسن مما نطق به كتاب الرحمن؟ وإن الدولة البريطانية قد جعلها الله موابذة حلّنا وعقدنا، وحُفظاء يقظتنا ورقدنا، وإنّا وصلنا بهم إلى المرادات المستعدّبة، ونجونا من الآفات المخوّفة، فكيف لا نشكر لهم ونعلم أنهم أحسنوا إلينا؟ وكيف نفارقهم وندرى أنهم حرساء الله علينا؟ والله يحبّ المحسنين. وكنا قبل ذلك عُصَب منّا قرانا وعقارنا، وحُرّب دارُ قرانا ومقارننا، ودسنا تحت انتياب الثوب وتوالي الكُرب، وصفرت راحتنا وفرغت ساحتنا، حتى أخرجنا من أملاكٍ وأرضين، وقصورٍ وبيساتين وأوطانٍ، مُكْتَمِبِينَ مَعْتَمِينَ. وطردنا كالعجماءات، ووطيننا كالجُمادات، وسلكنا مسلك العباد والغلمان، وحُفِنَا بالأرذلين منزلةً من نوع الإنسان. وربما أئمنّا بأخفّ جرحٍ أصاب منّا حيوانًا، أو

بما قطعنا أغصاننا، فقتلنا أو صُلبنا أو أُجلتُنَا* تاركين أوطاناً ومتغربين. ثم رحمنا الله وأتى بالدولة البريطانية من ديار بعيدة وبلاد نائية، وكان الأمر لله يختار لعباده من يشاء، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وهو أرحم الراحمين. إنه دَفَع الحكومة إلى أهلها بعد خبال "الخالصة"، ثم بدَّل تعبنا ونصبنا بالنعمة والراحة، وأورثنا أرضنا مرّة أخرى، بعد ما أُخرجنا كأوابد الفلا، ورجعنا إلى أوطاننا سالمين متسلمين. وُرِدَ إلينا قُرانا وعقارنا، وفضّتنا ونضارنا، إلا ما شاء الله، وسكنا في بيوتنا آمنين.

وإنا ما تعلّقنا بأهداب هذه السلطنة إلا بعد ما شاهدنا خصائص هذه الحكومة، وأمعنا النظر في نعمها متوسّمين، وسرّحنا الطرف في ميسمها متفرّسين، فإذا هي دواءُ كربونا، ومُدَاوِيَةٌ نُوبِنَا وخطوبنا، وبها سيق إلينا الأموال، بعد ما استحالت الحال، وغار المنبع وأعوّل العيال، وُجِّبْنَا بها من الدهر الموقع، والفقير المدقع، وكُنَّا من قبلُ شَجَجْنَا فلا الكرب من الشجى، وطوينا أوراق الراحة من أيدي الطّوى، وما كانت تعرف أقدامنا إلا الوجى، وما صدورنا إلا الجوى، ومرّ علينا ليالي ما كان فراشنا فيها إلا الوهاد، ولا موطننا إلا القتاد، فكُنَّا نَجْلُو الهموم بأذكار هذه الدولة، ونجتلي زمننا طَلَقَ الوجه بإبشار تلك المعدلة، حتى أسعف الله بمرادنا، وجاء بهذه الدولة لإسعادنا، فوصلنا

* يبدو أنه سهو الناسخ والصحيح "أجلينا" كما تدل عليه الترجمة الفارسية. (الناشر)

بها بشارة تنشئ لنا كل يوم نزهةً، وتدرأ عن قلوبنا كربةً، إلى أن حُلِّصْنَا من الخوف والإملاق، ونُقلنا من عدم العراق إلى الإرفاق، وجاءنا التَّعم من الآفاق، ونُظم الأجانِب في سلك الرفاق، وفُزنا بمرامنا بعد خفوق راية الإخفاق. وقد كنا في عهد "الخالصة" أُخرجنا من ديارنا ولُفِظنا إلى مفاوز الغربية، وبُلينا بإعواز المنيّة. فلَمّا منّ الله علينا بمجيء الدولة البريطانية، فكأنّا وجدنا ما فقدنا من الخزائن الإيمانية، فصار نزولها لنا نُزُل العزّ والبركة، ومغناه سبب الفوز والغنية، ورأينا بها حبوراً وفرحة، بعد ما لبثنا على المصائب برهة، وزُفِعنا من ذلّ أخرياتِ الناس، إلى مراتب رجالٍ هُم للقوم كالرأس، ونُجِّينا من قطوب الخطوب، وحروب الكروب. وكنا نمدّ الأبصار إلى ذلك الوقت السعيد، كما تُمدُّ الأعين لهلال العيد، وكنا نسط يد الدعاء لهذه الدولة، بما أصابتنا مصائب في زمن "الخالصة"، ونبا بنا مألِفُ الوطن وأُخْرِجنا من البقعة. وكانت آباؤنا اقتعدوا غارب الاغتراب، بما أُكْرِهوا وبُعِدوا من الأتراب، فتركوا دار رياستهم وجميع ما كان لهم من القرى، ونصُّوا ركاب السُرى، وجابوا في سيرهم وُغورا، وتركوا راحة وحبورا، وأنصُّوا أجادهم تَسياراً، وما رأوا ليلاً ولا نهاراً، حتى وردوا حمى رياسةٍ، كقَلتْهم بحراسة، فسروا إيجاسَ الخوف واستشعاره إلى أيام، ورأوا لُعاعَ الأمن وأزهاره بعد آلام. ثم طلعت علينا شمس الدولة البريطانية، وأمطرت مُزُنُ العنايةات الرحمانية، فتسرُّبنا لباس الأمن بعد أيام الخوف، وصرنا مخصبين نِعم

العوف، فعُدنا وآباؤنا إلى منبت شُعبتنا، وملنا إلى الأوكار من فلا غربتنا، وهنأنا أنفسنا فرحين.

ولو أنصفنا لشهدنا أن هذه السلطنة ردت إلينا أيام الإسلام، وفتحت علينا أبوابا لنصرة دين خير الأنام، وكنا في زمن دولة "الخالصة" أوذينا بالسيوف والأسنة، وما كان لنا أن نقيم الصلاة على طريق السنة، ونؤدّن بالجهر كما نُذب عليه في الملة. ولم يكن بدّ من الصمت على إيدائهم، ولم يكن سبيل لدفع جفائهم. فُرِدّنا إلى الأمن والأمان عند مجيء هذه السلطنة، وما بقي إلا تطاول قسيسين بالألسنة. وجعلَ الحرية كلَّ حربٍ سجالاً، ولكنّا تركنا القذف بالقذف لئلاّ نشابه دجالاً، ولا نكون من المتعسّفين. وما منعت السلطنة أن نفتح الألسن بالجواب، بل لنا أن نقول أكبر مما قالوا ونصبّ عليهم مطرا من العذاب، ولكن المرء لا يصدر منه فعل الكلاب، ولا يستقري الحمام الجيفة لو لفظه الجوع إلى معامي التباب.

أيعيون نبينا على الشغف بالنساء، وكان يسوعهم قد عيبَ على شرّه الأكل وشُرْب الصهباء؟ وقد ثبت من الإنجيل أنه آوى عنده بعيةً، وكانت زانيةً وفاسقةً وشقيةً، وكانت امرأةً شابةً في ثياب نظيفة مع صورة لطيفة، فما انصرف عنها وما قام، وما أعرض عنها وما ألام، بل استأنس بها وأنس بطيب الكلام، حتى جلعتُ ومسحت

على رأسه من عطرها التي ﴿ كان قد كُسِب من الحرام. وكذلك أقبل على بغيّةٍ أخرى وكَلّمها، وسألت وعَلّمها. وهذه حركات لا يستحسنها تقيٌّ، فما الجواب إن اعترض شقيٌّ.

ولا شكّ أن النكاح على وجه الحلال خير من تلك الأفعال، ومن كان كيسوع شابّاً طريراً أعزب مفتقراً إلى الازدواج، فأئىّ شبهة لا تَفجأ القلب عند رؤية هذا الامتزاج^٥. فمن كان شمر عن ذراعيه لاعتراض، وليس الصفاقة لارتكاض، فليحسّر عن ساعده لهذه الزرابة، فإنها أحقُّ وأوجبُّ عند أهل التقوى والدراية.

وأما نحن فصبرنا على أقوالهم، وثبتنا قلوبنا تحت أثقالهم، لتعلم الدولة أنّا لسنا بمستشيطين مشتعلين، ولا نبغي الفساد بالمفسدين. ولا ننسى إحسان هذه الحكومة، فإنها عصم أموالنا وأعراضنا ودماءنا من أيدي الفئة الظالمة، فالآن نعيش بخفضٍ وراحة، ولا نردُّ موردَ غرامةٍ من غير جريمة، ولا نحلّ دار ذلّةٍ من غير معصية، بل نأمن من كل تهمة وآفة، ونكفّى غوائل فجرةٍ وكفرةٍ، فكيف نكفر نعم المنعمين؟ وكنا نمشي كأقرّل قبل هذه الأيام، وما كان لنا أن نتكلم بشيء في دعوة دين خير الأنام، وكان زمان "الخالصة" زمان الذل والمصيبة صُعّر فيه الشرفاء، وأسادت الإماء، وصُبت علينا مصائب ينشقّ القلم بذكرها،

﴿ يبدو أنه سهو والصحيح "الذي". (الناشر)

٥ هذا ما كتبنا من الأناجيل على سبيل الإلزام، وإنّا نكرم المسيح ونعلم أنه كان تقيّاً ومن الأنبياء الكرام. منه

وخرجنا من أوطاننا باكين. فقلِّب أمرنا بهذه الدولة من بؤسٍ إلى رخاء، ومن زَعزَعٍ إلى رُخاء، وفتِّح لنا بعناياتها الفرج، وأوتينا الحرية بعد الأسر والعرج، وصرنا متنعمين مرموق الرخاء، بعد ما كنا في أنواع البلاء. ورأينا لنا هذه الدولة كريفاً بعد الإحمال، أو كصححة بعد الاعتلال، فلأجل تلك المن والالاء والإحسانات، وجب شكرها بصدق الطوية وإخلاص النيات. فندعو لها بألسنة صادقة، وقلوب صافية، وندعو الله أن يجعل لهذه الملكة القيصرة عاقبة الخير، ويحفظها من أنواع العُمة والضير، ويصدق عنها المكارة والآفات، ويجعل لها حظاً من التعرّف إليه بالفضل والعنايات، إنه يفعل ما يشاء، وإنه أرحم الراحمين.

فلما رأينا هذه المن من هذه الدولة، وألفينا إرادتها مبنيةً على حُسن النية، فهمنا أنه لا ينبغي أن نُؤذيها في قومها بعد هذه الصنعة، ولا يجوز أن نطلب منها ما ينصبها لبعض مصالح السلطنة، بل الواجب أن نجادل القسيسين بالحكمة والموعظة الحسنة، وندفع بالتي هي أحسن ونترك الترافع إلى الحكومة.

هذا، ونعلم أن قَدَفَ قسيسين قد بلغ مداه، وجرحتُ قلوبنا مداه، وإنهم وثبوا على عاقمتنا وثبة الذئب على الخروف، ونزوا نَزْو النمر المِجُوف، فسُقي كثيرٌ من أيديهم كأس الختوف، وبلغوا بدجلهم ما ليس يُبلِّغ بالسيوف، وتراءوا من كل حدبٍ ناسلين. وقد أتتكم من

أخبار فلا حاجة إلى إظهار، ولا تغتموا ولا تحزنوا وارباوا أيام الله صابرين.

والأمر الذي حدث الآن وأضجر القلوب، وجدد الكرب، وعظم الخطوب، وانتشر وأوقد الحروب، وكبر وأعضل ودق وأشكل، وخوف بتهويله وهول، فهو رسالة "أمهات المؤمنين"، وقد قامت القيامة منها في المسلمين. وكل من رأى هذه الرسالة، فلعن مؤلفه بما جمع السب والضلالة، وهو زائل الوطن والمقام، لكي يأمن الحكام، فاختار المفتر، لئلا يسحب ويجر، وبقي منه عذرة كلماته، ونتاج ملفوظاته، وأغلوطه اعتراضاته، فترك قذفه وبداءه ونجاسة كلماته، ونفوضه إلى الله ويوم مكافاته.

وأما ما افتري من شبهاته، التي تولدت من حمقه وزيف خيالاته، فذلك أمرٌ وجب إزالته بجميع جهاته. وإن الحق شيء لا يمكن أحدا التقدم عنه ولا التأخر. ثم غيرة الإسلام فرض مؤكّد لمن كان له الحياء والتدبر، فإن المؤلف اجتراً وهتك حرم الدين، وصال وبارز، فبارزوا كأسد من العرين. وقد حان أن يكون رجالكم كقسنورة، ونساؤكم كلبوة، وأبناؤكم كأشبال، وأعداؤكم كسبخال، فاتقوا الله وعليه توكلوا إن كنتم مؤمنين.

وقد سبق منّا الذكر بأن القوم تفرّقوا في أمر كتابه، فبعضهم استحسّوا التوجّه إلى جوابه، واستهجنوا أن يُرفع الشكوى إلى

السلطنة، فإنها من أمارات العجز والمسكنة، وفيه شيء يخالف التأدب بالدولة العالية، وقالوا إن الترفع ليس من المصلحة، فلا تسعوا إلى حكام الدولة، ولا تقصدوا سيئةً بأنواع الحيلة، بل اصبروا وغيضوا دموعكم المنهلات، ولا تذكروا ما قيل من الجهلات، وادفعوا بالتي هي أحسن وأنسب بشأن الشرفاء، ولا تسعوا إلى المحاكمات بالصراخ والبكاء، وإن لنا كل يوم غلبةً بالأدلة القاطعة، وسطوةً دامغةً بالبراهين اليقينية، فلا يُحتقر ديننا عند العقلاء، ولا يُحقر بتحقير السفهاء، فالرجوع إلى الحكومة كالنائحات، أمرٌ لا يُعده غيورٌ من المستحسنات. وليس هذا العدو بواحد فستريح بعد نكاله، بل نرى كثيرا من أمثاله، لهم أقوال كأقواله، ومكالم كمثل مكالمه، ولم يبق بلدة ولا مدينة من مدائن هذه البلاد، إلا نزلوا بها، وتخيّموا للفساد في الأرضين. وكانوا في أول زمنهم يتزهدون، ويوحّدون، ويروضون أنفسهم ويروضون، ويكفون الألسن ولا يهدون. ثم خلفوا من بعدهم خلفٌ عدلوا عن تلك الخصلة، ورفضوا وصايا الملة، وهجّوا الأتقياء والأصفياء، وتركوا الصلاة وأكلوا الخنزير، وشربوا الخمر وعبدوا إنسانا كمثلهم الفقير، وسبق بعضهم على البعض في سبّ خير العباد، وقذفوا عرض خير البرية بالعناد. ألفوا كتبًا مشتملة على السبّ والشتم والمكاوحة والقحة، ممزوجةً بأنواع العذرة، مع دجل كثير لإغلاط العامة، وبلغ عدد بذائهم إلى حدّ لا يعلمه إلا حضرة العزة. فانظروا

كيف يعضل الأمر عند الاستغاثات، ويلزم أن نعدو كل يوم إلى المحاكمات، وإن هي إلا من المحالات.

هذه دلائل هذه الفرقة، والآخرون يؤثرون طرق الاستغاثة، ولكننا لا نرى عندهم شيئاً من الأدلة على تلك المصلحة، وإن هو إلا حرصٌ للانتقام كعرض الناس والعامّة. وإذا قيل لهم إنكم تحطّون بإيثار هذه التدابير، فلا يجيبون بجواب حسن كالنحارير، ويتكلّمون كالسفهاء المتعصّبين. وقلنا أيها الناس، ارجعوا النظر.*

* كما أشرنا في مقدمة الناشر أن حضرته قد ذكر في هذا الكتاب - ولا سيما في القسم الأردّي منه - أسساً وقواعد للرد على مسألة كهذه منها: عدم اتباع منهج التوجه للحكام لردع هؤلاء المهاجمين أو اعتقالهم، لأن في هذا إقامة للحجة على المسلمين فكأنهم لا يملكون جواباً على هذه التهم.

ومنها: الحثُّ على التعقل والرد على هذه الهجمات وتبيان بطلانها بدلا من معاقبة الشخص المهاجم بحد ذاته، لأنه ليس الأول ولن يكون الأخير.

ومنها: ضرورة الحفاظ على الأمن والنظام وعدم إثارة الاضطراب والفوضى. وقد ذكر بأن الحكام إذا أعطوا الناس حريتهم وعدلوا ومنعوا عدوان فريق على آخر، فهم بذلك يكونون قد أحسنوا إلى الجميع وإلى المسلمين خصوصا، ويصبح واجبا على المسلمين تأدية الشكر لهم، وغير ذلك من القواعد والأسس. (الناشر)

ଶୁଭକ୍ଷଣ

ଫୁଲମାଳା

As the Muslims of India entertain different beliefs with regard to "The coming Mehdi" and especially the nature of his appearance among the Muslims: according to some Muslims he will be a reformer and engenderer of new life, like a true lover of peace and tranquillity and a person poor in heart;— the Muslims of this party considering his appearance as nearly spiritual: while other Muslims, such as Maulvi Muhammad Husain of Batala, editor of *Isha-at-Usunnah* and leader and advocate of *Ahl-i-Hadis* or *Wahabis* of his class, believe that the "coming Mehdi" will be Ghazi, general slaughterer and upsetter of the empires of the nations other than Muslims, especially the bitter opponent of the British Empire, and speak of the terrible consequences resulting from the bloody deeds of this Mehdi; I have written this pamphlet to show which of these two Muslim parties is right in its beliefs with regard to "The coming Mehdi."

It will be better that our benign Government will get this pamphlet translated into English, & hence make itself acquainted with these differences concerning "The coming Mehdi."

Haqiqat-ul-Mehdi

حقیقت المہدی

The true nature of Al-mehdi

بیاضہ فریدی مطبع ضیاء اسلام قادیان میں اہتمام حکیم فضل الدین صاحب مجیدی مطبع ہرماستادہ الاولیاء ۱۲۸۰

صورة غلاف الطبعة الأولى لهذا الكتاب

عقائد عن المهدي

من الضروري أن أكشف على الحكومة الإنجليزية السامية أفكار الفرقة الوهابية- التي تسمي نفسها أهل الحديث- عن الإمام المهدي، والتي يزعم المولوي أبو سعيد محمد حسين البطالوي أنه زعيم لها، إلى جانب عقيدتي وأبناء جماعتي في ذلك. لأن أصل كل هذا النزاع والاختلاف أي لا أقبل بمثل هذا المهدي، لذا يروني كافراً، بينما أراهم على خطأ. فأسجل فيما يلي عقيدة هؤلاء بمحاذاة عقيدتي عن المهدي، وإن كانت عقيدة أهل الحديث هذه، الذين اسمهم الأصلي الوهابيون، مذكورة في مئات مجلاتهم وكتبهم، إلا أنني أرى من المناسب أن أبين شيئاً عن هذه العقيدة من كتب النواب صديق حسن خان؛ لأن المولوي محمد حسين الذي يتزعمهم قد آمن بأن صديق حسن خان هو مجدد هذا القرن (راجع إشاعة السنة)، ويرى من الواجب على كل فرد من أهل الحديث أن يعمل بكتبه بصفته توجيهات المجدد، وهي:

<p>عقيدتي وأبناء جماعتي عن المهدي</p> <p>إن عقيدتي وأبناء جماعتي عن المهدي والمسيح الموعود هي أن جميع الأحاديث عن ظهور</p>	<p>عقيدة المشايخ الذين يعارضوننا في المهدي</p> <p>لقد كتب النواب صديق حسن خان في الصفحة ٣٧٣ من كتابه "حجج الكرامة" وابنه</p>
----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

^١ من هنا إلى صفحة ٢٢٠ ترجمة عربية للنص الأردني الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

سيد نور الحسن خان في الصفحة ٦٤ من كتابه "اقتراب الساعة" عن عقيدة أهل الحديث في المهدي ما ملخصه: "إن المهدي فور ظهوره سيُكثر من قتل النصارى لدرجة لن يقدر عندها الناجون منهم على الحكم والمملك، وإن رائحة السلطة ستخرج من دماغهم، وسيهربون أذلاء." ثم يقول في السطر الثامن من الصفحة ٣٧٤ من كتاب "حجج الكرامة": "بعد هذا الانتصار سوف يهاجم المهديُّ الهندَ ويفتحُها، وسوف يُحضِر له ملك الهند والأغالل في عنقه، وستُنهب جميع خزائن الحكومة والمصارف." وهناك مزيد من شرحها في الصفحة ٦٤ من كتاب "اقتراب الساعة" من

مهدي من هذا النوع لا تجدر بالقبول والثقة أبداً، فهي مجروحة من ثلاثة أوجه، أو بتعبير آخر لا تخرج عن ثلاثة أقسام: (١) أولاً: الأحاديث الموضوعية وغير الصحيحة والباطلة، والتي رواها متهمون بالخيانة والكذب، ولا يعتمد عليها أيُّ مسلم يحب الدين. (٢) ثانياً: الأحاديث الضعيفة والمجروحة وساقطة الاعتبار لوجود التناقض والاختلاف فيها، وإن أئمة الحديث المشهورين إما أنهم لم يذكروها البتة، وإما ذكروها على أنها مجروحة وغير جديرة بالثقة، ولم يوثقوا الرواة، أي لم يشهدوا على صدق الرواة وأمانتهم. (٣) ثالثاً: الأحاديث التي هي في الحقيقة صحيحةٌ وتحققت

السطر الثالث عشر إلى السطر الثامن عشر من الصفحة المذكورة أي ٦٤: "إن ملوك الهند سيؤتى بهم والأغلال في أعناقهم إلى المهدي، وسيحلّي بيت المقدس من خزائنهم" (وبعد يسجل الكاتب رأيه ويدعمه بأقواله الشخصية حيث قال: "أنا أقول: لا يوجد في الهند أي ملك في العصر الراهن، غير بضعة زعماء من الهندوس أو المسلمين، وهم ليسوا حكّاما مستقلّين بل هم بالاسم فقط؛ فملوك هذه الولاية أوروبيون، وأغلب الظن أنهم سيقون حكّام البلاد حتى ذلك الزمن، أي ظهور المهدي، وهم الذين سيحضرون أمام المهدي معتقلين." وقد كتب المذكور آنفا نفسه "أنهم

صحتّها عن عدة طرق، إلا أنّها إما قد تحققت في الزمن السابق ومضت مدة على انقطاع تلك الحروب، ولم تبق أيّ حالةٍ منتظرة، وإما أنّها لا تذكر الخلافة المادية والمعارك المادية، وإنما تبشّر بالمهدي، أي بشخص يتمتع بالهدى. وذكّر بإشارات بل بكلمات واضحة أيضا أنه لن يتمتع بالخلافة السلطانية والحكومة المادية ولن يقاتل ولن يسفك الدماء ولن يملك أيّ جيش، وإنما سيقوم الإيمان في القلوب من جديد بالقوة الروحانية وتركيز القلب، كما هو واضح من حديث "لا مهدي إلا عيسى" الوارد في سنن ابن ماجة المعروف بالاسم نفسه، وكتاب الحاكم "المستدرک" في

سيحضرون أمام المهدي والأغلال في أعناقهم." وقد ورد في "حجج الكرامة" أن ذلك الزمن وشيك، ولعل كل ذلك سيحدث في القرن الرابع عشر الهجري. ثم ورد في الصفحة ٦٥ من "اقتراب الساعة": "إن المهدي سيكسر صليب النصرى، أي سيقضي على دينهم". ثم ورد في الصفحة ٣٨١ من حجج الكرامة: "إن عيسى بعد نزوله من السماء سيكون وزيراً للمهدي، وإن الملك سيكون المهدي." ثم يبشر في الصفحة ٣٨٣ بأن زمن ظهور المهدي قد اقترب. ثم يقول في صفحة ٣٨٤ بأن فرقة من المسلمين لا تقبل بأن المهدي سيظهر بهذا الشأن والأمر، أي سيأتي بصفته غازياً

رواية أنس ابن مالك. وهذه الرواية رواها محمد بن خالد الجندي عن أبان بن صالح عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ، ومعنى الحديث أنه ليس هناك أي مهدي إلا الذي سيأتي بصفات عيسى وطبعه، أي لن يأتي المسيح الموعود غير المهدي الذي سيُبعث على طبع عيسى عليه السلام ووفق تعليمه، أي لن يرد السيئة بمثلها ولن يقاتل، وسينشر الهداية بأسوته الطاهرة. وياظهار الآيات السماوية. ويؤيد هذا الحديث ذلك الحديث الذي كتبه الإمام البخاري في صحيحه الذي ينص على "يضع الحرب" أي أن المهدي الذي يسمى

مجاهدا، وهي على خطأ. لأن ظهور المهدي بهذه العلامة ثابتٌ من الصحاح الستة، أي من الكتب الستة الموثوق بها. ثم يقول النواب صديق حسن خان في الصفحة ٣٩٥ من "حجج الكرامة" إن زمن ظهور المهدي قريب جدا، وقد ظهرت جميع العلامات، وإن الإسلام قد ضعف كثيرا. ثم يقول في صفحة ٤٢٤ من حجج الكرامة: "إن عيسى هو الآخر سينشر الإسلام بالسيف كالمهدي. فلن يقبل غير أمرين؛ القتل أو قبول الإسلام". كما ورد في الصفحة ٣١ من كتاب "أحوال الآخرة" أن النصارى الذين لن يؤمنوا سيقتلون كلهم. باختصار؛ هذه هي عقائد محمد حسين وفرقته التي تُسمى الآن

مسيحا موعودا أيضا، سيقطع دابر الحروب الدينية نهائيا، وسيوجّه (أتباعه) أن لا يخوضوا الحرب من أجل الدين، بل ينشروا الدين بواسطة أنوار الصدق ومعجزات الأخلاق وآيات قُرْبِ الله. فأنا أقول صدقا وحقا بأن الذي يقاتل الآن من أجل الدين أو يدعم أي مقاتل أو يقدم مثل هذه المقترحات صراحة أو سرًّا، أو يخفي في قلبه هذه الأمنيات، فهو يعصي الله ورسوله، ويخرج من وصاياهما وحدودهما وفرائضهما.

وأنا أخبر الآن حكومتي المحسنة أنني أنا ذلك المسيح الموعود الفائز بالهدى من الله والمتخلّق بأخلاق المسيح عليه السلام، ويجب

بأهل الحديث، بينما يسميهم عامة المسلمين بالوهابيين، ويقدم محمد حسين نفسه زعيما ومحاميا وترجمانا لهم. هؤلاء يؤسسون عقائدهم هذه على تلك الروايات التي ذكرت في باب الملاحم من الكتاب المشهور للأحاديث الذي يسمى "المشكاة"، وهم مخطئون في ذلك. فالملاحم في اللغة العربية هي المعارك الكبيرة، ويزعم هؤلاء أن المراد من هذه الملاحم تلك الحروب التي يخوضها المهديُّ ضد النصارى وغيرهم. وهذا الباب يبدأ من الصفحة ٣٣١ من المجلد الرابع لكتاب "مظاهر الحق" الذي هو شرح المشكاة، لكن المؤسف أن هؤلاء أخطأوا في فهم هذه الأحاديث خطأ فادحا.

على كل واحد أن يختبرني في هذه الأخلاق وينبذ الظن السيئ من قلبه. ولكن تدبرتم تعاليمي الممتدة على عشرين عاما بدءا من "البراهين الأحمديّة" لنهاية "سر الحقيقة" فلن تجدوا شاهدا أكبر منه على نقاء سيرتي، وإنني أملك الإثبات أني قد نشرت هذه الكتب في العرب وتركيا والشام وكابول وغيرها من البلاد، وأرفض رفضا قاطعا بأن المسيح سينزل من السماء لشنّ معارك إسلامية، وأن شخصا من بني فاطمة باسم المهدي سيظهر ويكون ملكا، وأنهما معا سيدان سفك الدماء. لقد كشف الله عليّ أن هذه المعتقدات ليست صحيحة البتة، ولقد مضى زمن طويل

<p>على وفاة المسيح <small>عليه السلام</small>. ويوجد قبره بجي خانيار في كشمير، فكما ثبت بطلان نزول المسيح من السماء، كذلك فإن ظهور المهدي الغازي أيضا باطل، فمن كان متعطشا للحق الآن فليقبله. انتهى</p>	<p>باختصار؛ هذه هي عقائد محمد حسين وفرقته أهل الحديث عن المهدي القادم، ولا حاجة لبيان الأفكار المثيرة للفتن والخطرة ونقيضة السلام التي يحملها هؤلاء. وأسجل في العمود المقابل بمحاذاتها عقائدي أنا وأبناء جماعتي. انتهى</p>
---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

الراقم: العبد المتواضع مرزا غلام أحمد من قاديان

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمده نصلي

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^١

٢ "أيها القدير خالق الأرض والسماء ويا أيها الرحيم اللطيف الهادي
يا من هو مطلع على القلوب الذي لا يخفى عليه شيء
إذا كنت تراني عامرا بالفسق والشر، وإذا كنت وجدتني سيئ الطبع
فمزّقني أنا السيئ كل ممزق، وأفرج زمرة الأغيار هذه
أنزل على قلوبهم غيث رحمتك، وحقق جميع أمنياتهم بفضلك
وأمطر النار على جدارني وأبوابي، وكن لي عدوا ودمر أعمالني
أما إذا كنت وجدتني مطيعا لك وباراً ووجدت أن قبلي هي
عتباتك..

ورأيت في قلبي حبا أخفيت سرّه عن العالم..
فعاملني بحب، واكشف شيئاً من هذه الأسرار
يا أيها الذي تأتي إلى كل باحث وأنت مطلع على حرقه كل محترق..
فمن أجل علاقتي بك، ومن أجل الحب الذي زرعه في قلبي..
فاخرج بنفسك لتبرئة ساحتي، فأنت كهفي وملجئي ومأواي
إن النار التي أضرمتها في قلبي وأحرقت بلهيبها كل من سواك..

^١ الأعراف: ٩٠

^٢ قصيدة مترجمة من الفارسية. (المترجم)

فنور وجهي أيضا بالنار نفسها، وبدل ليالي الحالكة هذه بالنهار
افتح عيون هذه الدنيا العمياء، وأظهر قوتك أيها الإله ذو البطش
الشديد

أظهر نور آيتك من السماء، وأر زهرة من بستانك
أرى العالم عامرا بالفسق والفجور، والغافلون لا يذكرون وقت الموت
إنهم غافلون عن الحقائق غير آبهين بها، وإنما يميلون إلى القصص
كالأطفال

إن قلوبهم تخلو من حب الله، ووجهة قلوبهم منصرفة عن زقاق الحبيب
إن السيل عارم والليلة حالكة الظلام، فأطلع الشمس من فضلك".

لما كانت السنة منذ القدم أنه عندما تظهر في أي قوم فرقة تكون
معتقداتها ومبادئها في نظر ذلك القوم معارضة لمعتقداته ومبادئه، فإن
زعماء ذلك القوم يسعون للقضاء على تلك الفرقة بأي وسيلة ممكنة.
فهم يسعون جاهدين على الدوام للإساءة إلى سمعتها عند الناس
والحكومة؛ كذلك عاملني بعض مشايخ هذه البلاد، وأكثرهم عداً
وأشدهم معارضةً هو المولوي محمد حسين البطالوي رئيس تحرير مجلة
إشاعة السنة. لقد حرّم هذا المسكين على نفسه الراحة، فقد تجول من
"بطاله" إلى "بنارس" حاملاً استفتاءه المخجل بتكفيري طلباً لتثبيت
الحكم عليه، ثم حين لم يقتنع طبعه بهذه العملية بلغ الحكومة عني
الأكاذيب قائلاً بحقي إن هذا الرجل متمرد سرّاً وأشدّ خطراً من المهدي

السوداني، مع أنه شخصياً كان قد نشر عني مقالا - في مجلته "إشاعة السنة" - يفيد أنّ من أقصى درجات الإلحادِ الظنُّ بأن هذا الإنسان متمردٌ. وكان قد كتب عني مرارا أنه يشهد بناء على معرفته الشخصية على أن هذا الرجل ووالده مرزا غلام مرتضى هما من ناصحي الحكومة الإنجليزية ووفيان لها. باختصار؛ حين لم تُلقِ الحكومة العاقلةُ بالا لأقوال هذا الحاسد بدأ يثير قومه، ونشر فتوى ضدي أنّ قتلَ هذا الرجل من الثواب. فبالاطلاع على هذه الفتوى أفتى المشايخ الآخرون أيضا بقتلي. فمن الحق الأكيد أنه لو لم يكن الله قد آوانني بفضلِهِ في ظل هذه الحكومة السامية، فلا أدري كم من مؤامرات كان سيحكيها المجاهدون الغزاة ضدي! لقد هددي هذا الرجل مرات عديدة بأمر كابل قائلاً: إذا ذهبتَ إلى هناك فلن تعود حيًّا. فكنا نعرف أن هذا الرجل قد ذهب إلى أمير كابل، إلا أن هذا السر ما كُشف عليّ حتى الآن، أنه لماذا ولأي سبب وعده الأميرُ بقتلي، لكن لا يعين عن البال أن مبادئي ليست مبنية على النفاق، فإذا كان هذا الرجل قد أثار الأمير ضدي بقوله: "إن هذا الرجل يرفض نزول ذلك المهدي والمسيح" اللذين ينتظرهما أهلُ الأفكار المادية، فلا أخاف الأميرَ في بيان الحق، وإنني أعلن على الملأ أنني أرفض فكرة ظهور المسيح والمهدي الغازيين. وحتى لو اعتُبرت هذه الكلمات مسيئة، إلا أنني لا أستطيع أن أتخلى عما كشفه اللهُ عليّ. إنني أؤمن أن الإسلام سيحرز تقدما روحانيا، وأن الصدق سيُنشر بالسلام والوثام. إلا أنني أبدي الأسى والأسف على حالة هذا الرجل

ذي الوجهين؛ إذ يقول للمشايخ سرًا أمراء، ويقول للحكومة الإنجليزية خلاف ذلك، ويؤدي عند أمير كابول عقيدة توافق عقيدته لكسب رضاه. إنني متأكد أنه أبدى عند الأمير في كابول عقيدةً وفق أهداف الأمير، فإذا كان الأمير يقتل مَنْ يخالفه في العقيدة فوراً، فكيف عاد سالماً من عند هذا الأمير؟ هل يمكنه الاعتراف بأنه يتفق مع أمير الكابول في العقيدة؟!

أما معتقداتي فهي صادقة في الحقيقة وهي مباركة ومنزهة من كل فتنة أيضاً، ويمكن أن يفكر كل عاقل بأن من معتقداتي أنه لن يأتي أي مهدي أو مسيح يُخَضَّبُ الأرض بالدماء ليكون أكبر إنجازاته إكراه الناس على اعتناق الإسلام. فما أروع هذه العقائد الصالحة التي بناؤها على الأمن ومبادئ الحلم فقط! والتي لا تسنح بها فرصة لأي مُعارض لِيَتَّهَمَ الإسلام بأنه انتشر بالجبر، ولا تفرض المعاملة الممجبة مع بني البشر دونما مبرر، ولا تُلصق وصمة عار بالأخلاق. كما لا تدفع هذه العقائد الطيبة أهلها للعيش بالنفاق تحت حكومة لا تعتقد بعقائدهم.

أما العقائد التي تُعارض عقائدنا والتي يتوقع هؤلاء الناس ظهورها، فليس هناك حاجة لبيانها. يجب أن تتذكر حكومتنا العاقلة أن الفرقة الأشدّ خطراً من الفرق الإسلامية هي تلك التي عقائدها خطيرة. فكم يخدع محمد حسين البطالوي الحكومة بتشبيهي بالمهدي السوداني، فواضح أني لا أوّمن بالجهاد ولا أوّمن بمثل هذا المهدي، ولا أنتظر المسيح الذي مهمته الجهاد وسفك الدماء. فبأي مماثلة أشبه بالسوداني، وأي علاقة لي

به؟ أما أنا فأرى بحسب علمي أن عقائد هؤلاء تشبه عقيدة المهدي السوداني، فلو أخذ اليمين من محمد حسين وعشرة أو عشرين من أصدقائه المشايخ أمام بعضهم، فسوف يتبين بسرعة هل تُشبه عقائدي عقائد المهدي السوداني أم تُشبهها عقائد هؤلاء؟

لم أكن بحاجة إلى ذكر هذه الأمور، فالحكومة السامية واعية ولا تنظلي عليها احتمالات أحد. ولكن لما اتهمني محمد حسين مرات كثيرة أن أوضاعي تُشبه أوضاع المهدي السوداني بل أخطر منها، فقد تحتم عليّ الرد على هذا الافتراء. إنني أشكر الله وَعَلَيْكُمْ على أنه حماني من أعمال النفاق، فليس من دأبي أن أخبر الحكومة الإنجليزية على شاكلة محمد حسين شيئاً وأبدي لأصدقائي من المشايخ عقائد أخرى، فكم من المخجل ويا لها من وقاحة أن وافق محمد حسين البطالوي المشايخ الآخرين الرأي في عقائدهم في المهدي، وبذلك كسب رضا أمير كابول ونال منه مبالغ كثيرة جائزةً، بينما صرّح عند الحكومة أنه بريء من مثل هذه العقائد، وأنه يُعدُّ مثل هذه الأحاديث باطلة تماماً وموضوعةً. فهل يُحمّد على هذه الخصلة؟ كلا، فلا يرضى الله عن المنافقين ولا الحكومة العاقلة. فمن أروع خصال المرء أن يكون ظاهره وباطنه سيان! فللحكومة أن تفكّر؛ لماذا يسخط عليّ هؤلاء وما هو السبب الأصلي للنزاع؟ فشهادة السير سيد أحمد خان كي سي ايس آئي التي أدلى بها بحقي في أواخر حياته تكفي الحكومة، فقد نصح جميع المسلمين أنه يجب اتباع منهج هذا الرجل مع الحكومة الإنجليزية. فأني قلب طيّب لا يبدي أسفاً

بعد اطلاعه على أن محمد حسين حثّ المسلمين بمنتهى الدناءة على إيدائي. كنت أنشر الدعوة على انفراد بأمر روحانية، ولم أوجّه الخطاب قطّ إلى محمد حسين، لكنه أعدّ الاستفتاء ضدي فجأة، وأراد يبذل الجهود أن يصنفي الناس بالكافر والدجال، وعرض استفتاءه أولاً على أستاذه نذير حسين الدهلوي، ولما كان نذير حسين المذكور على شاكلته ومن طينته، وحواسه أيضاً نُكِّست، ويتسم طبعاً بالبغض والبخل كثيراً على شاكله المشايخ قليلي الفهم، فقد شهد فوراً على تكفيري، وبعده فوراً أفتى بالتكفير جميع تلامذته المقلدون تقليداً أعمى. على كل حال سيتبين في الآخرة مَنْ هو مؤمن ومن هو كافر. أما هنا فإنما أريد أن أكشف أن محمد حسين أعدّ الفتوى عبثاً بدافع العناد المحض، وتحوّل في الهند كلها وتمكّن من تثبيت مئات المشايخ أختامهم عليها، بأن هذا الرجل كافر ودجال. ومنذ ذلك اليوم إلى يومنا هذا لم يرتدع عن الإساءة والإهانة والتحقير وإطلاق الشتائم، وكتب بيده مقالات مليئة بشتائم بذیئة ونشرها باسم محمد بحش جعفر زتلي اللاهوري وأبي الحسن التيبتي، ثم نشر نسخة معظمها في مجلته. هذه الأمور كلها حقائق ثابتة وليست من الظن. ولم يكتفِ بذلك، بل قد أصدر الفتوى بقتلي، وناداني للمباهلة مرات عديدة ثم أعرضَ ثم أساءَ إلى سمعتي أني لا أباهله، فبسبب هذه الدوافع قد نشرتُ إعلان المباهلة في ٢١/١١/١٨٩٨، وبعده اشترى محمد حسين سكيناً قاصداً الإساءة إلى سمعتي وكأني أريد قتله، لكن الجدير بالانتباه أن الذي أفتى بجواز قتلي أولاً فعلاً يدل شراؤه

السكين؟ يجب التأمل أي كنت قد نشرت معنى نبوءتي في الإعلان بوضوح أن ليس المراد منها موت أحد، وإنما المراد أن الكاذب سيفتضح في نظر العلماء وأهل الإنصاف، ولم تكن لهذه الذلة أي علاقة بمخالفة القانون، ومع ذلك قصد بعض المغرضين أن أواجه القانون فبلَّغوا الأمر الحكام. فلو سألوا بعض علماء اللغة العربية عن معنى هذا الإلهام حلفا وأخذ تعهد من هؤلاء العلماء أمامي قبل كل شيء، لما استمرت هذه القضية لحظة؛ لأن الذلة المرتبطة بفتوى المشايخ لم تكن لها أي علاقة بمخالفة القانون. لكن ذلك لم يحدث، ولذلك حدث ضرر كبير، مع أن شرحه كان موجودا في إعلان ١١/٢١ و ١٨٩٨/١١/٣٠. لقد أراد محمد حسين بحسب عاداته القديمة أن يستغل نبوءتي بحق آتهم وليكهرهم ليثبت أن ذلك الشغب وسفك الدم كان بمشورتي وتوجيهي، وأن إصدار مثل هذه النبوءات عادتي القديمة، لكن المؤسف أنه لم يخطر ببال أحدهم حتى الآن أي كنت قد أصدرت تلك النبوءتين كليهما بعد إصرارهما الملح، وأنهما كانا قد نشرا النبوءتين عن طيب خاطر شخصيا قبل نشري إياهما، وإثبات ذلك موجود بما فيه الكفاية، فأني اتهم إذن كان ضدي؟ فكلاهما قد حققت النبوءتين بالموت بحسبهما، إذ قد مات أحدهما بموت طبيعي والآخر مات مقتولا بيد أحدهم. أما عبد الله آتهم الذي مات موتا طبيعيا فلم يكشف في ميعاد النبوءة قط أنه تعرض لمحاولة اغتيال، ولما كانت النبوءة شرطية فقد استفاد بتخوفه من هيبة الإسلام فلم يمت ما دام صامتا، فلما بدأ يقول بتعليم من النصارى بأنه لم يخف مطلقا

هبة الإسلام فقد أخذ الله عاجلاً بسبب الكذب، ليكشف على الناس تحقق النبوءة، كما كان قد سُجل في إلهامي سلفاً؛ فقد تحققت النبوءة بحق عبد الله آثم على وجهين؛ فقد أمهله الله الرحيم أولاً بحسب الشرط في الإلهام نتيجة خوفه من هبة الإسلام وامتناعه عن الإساءة إلى الإسلام لمدة خمسة عشر شهراً كما هي سنة الله في نبوءات الوعيد، ثم حين ساورتها الشبهة بعد مضي خمسة عشر شهراً، أي ميعاد النبوءة، أنه لم ينل هذه المهلة والتأخير بسبب خوفه وإنما حدث ذلك مصادفة، فلما أصرَّ على هذه الفكرة واختلق بعض الافتراءات أيضاً وزعم أنه قد نجا، فاستعاد الله منه أمانه، ومات خلال ستة أشهر من صدور إعلائي الأخير ليتبين للناس أنه كان قد استفاد من الشرط فحسب، وحين نقض الشرط بُطِشَ به فوراً، فقد ظهرت في آثم نبوءتان (١) استفادته من الشرط، (٢) تعرضه للبطش فوراً بعد نقضه الشرط. أما ليكهرام فلم يكن هناك أي شرط في النبوءة ضده، فقد تحققت على وجه واحد. فكم هم أغبياء وظالمون وخونة أولئك الذين يزعمون أن النبوءة ضد آثم لم تتحقق، فما الذي نرد عليهم بغير القول: لعنة الله على الكاذبين.

من الجدير بالانتباه أيضاً أن بعض البخلاء وعميان القلوب يعترضون على بعض نبوءاتي الأخرى أيضاً، أنها لم تتحقق، لكن ذلك افتراءهم المحض، وإنما الحق والواقع أنه ليست لي أي نبوءة لم تتحقق، فإذا كان في قلب أحد شك فليأتنا بنية صادقة ويذكر اعتراضه لنا وجهاً لوجه، ثم إذا لم يجد رداً مقنعاً فسوف نستحق أي غرامة. الحقيقة أن هؤلاء

يعترضون عنادا لا إنصافا، فلو كانوا في زمن الأنبياء السابقين عليهم السلام لاعترضوا عليهم أيضا كما يعترضون عليّ. مَنْ كانت له عيون فيمكن أن نريه الطريق، أما مَنْ عَمِيَ بسبب البخل والأنانية والتكبر فماذا نريه؟ لقد تحققت ما ينوف على ثلاثة آلاف نبوءة مباركة وردت في إلهامات هذا العبد المتواضع ولا تُفسد الأمن. فمئات السعداء يشهدون على ذلك، كثير من الكتابات قد نشرت قبل الأوان، مع ذلك إذا كان أحد يثير الاعتراض والشبهات عبثا بدافع العناد، ولا يجرب بالعيش في صحبتي بإخلاص، ولا يسأل أهل التجربة، وينشر هذه الاعتراضات الخادعة عن طريق الدجل والخيانة ولا يكف عن الخيانة والزور؛ فهو وارث أولئك المنكرين الذين مضوا سابقا مقابل أنبياء الله الأطهار، أعاذ الله عباده من بهتانات هؤلاء المحتالين المكارين. لأي سبب يثيرون الاعتراض جالسين بعيدا كاللصوص، ولا يقدمون شبهاتهم بالحضور وجها لوجه كأنقياء الباطن، ولا يريدون الاستماع إلى الرد؟ وسبب ذلك أنهم مطَّلعون على دجلهم وخيانتهم، وتؤكد لهم قلوبهم كل حين وآن أنهم إذا قدموا هذه الاعتراضات السخيفة المليئة بالجهل والخيانة وجها لوجه فسوف يفتضحون أكبر فضيحة، وأن أقوالهم الخادعة سوف تنعدم فجأة، فلن يبقى لهم غير الندامة والخجل والهوان، ولن يبقى أي أثر للاعتراض.

اعلموا جيدا أنه ليس في نبوءاتي أي أمر لم يسبق له نظير في نبوءات الأنبياء السابقين، فهؤلاء الجهلة الوقحون يندفعون للاعتراض بجيشان

العناد قبل أن يطلعوا على سنة الله، حيث ليس لهم أي حظ من علوم الدين الدقيقة والمعارف. ويتربصون بي دوما بحسب الآية الكريمة: ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرُ﴾^١، ويتغافلون عن مضمون ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. فكتب أحدهم ضدي مدّعيًا التمكن من علم الجفر: "لقد تبين لنا من علم الجفر أن هذا الرجل كاذب"، لكن هؤلاء السفهاء لا يعرفون أن الجفر هو العلم نفسه المزور والمردود الذي به يستدل الشيعة على أن أبا بكر وعمر ظالمان وخارجان عن حظيرة الإيمان والعياذ بالله! فلن يثق بهذا الطريق المزور إلا الذين لا تنسجم قلوبهم مع الصدق، فإذا استنتج أحد الهندوس من مثل هذا الحساب أن الهندوسية وحدها على حق وأن سائر أديان الأنبياء باطلة، فهل يثبت بطلان جميع الأديان؟ يا أسفا عليهم كيف يتورطون في الأفكار الدنيئة مع تسميتهم أنفسهم مسلمين. والمعروف أن الرؤى والكشوف أيضا ليست سواء عند الجميع، فالكشف الكامل الذي عبر عنه القرآن الكريم بالإظهار على الغيب الذي يحيط بالعلم الكامل كدائرة، لا يُعطى لكل فلان وعلان، وإنما يوهب للكامل فقط. وإلهام الناقصين وكشفهم يكون ناقصا، ويُخجلهم كثيرا في نهاية المطاف. فمثل الإظهار على الغيب كمثال من يصعد على سطح البيت وينظر إلى ما حوله من الأشياء، فلا شك أنه يتمكن من رؤية كل شيء بسهولة، أما الذي يريد أن يرى هذه الأشياء من الأسفل، فإن كثيرا من الأشياء تفوته. إن عادة الله مع الأبرار المقربين أنه يرفعهم

إلى مكان عال للرؤية، فيتمكنون من رؤية كل شيء بسهولة ويجبرون عن العاقبة. أما الذي في الأسفل فلا يستطيع أن يخبر عن العاقبة، ولهذا انخدع "بلعام" في معرفة موسى عليه السلام ولم يعلم أسمى مرتبته في الورع حتى يحترمه خشية لها. وفي زمن عيسى عليه السلام أيضا كان في اليهود كثير من الملهمين والحالمين، فلما كانوا في الأسفل ولم يكونوا يتمتعون بمرتبة الإظهار على الغيب، لم يتمكنوا من معرفة عيسى عليه السلام واعتبروه إنسانا مثلهم أو أقل منهم درجة. وابتلاء الحالمين أو متلقي الإلهام هذا، هم من نوع إذا لم يكن معهم فضل من الله فأكثرهم يهلكون به، ويصدق عليهم مثل فارسي تعريه "العلم القليل فتنة"، لهذا لا بد من الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين الفوز بنزر يسير من الغيب، والإظهار على الغيب.

كثير من الملهمين العميان الذين ما زالوا لم يخرجوا من الحفرة ينشرون بحقنا مثل هذه النبوءات أن جماعتنا توشك على الانقراض؛ فلو تابوا لكان خيرا لهم. يجب أن يتذكروا أن الأنبياء أيضا لم يأمنوا بالبلايا في الفترة المتوسطة، إلا أنّ عاقبتهم كانت محمودة، وهكذا إذا تعرضنا نحن أيضا لأي حزن أو مصيبة فمن الخطأ اعتبار ذلك قرارا نهائيا من الله. لقد وعدني الله تعالى وعدًا مؤكدًا بأنه سيبارك في جماعتنا وسيبارك في عبده هذا بركات كثيرة حتى إن الملوك سيتبركون بشيابه، فهو سيجعل عاقبة كل ابتلاء في المستقبل أيضا حسنةً ومحمودة وسيبرئ ساحتنا من كل اتهام للعدو في نهاية المطاف، وتلقيت في ذلك إلهامات مقدسة

كثيرة لو كتبت في هذا الإعلان لصار كتابا، ولكني أسجل فيه بعض الإلهامات ورؤيا واحدة على سبيل المثال:

في ٢١ رمضان المبارك ١٣١٦ هـ ليلة الجمعة، كنت أشعر بأن الروحانية منتشرة، وحيّل إليّ أنها ليلة القدر، وكان المطر الخفيف ينزل من السماء بهدوء شديد؛ فرأيت رؤيا. هذه الرؤيا مفيدة لأولئك الذين يسعون جاهدين على الدوام أن يثيروا شكوك حكومتنا السامية عني. فقد رأيت أن أحدا طلب مني أنه إن كان ربك قادرا فاسأله أن يتحول الحجر الذي على رأسك جاموسا، فرأيت حجرا ثقيلا على رأسي، أتخيله حجرا مرة وخشبًا أخرى، فلم ألبث أن ألقيتُ به على الأرض. ثم دعوتُ الله تعالى أن يحوّل الحجر جاموسًا، وظللت عاكفًا على هذا الدعاء. ولما رفعتُ رأسي فإذا الحجر قد صار جاموسًا، وأوّل ما وقع عليه بصري هو عيناها، فإذا هما واسعتان برّاقتان. فلما رأيت كيف أن الله تعالى حوّل الله ذلك الحجر الذي لم تكن له عينان إلى جاموس جميل ذي عينين واسعتين لامعتين؛ وهو حيوان جميل ونافع، أخذني الوجد برؤية قدرة الله، فخررت على الفور ساجدًا لله تعالى، مُقِرًّا بعظمته، وكنت أردّد في السجود الكلمات التالية بصوت عال: "رَبِّي الأَعْلَى، رَبِّي الأَعْلَى."

وكان صوتي مرتفعًا جدا، فشعرت أنه قد وصل إلى بعيد. عندئذ قلت لامرأة واقفة عندي واسمها "بهانو" ولعلها هي التي طلبت مني هذا الدعاء، انظري ما أعظم قدرات ربنا الذي جعل الحجر جاموسا وجعل

له عينين، وبينما أقول لها ذلك تحمّس قلبي فجأة بتصور قدرة الله وفاض قلبي بحمده مرة أخرى، فسجدت مرة أخرى في حالة الوجد كالسابق. وكل حين كان هذا التصور يدفعني إلى الخرور على أعتاب الله ﷻ. يا إلهي ما أرفع شأنك! وما أعجب أفعالك إذ قد جعلت الحجر بغير روح جاموسا ووهبته عينين واسعتين وبراقتين يرى بهما كل شيء، وليس ذلك فحسب بل يرجى منه الحليب أيضا! فمن غرائب قدرة الله تعالى أنه خلق من الجماد كائنا حيا ذا روح، وكنت ما زلت في السجدة فاستيقظت، وكانت الساعة الرابعة ليلا تقريبا، فالحمد لله على ذلك. فأولتها أن أعدائي الظالمين الذين يرفعون ضدي إلى الحكومة أقاويل مزورة وباطلة تماما لن ينجحوا، وكما أن الله تعالى حوّل الحجر إلى جاموس في الرؤيا، وأعطاه عينين واسعتين باصرتين، كذلك تماما سيهب الحكام بحقي البصيرة والنظر في نهاية المطاف فيفطنون إلى أصل الحقيقة. هذه أفعال الله وعجيبة في نظر الناس.

ومما يوجب الشكر أن الحكام الذين جعلنا رعيّتهم متعطشون للصدق، فإن أخطأوا فبصدق النية ولكنهم يستمرون في تقصي الحقائق. والإلهامات التي تلقيتها بعد ذلك تؤيد هذه الرؤيا نفسها، فأسجلها هنا أيضا ليزداد إيمان الناس عند تحقّق هذه الأمور في الزمن الأخير، لكنني لا أعرف متى تتحقق وعلى يد من تتحقق وما زمنها. إنني أعلم يقينا أن هذه الوسوسة التي تُرْفَع إلى الحكومة لن تدوم، وسوف يحدث أخيرا أن الحكام محبي الإنصاف سيطلعون على أوضاعي الحقيقية برؤيتهم

الموهوبة من الله وبصيرتهم ولباقتهم. فعندئذ كما رأيت أن الله تعالى قد حول الحجر إلى جاموس جميل أبيض، ووهب له عينين مبصرتين، ستتكشف حقيقتي على الحكام، وإن الله وحده يعلم تلك الساعة وذلك اليوم، لكنه من المؤكد أنه سينكشف على كل واحد عاجلا أو آجلا تبرئة ساحتي وسلوكي الحسن ووفائي الكامل للحكومة، وإن الأفكار التي تنشر ضدي سيثبت بطلانها. وإن الإلهامات التي تؤيد هذه الرؤيا هي: "إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. أنت مع الذين اتقوا، وأنت معي يا إبراهيم. يأتيك نصرتي، إني أنا الرحمن. يا أرض ابلعي ماءك. غيض الماء، وقضي الأمر. سلام قولا من رب رحيم. وامتازوا اليوم أيها المجرمون. إنا تجالذنا، فانقطع العدو وأسبابه. ويل لهم أنى يؤفكون. يعصّ الظالم على يديه ويوثق. وإن الله مع الأبرار، وإنه على نصرهم لقدير. شاهت الوجوه. إنه من آية الله، وإنه فتح عظيم أنت اسمي الأعلى، وأنت مني بمنزلة محبوبين. اخترتك لنفسي. قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين."

قوله:.. ابلعي...؛ أي الشكاوى الباطلة المثيرة للفتن التي نُشرت في الأرض، .. أنى يؤفكون؛ أي كيف يفترون. .. يعصّ الظالم ويُردع من شروره.

طريق واضح وبين لاختبار الناصح الصادق للحكومة السامية

(نلتمس من الحكومة السامية بأدب أن تقرأ هذا المضمون باعتناء
وتختبر كل واحد من الفريقين بحسب الطلب)

لما ظلّ المولوي أبو سعيد محمد حسين البطالوي، رئيسُ تحرير إشاعة السنة، يسعى على الدوام سرا أن يسيء ظنَّ الحكومة الإنجليزية السامية بي، وقد عرفتُ أن هذا دأبه من سنوات عدة؛ رأيت من المناسب أن أقدم طريقَ اختبارٍ تتمكن به الحكومة السامية من أن تميز العدوَّ الخفي من الناصح الأمين، لكي تميز حكومتنا العاقلة بهذا المقياس المخلصَ من المنافع في المستقبل. فذلك الطريق في رأبي أن نُجعل بعض العقائد - التي حُسبت إسلاميةً، من سوء فهم، وهي من نوع إذا اعتنقها أحدٌ أصبح خطرا على الحكومة - مقياسا لتمييز المنافع من المخلص بحيث ينبغي أن يكتب كلُّ فريق منا تلك العقائد باللغة العربية والفارسية ونطبعها ونسلمها للحكومة الإنجليزية لتنشرها كما تراها مناسبا في العرب.. أي مكة والمدينة وغيرها من البلاد العربية وكابول وإيران. وإن الذي يعامل بالنفاق سيفتضح بهذا الطريق، لأنه لن يكتب هذه العقائد بأمانة، ويعتبر إظهارها موتا، وسيتعذر عليه نشرُ هذه العقائد. أما إرسال هذا الإعلان إلى مكة والمدينة فسوف يجده أمرٌ من الموت. أما أنا، فمع أني كنت مشغولا في تأليف مثل هذه الكتب باللغة العربية والفارسية ونشرها منذ عشرين سنة في البلاد العربية وفارس، إلا أني أكتب الآن أيضا - من

أجل هذا الاختبار- في نهاية هذا الإعلان خطابا باللغة العربية والفارسية عن عقائدي الآمنة وعن الروايات الخاطئة عن المهدي والمسيح وعن الحكومة البريطانية وأنشره. من الضروري في رأيي إن كان محمد حسين الذي يسمى زعيم أهل الحديث متمسكا بعقائد الأمن والصلح- مثل معتقداتي- أن يطبع هو الآخر إعلانه باللغة العربية والفارسية ويرسل إليّ مائتي نسخة منه لأنشرها بنفسي في مكة والمدينة وبلاد الشام وتركيا وكابل وغيرها، وليستلم مني مائتي نسخة لإعلاني العربي والفارسي لينشرها بنفسه.

فلتذكر حكومتنا العاقلة جيدا أن تأليف كتيب يحمل معنيين لإفراح الحكومة لمجرد الإعلان باللسان وعدم نشره جيدا ليس من الإخلاص في شيء؛ فهو أمرٌ، وتأليف كتابٍ مخالف لعقائد المسلمين العامة ونشره- بصدق القلب وكامل الحماس- على نطاق واسع في البلاد الأجنبية في الواقع، هو أمرٌ آخر تماما؛ فهو من عمل الشجاع الذي قلبه يطابق لسانه، وأعطاه الله ﷻ هذا التعليم في الحقيقة. فإذا كان هذا الرجل صادق النية فعليه أن ينشغل في أداء هذه المهمة فورا، وإلا فلتذكر الحكومة جيدا أنه إن لم ينشر مقابلي مثل هذا الكتيب باللغة العربية والفارسية فسوف يثبت نفاقه. هذا العمل يستغرق بضع ساعات فحسب ولا مانع له غير فساد النية، فلتذكر حكومتنا السامية أن هذا الرجل يتعامل بأشد النفاق، والذين يتزعمهم هم أيضا يعتقدون بهذه العقائد والأفكار.

الآن أكتب فيما يلي إعلانا باللغة العربية والفارسية بحسب وعدي، ولا أخاف في اختيار الحق غير الله، ورأيت من المناسب - نظرا لحسن ترتيب الإعلانين والمطابقة التامة بينهما - أن أكتب الإعلان الأصلي باللغة العربية، وأكتب تحته ترجمته الفارسية لكي يصدر الإعلانان معا، ولكي تتم ترجمة الإعلان العربي الذي لا يقدر على قراءته كل واحد من أهل اللغة الأجنبية، فالآن أكتب كلا الإعلانين وأُحقهما بهذا الكتيب. وبالله التوفيق.

الراقم: العبد المتواضع ميرزا غلام أحمد من قاديان ١٨٩٩/٢/٢١

^١ تنتهي هنا ترجمة النص الأردني الموجود في هذا الكتاب. (الناشر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمده ونصلي على رسوله الكريم

السلام عليكم يا إخواني ورحمة الله وبركاته.

أما بعد.. فاسمعوا مني يا عباد الله الصالحين، ويا إخواننا من بلاد الروم والشام والأرض المقدسة مكة ومدينة* التي هي دار هجرة سيدنا ونبينا خاتم النبيين، وفارس ومصر وكابل وغيرها من الأرضين. رحمكم الله وأيدكم، وكان معكم في الدنيا ويوم الدين، وهدانا وهداكم إلى حقِّ مبين.

إني أدعوكم إلى مرضي الله الرحيم، وأدعو إلى وصايا نبي الله الكريم، عليه ألف ألف صلاة من الله الكبير العظيم، وأبشركم بما ظهر في هذه الديار بفضل الله الودود الغفار، وأبشركم بأيام الله وتنفس صبح الصادقين، وأبشركم برحمة نزلت من ربنا وهو أرحم الراحمين.

يا عباد الله.. إنه **عَجَلٌ** نظر إلى الأرض فرأى أن الفتن فيها كثرت، والديانة قلّت، والقلوب قست، والصدور ضاقت، وما من يوم يمضي ولا شهر ينقضي، إلا تزيد الفتن وتشتدّ المحن، ومُلئت الأرض بأنواع البدعات، وتُركت السنّة والقرآن وظهر الفساد في النّيات، وغلبت على القلوب حب الشهوات، وزالت من الجباه أنوار الحسنة، بل علا الوجوه من فساد القلوب سوادٌ وقُحول، وضُمّر وذبول، وجبن وإحجام، ووساوس وأوهام، وجهلوا كل ما أُوتوا من النبي المصطفى، ونسوا وصايا

* سهو، والصحيح: "المدينة". (الناشر)

القرآن وما قال خير الورى. وبقي في أيديهم قشرٌ وأضاعوا لُبَّ الإيمان، وأقبلوا على الدنيا وشهواتها وآثروا سبل الشيطان، وما تجدون أكثرهم إلا فاسقين، مجترئين غير خائفين. وترون أكثر العلماء يقولون ولا يفعلون، والزهداء يُراوون ولا يُخلصون، ولا يتبتّلون إلى الله ولا يتّقون. وترون عامة الناس تمايلوا على الدنيا وإلى الآخرة لا يلتفتون، ويتعامون ولا يُبصرون، وينومون مستريحين ولا يستيقظون. وأهل الملل الأخرى يبذلون أموالهم وجهدهم لإشاعة الضلالات، وكذلك فسدت الأرض من سوء الاعتقادات، وأخرجت أثقالها من أنواع المكائد والخزعبيلات. فاقترضت العناية الإلهية أن يبعث عبداً من عباده لتنوير القلوب المظلمة، ويُصلح على يديه موادّ المفاسد الموجودة، فاخترني فضلاً ورحمةً من عنده لهذه الخطة العظيمة، وأعطاني حظاً كثيراً من المعارف الروحانية، وخفايا العلوم النبويّة، والدقائق الفرقائيّة، وسمائي مسيحاً موعوداً لأحيي القلوب المائتة بقدرته الكاملة، وأجدد أمر التوحيد وأشيّد مباني الملة. وإني أنا آية الله التي جلاها لوقتها رُحماً على الخليقة، فهل أنتم تقبلونني أو تردّون من أتاكم من الحضرة؟ وقد بلّغْتُ ما أمرتُ فكونوا من الشاهدين. والذين كذبوني فما كان تكذيبهم إلا من العميّة، فإنهم ما تدبّروا دقائق أخبار خير البرية، عليه الصلاة والسلام من حضرة العزة، وكانوا بادي الرأي مستعجلين. فأخذهم بخلٌ وعنادٌ نشأ من أهوائهم، واستولى عليهم سيل شحنائهم فما كانوا مهتدين. وقالوا إن المسيح ينزل من السماء، وإن المهدي يخرج من بني الزهراء، وأنهما يتقلدان الأسلحة ويحاربان الكفرة

ويسفكان الدماء، ولا يرحمان الرجال ولا النساء، ولا يتركان ولا يُدخلان السيوف في أجفانها حتى يكون الناس كلهم مسلمين. وقالوا إن المهدي يُفجّم الكفرة بالتعزيرات السياسية لا بالآيات السماوية، ولا يترك في الأرض بيتَ كافرٍ، ويضرب عنق كل مقيم ومساfer، إلا أن يكونوا مؤمنين. ويُجارب النصارى وكلّ مَنْ قَبِلَ الملة النصرانية، ويؤمّ بلادَ الهند وغيرها وينال الفتوح العظيمة، ويقتل وينهب ويغنم ويسبي الرجال والنسوة. والمسيح ينزل من السماء ليعاونه كالخدماء، ولا يقبل الجزية ولا الفدية، ويُحبّ أن يقتل مَنْ في الأرض من الكفار أجمعين. وكذلك يطأ أفواجهما أرض الله سقاكين غير راحمين. وقالوا هذه عقائد اتفق عليها أمم من العلماء ونقلها خلقها من سلفها، وحاضرُها من غابرها، وكثيرٌ من الكبراء. وأما نحن يا عباد الله الرحيم، فما وجدنا هذه العقائد صحيحة صادقة، بل وجدناها سقطاً وردّياً لا من الرسول الكريم. وعلمني ربي أنه خطأً وما أتى رسولنا شيئاً من مثل هذا التعليم وإنهم من الخاطئين.

فالمذهب الذي أقامنا الله عليه هو مذهب حلم ورفق وتؤدة، لا قتلٍ وسبيٍ وأخذ غنيمة، وهذا هو الحق الواجب في زماننا وإنّا من المصيبين. فإن أمر الجهاد كان في بُدوّ أيام الإسلام، وكان حفظ نفوس المسلمين موقوفاً على قتل القاتلين والانتقام، بما كانوا قليلين وكان الكفار غالبين كثيرين سفاكين. وما أمر المؤمنون للحرب والقتال إلا بعد ما لبثوا عمراً مظلومين مضروبين ودُبحوا كالمعز والجمال. وطال عليهم الجور والجفاء،

وتوالى الظلم والإيذاء، حتى إذا اشتدّ الاعتداء، وُثِّمَ عويل المستضعفين والبكاء، فأذن للذين قتل الكفرة إخوانهم والبنين، وقيل اقتلوا القاتلين والمعاونين، ولا تعتدوا فإن الله لا يحب المعتدين.

هنالك جاء أمر الجهاد، وما كان إكراهاً في الدين وما جبراً على العباد، وما بُعث نبي سفاكاً بل جاؤوا كالعهد، وما قاتلوا إلا بعد الأذى الكثير والقتل والنهب والسبي من أيدي العدا وغلوّهم في الفساد، فُرِّعَت هذه السنّة برفع أسبابها في هذه الأيام، وأمرنا أن نُعدّ للكافرين كما يُعدّون لنا، ولا نرفع الحسام قبل أن نُقتل بالحسام. وترون أن النصارى لا يقتلوننا في أمر الدين، ولا قوم آخرون من البعيد والقرين. فهذه السيرة عارٌ للإسلام.. أن نترك الرفق لقوم رفقوا.. فأمعنوا يا معشر الكرام. وقد جاء في صحيح البخاري أن المسيح الموعود يضع الحرب، يعني لا يستعمل الطعن ولا الضرب، فما كان لي أن أخالف أمر النبي الكريم، عليه سلام الله الرؤوف الرحيم. وقد جرت عليه سنّة نبينا خاتم النبيين، فأبيّ أمرٍ أفضل منه يا معشر العاقلين؟ ويكفي لكم ما قال سيدنا خاتم النبيين، عليه صلوات الله والملائكة والصالحين من الناس أجمعين.

ثم مع ذلك قد ثبت أن الأحاديث التي جاءت في المهدي الغازي المحارب من نسل الفاطمة الزهراء، كلها ضعيفة مجروحة، بل أكثرها موضوعة، ومن قسم الافتراء. وما وُثِّق زواؤها، وأشكِل على المحدّثين إثباتها، ولأجل ذلك تركها الإمام البخاري والمسلم والإمام الهمام صاحب الموطأ وجرحها كثير من المحدّثين. فمن زعم أن المهدي المعهود والمسيح

الموعود رجلا ن يخرجان كالمجاهدين، ويسلان السيف على النصارى والمشركين، فقد افترى على الله ورسوله خاتم النبيين، وقال قولا لا أصل له في القرآن ولا في الحديث ولا في أقوال المحققين. بل الحق الثابت أنه: "لا مهدي إلا عيسى"، ولا حرب ولا يؤخذ السيف ولا القنا. هذا ما ثبت من نبينا المصطفى وما كان حديث يفتري، وشهد عليه الصحيحان في القرون الأولى، بما تركا تلك الأحاديث وإن في هذا ثبوت لأولي النهي، وتلك شهادة عظمى، فانظر إن كنت من أهل التقى.

واعلم أن عيسى المسيح نبي الله قد مات ولحق برسل خلوا وتركوا هذه الدنيا، وقد شهد عليه ربنا في كتابه الأجلى، وإن شئت فاقراً: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، ولا تتبع قول الذين تركوا القرآن بالهوى. وما أتوا عليه برهان أقوى، وقالوا وجدنا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم بعدوا من الهدى. وإنا نريكم آيات الله فكيف تكفرون. هذا ما قال الله، فبأي حديث بعد كلام الله تؤمنون؟ أتركون القرآن بأقوال لا تعرفون؟ أجمعلون رزقكم أنكم تكذبون وتؤثرون الشك على اليقين؟ ولا قول كقول رب العالمين. وإنا أثبتنا أن عيسى عليه السلام هاجر من وطنه بعد واقعة الصليب، والهجرة من سنن المرسلين بإذن الله المحيب القريب. ثم سافر إلى هذه الديار، ديار الهند كما جاء في الآثار، وكمل الله عمره إلى مائة وعشرين كما جاء في الحديث من النبي المختار، ثم مات ودُفن في أرض قريبة من هذه الأقطار، وقبره موجود في سِرِينَكْر الكشمير إلى هذا الزمان، ومشهور بين العوام والخواص والأعيان، ويُزار ويُتبرك به، فاسأل أهلها

العارفين إن كنتَ من المرتابين. وانظر كيف مُزّقت تلك الخيالات، ولم يبق لها أثر وبطلت تلك الروايات، فانكشف أن المراد من المسيح النازل رجلاً أُعطيَ له حُلُقُ المسيح، وهو الذي يُكَلِّمكم يا أولي النهى والفهم الصحيح. واعلموا أن وقت الجهاد السيّفي قد مضى، ولم يبق إلا جهاد القلم والدعاء وآيات عظمى. والذين يعتقدون أن الجهاد السيّفي سيجب عند ظهور الإمام، فقد أخطأوا وإنا لله على زلّة الأقدام. وما هذا إلا خطأ نشأ من قلة التدبّر في أحاديث خير الأنام، ومن عدم التفريق بين الموضوعات والصحاح واتباع الأوهام. والأسف كل الأسف على رجالٍ يعلمون أنّ أحاديث المهدي الغازي مجروحة غير صحيحة، ثم يعتقدون بمجيئه من غير بصيرة، ولا يقولون قولاً على وجه البصيرة، ولا يبتغون نوراً من النصوص النقلية والدلائل العقلية، وكانوا عاهدوا أن يؤنّوا خطط الإسلام، ولا يتبعوا قولاً يُخالف قول سيدنا خير الأنام. فلا شك أن وجود هؤلاء من إحدى مصائب التي صُبّت على الدين المتين، فإنهم لا يتبعون نوراً بل يمشون كالعميين. وما كان علمهم مُطَهَّراً من الشك والريب، وما رُشحت على قلوبهم فيوض من الغيب، بل إنهم يفتنون ما ليس لهم به من علمٍ ولا بصيرة، ويتبع بعضهم بعضاً من غير دراية ومعرفة. وكذلك جعلوا دين الله بمُحمّتهم عرضةً المعترضين المتعصّبين، ولعبةً اللاعبين الغافلين. إنهم قوم جهلوا معرفة الأمور الدينية والدقائق الشرعية، وصاروا أئمة قوم جاهلين. يُفتنون ولا يعلمون، ويؤمنون ولا يتفقّهون، ويقولون ولا يفعلون. لا يمسّون شيئاً من معارف الفرقان، ولا

يَتَّبِعُونَ رجالَ هذا الميدان، وَيَعِظُونَ ولا يفهمون ما يخرج من أفواههم، وما كانوا مبصرين ولا مفكرين، ولا على الله مُقْبِلِينَ. وإن بضاعة علمهم مُزْجَاةٌ ناقصة، وإن قلوبهم على الدنيا مائلة ساقطة، فكيف يفهمون معضلات الدين، وكيف يطلعون على معارف الشرع المتين؟ فإن معارف الله لا تنكشف إلا على قلوب صافية، وأبواب الدين لا تُفتح إلا على همم على الله مُقْبِلَةٍ، ولا تتجلى الحقائق إلا على أفكارٍ إلى الرحمن حافدة. ثم مع ذلك وجب على رجالٍ يتصدون لمواطن المباحثات ويقتحمون سيول المباحثات، أن يكونوا متوَعِّلِينَ في العلوم العربية، ومُرتَوِينَ من العيون الأدبية، ومطلّعين على فنون الكلام والأساليب الغريبة المعجبة، وقادرين على محاسن الكنايات، ومقتدرين على طرق التفهيمات، وعارفين لمحاورات اللسان، وضابطين لقوانين* العاصمة من الخطأ في الفهم والغلط في البيان. وأتى هؤلاء هذه الكمالات؟ فليس في أيديهم إلا الخرافات، فليكن عليهم من كان من الباكين.

أينتظرون المهدي الغازي ليسفك الدماء، ويقتل الأعداء، ويقطع الهام، وبالسيف يشيع الإسلام؟ مع أنه ليس بثابت من الأحاديث الصحيحة، ولا النصوص الفرقانية، بل ثبت خلافه عند المحققين. ثم مع ذلك هذا أمر يُنكره العقل السليم، ويأبى الفهم المستقيم، فاسأل المتدبرين.

* سهو، والصحيح: "القوانين". (الناشر)

وأنت تعلم أن زماننا هذا زمان لا يسطو أحدٌ علينا للمذهب بالسيف والسنان، ولا يُجبر أحدٌ لتتبع دينه ونترك دين الله خير الأديان، فلا نحتاج في هذه الأيام إلى الحرب والانتقام، ولا إلى تثقيف العوالي وتشهير الحسام، بل صارت هذه الأمور كشيعةٍ نُسخت، وطُرِقِ بُدلت. فلما ما بقي حاجة إلى الغزاة والمحاربة، أُقيم مقامَ هذا إتمامِ الحجّة بالدلائل الواضحة القطعية وإثبات الدعاوي بالبراهين الصادقة الصحيحة، وكذلك وُضعت موضعها الآيات المنيرة والخوارق الكبيرة، فإن الحاجة قد اشتدت في وقتنا هذا إلى تقوية الإيمان، ونزول الآيات الجليلة من الرحمن، ولا يُفيدهم سفك الدماء وضرب الأعناق، بل يزيد هذا أنواع الشكوك والشقاق. فالمهدي الصدوق الذي اشتدت ضرورته لهذا الزمان، ليس رجلٌ * يتقلد الأسلحة ويعلم فنون الحرب واستعمال السيف والسنان، بل الحق أن هذه العادات يضر * الدين في هذه الأوقات، ويختلج في صدور الناس من أنواع الشكوك والوسواس، ويزعمون أن المسلمين قوم ليس عندهم إلا السيف والتخويف بالسنان، ولا يعلمون إلا قتل الإنسان. فالإمام الذي تطلبه في هذا الزمان قلوب الطالبين، وتستقر به النفوس كالجائعين، رجلٌ صالح مهذب بالأخلاق الفاضلة، ومُتَّصفٌ بالصفات الجليلة المرضية، ثم مع ذلك كان من الذين أُوتوا الحكمة والمعرفة، وُرُزقوا البراهين والأدلة القاطعة، وفاق الكلَّ في العلوم الإلهية،

* سهو، والصحيح: "رجلا". (الناشر)

* سهو، والصحيح: "تضر". (الناشر)

وسبق الأقران في دقائق النواميس ومعضلات الشرعية وكان يقدر على كلام يؤثر في قلوب الجلاس، ويتفوه بكلمات يستملحها الخواص وعامة الناس، وكان مقتضيا بملفوظات تحاكي لآلي منضدة، ومترجلاً بينكاتٍ تُضاهي قطوفاً مذللة، مارناً على حسن الجواب، وفصل الخطاب، مستمكناً من قولٍ هو أقرب بالأذهان، وأدخل في الجنان، مُبكِتاً للمخالفين في كل موردٍ تورده، ومُسكِّتاً للمنكرين في كل كلامٍ أورده. فلا سيفَ في هذا الزمان إلا سيف قوة البيان، ولا أجد في هذا العصر تأثير القناة، إلا في البراهين والأدلة والآيات. فإمام هذا العصر امرؤ كان فارس مضمار العرفان، والمؤيد من الله بآيٍ وغيرها من طرق إتمام الحجّة وأنواع البرهان. كان أعرف من غيره بكتاب الله الفرقان، ليُرهب به أعداء الله ويشفي صدور الطالبين. وكان قادراً على إصلاح نفسه التي هي أعدى أعدائه لتذوب بالكلية ولا تنازع الله في كبريائه. وكان متوكلاً متواضعاً مُبتهلاً لإعلاء الشريعة الغراء، صابراً مُشفقاً على عباد الله ومجتهداً لهم بعقد المهمة والإلحاح في الدعاء. ولا ينسى أحداً من المخلصين ولو كانوا في أبعد أقاليم، ويُجادل الله في أشقياء جماعته كإبراهيم، وكان وجيهاً في حضرة رب العالمين. فإن مثل الإمام مثل رجلٍ قويٍ تعلق بأهدابه ضعيفٌ أو شيخٌ كبيرٌ يتخاذلان رجلاه، وضعفت عيناه، فيأخذها هذا الفتى الضعيف والشيخ الفاني الخرف النحيف، ويعصمه من أن يظلم نفسه ويحيف، وكذلك يأخذ كل من خيف عليه العثار لضعف من المريرة، ويُعطي غضاً طرياً كل من احتاج إلى امتراء

الميرة، ويُبلِّغ المستضعفين اللاغبين إلى ديارهم كفتيان ناصرين. فالذي ما أُوتِيَ قلبه صفة الشفقة والمواساة، وما له قوة وشجاعة كالأبطال والحُماة، ولا يُقبِل على الله لخلقه بالبكاء والتضرّعات، ولا يوجد فيه رُحْمٌ أكثر من رحم الوالدات، فلا يُؤتَى له هذا المنصب ولا يوجد فيه شيء من هذه الآيات، وليس هو وارثُ إمام الكونين وسيد الكائنات. وأمّا الذي أُعطيَ له هذا التحنن والشفقة، ومُلِيَ قلبه بهذه الصفات، مع انسلاخه من أهواء النفس والشهوات، واستهلاكه في حب الله ومُحَوِّبِهِ في ابتغاء وجه الله والمرضاة، فهو كبريت أحمرٌ وبدرٌ تام ودوحةٌ مباركةٌ للكائنات، ليتفياً الناس ظلاله ويأتوه لجلب البركات. وهو دار أمنٍ ليجوس المضطرون خلالها وليأخذوه كهفًا عند الآفات. وهو مُباركٌ وبورك مَنْ حوله، وبُشِرَى لمن لاقاه ورآه، أو سمع منه بعض الكلمات. إنه رجلٌ يوالي الله من والاه، ويُعادي من عاداه. ويأتيه السعداء من كل فجٍّ عميق وديارٍ بعيدة، وهو كهفٌ للملّة وأمانٌ من الله لكل مسلم ومسلمة. ومن علامات صدقه أنه يؤدّي في أول أمره ويُسلّطُ عليه الأشرار، ويسطو الفُجّارُ، مستهزئين مُكذّبين، ويقولون فيه أشياء ويسبّون مجترئين. وهو يدجّ على الأرض دجّ الصّوار، ويمشي هوناً كالأخيار، ولا يجزي السيئة بالسيئة، ويدفع بالتي هي أحسن وأنسب لعباد الحضرة. حتى إذا تمّ أيام الابتلاء، وما قُدّر عليه من جور السفهاء، فينفخ في روعه أن يُقبِل على الله كل الإقبال، ويسأل نصرته بالتضرّع والابتهاال، فتتحرك في باطنه هذه الإرادات، فيخرّ ساجداً لله فتُستجاب الدعوات، وتكون له النصر

والفتح في آخر الأمر وفي المآل. ويخلق الله له أسباباً من السماء باللطف والنوال، ويفعل له أفعالاً يتحير الخلق من تلك الأفعال، ويقلب الأمر كل التقلب ويؤمنه من الخوف والاهتيال. وكذلك جرت عادته بأوليائه، فإنه يجعل أعداءهم غالبين في أول الأمر، ثم يجعل الخواتيم لهم، وقد كتب أن العاقبة للمتقين. ولا يُبعث كمثل هذه الرجال إلا بعد مرور من القرون بإذن الله الفعّال، وبعد فسادٍ في الأرض وصول الأعداء وسيل الضلال. فإذا ظهر الفساد في الأرض وزاد العدوان، وكثر الفسق والعصيان، وقال المعرفة وصار الناس كالعَمِين، وجهلوا حدود الله رب العالمين، وتطرق الفساد إلى الأعمال والأفعال والأقوال، وصار أمر الدين مُتَشَتِّتًا ومُشْرِفًا على الزوال، والأعداء مدّوا أيديهم إلى بيضة الإسلام، وانتهى شعار الدين إلى الانعدام، وما بقي في وسع العلماء أن يردّوا الناس إلى الصلاح والاتقاء، بل العلماء وهنوا ونسوا خدمة الدين، وتمايلوا على الدنيا الدنيّة، وما بقي لهم حظ من الإيمان واليقين. وبلغ أمر الفساد والفسق والضلالة إلى منتهى الغي كعلّة كانت في الدرجة الثالثة، وما بقي رجاء أن يبرأ الناس بمجرد القول والقيام، فعند ذلك يُرسلُ مصلحٌ ويُعطى له من لدن ربه علمٌ ومعرفةٌ وصدقٌ وطرقٌ إقامة الدليل، وطهارةٌ واستقامةٌ، وعليه جرت عادة الرب الجليل.

فالحاصل أن العناية الإلهية تقتضي بالفضل والإحسان، أن يبعث نبياً أو محدثاً في ذلك الزمان، ويفوض إليه هذه الخطة ويحتويه لإصلاح نوع الإنسان، فيجيء في وقت تشهد فيه القلوب السليمة لضرورة داعٍ

من حضرة الكبرياء، وتحسن كل نفس متيقظة حاجةً إلى تأييد رب السماء، ويجدون ريجه، ونفحاته تفرع شامة أرواحهم، فعند ذلك يظهر مأمور الله، ويغيض سيل الفتن، ويتم الحججة على الكافرين. ولا يأتي إلا عند الضرورات، ولا يسلب السيف إلا على الذين سلّوها من الظالمين والعصاة.

ثم اعلم أيها السعيد أن أكثر الناس قد أخطأوا وغلطوا في أمر المهدي المعهود، ونسبوا إليه سفك الدماء وقتل كثير من النصارى واليهود، وقالوا إن ملوك النصارى الذين هم ملوك الهند من أهل المغرب أعني اليوروفين*، يؤخذون ويطوّقون ثم يُحضرون في حضرة المهدي صاغرين. وما لهم به من علم أن يقولوا إلا كالمفترين. وما عندهم إلا أحاديث ضعيفة ووضع من الواضعين، ولا تجد في أيديهم حديثًا صحيحًا من خاتم النبيين. فاتقوا الله ولا تعتقدوا كمثل هذه العقائد، ولا تستروا شريعة الله تحت الزوائد متعمدين. والذين لا يتركون هذه الأقاويل، ولا يستقرون البرهان والدليل، ولا يطلبون نورا يشفي النفس وينفي اللبس، ويكشف عن حقيقة العُمى، ويوضح المعمى، ولا يُمعنون النظر كالمحققين، بل يتبع بعضهم بعضًا كالعَمين، ولا يسرحون الطرف كالمفتشين، فأولئك قوم يشابهون جهامًا و*حُلبًا، ويضاهون متصلقًا قُلبًا، أو هم كبيوت عورة، أو كأشجارٍ غير مثمرة، وليس عندهم من غير لحي طُولت، وأنفٍ

* أي الأوروبيين. (الناشر)

* لعلّ الواو هنا زيدت سهوا. (الناشر)

شمخت، ووجوه عبست، وألسن سلطت، وقلوب زاغت. ولهم أمان لا يتكونها، وأهواء يخفونها، فلا يردون مناهل التحقيق، ولا يستقرئون مجاهل التدقيق، ولا يبذلون جهدهم لرؤية الحق المبين، ولا يجاهدون لإيصال الناس إلى ذرى اليقين.

وآخر الكلام في هذا الباب، أني أنا المسيح المهدي من رب الأرباب، وما جئت للمحاربات، وما أمرني ربي للغزاة. إني جئت على قدم ابن مريم، لأدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وإلى ربِّ أكرم وأرحم، ولا أرى حاجة إلى سلّ السيوف من أجفانها، بل هي عازرٌ لِمَلَّةٍ أحاطت البلاد بلمعانها. نعم! حاجةٌ إلى بَرِّي الأفلام لجولانها، لننجي الناس من الضلالات وطوفانها. وإذا جئت علماء هذه الديار، فكفروني وكذبوني بالإصرار، وأعرضوا عن الحق بالاستكبار، وقالوا دجال افتري. فأراهم الله الآية الكبرى، وظهرت أنباء الغيب وبركات عظمى، وحُسف القمر والشمس في رمضان، فما تقلّب قلبٌ إلى الحق وما لان، وعرضت عليهم سُبُل الهداية، فما امتنعوا من العماية والغواية، وألّفت لهم مجلدات ضخمة وكتبًا مطولة مبسوسة فما قبلوا الحق بل سبوا كالسفهاء، وزادوا في الغي والاعتداء. وقد وضع لهم بصدق العلامات أني من الله رب السماوات، فما كان أمرهم إلا الفحش والإيذاء والشتم والازدراء، وقد رأوا من ربي آيات وأنواع تأييدات، فما قبلوا ظلماً وعُلُوًّا وما كانوا منتهين. وما جئتهم في غير وقت بل جئت عند غربة الإسلام، في زمان فسادٍ أشار إليه سيدنا خير الأنام، وعلى رأس المائة، وكانوا من قبل

ينتظرون وقت هذه المائة، ويحسبونها مباركة للملّة، فلما جئتهم نبذوا علومهم وراء ظهورهم، وصاروا أوّل المعادين. ولولا خوف سيف الدولة البريطانية، لقتلوني بالسيوف والأسنة، ولكن الله منعهم بتوسّط هذه الدولة المحسنة، فنشكر الله ونشكر هذه الدولة التي جعلها الله سبباً لنجاتنا من أيدي الظالمين. إنّها حفظت أعراضنا ونفوسنا وأموالنا من الناهبين. وكيف لا تُشكّر وإنا نعيش تحت هذه السلطنة بالأمن وفراغ البال، ونُجينا من أنواع النكال، وصار نزولها لنا نزول العزّ والبركة، ولننا غاية رجائنا من أمن الدنيا والعافية، فوجبت إطاعتها ودعاء إقبالها وسلامتها بصدق النية. إنّها ما أسرّتنا بأيدي السطوة، بل جعل * قلوبنا أسارى بأيادي المنّة والنعمة، فوجب شكرها وشكر مبرّتها، ووجب طاعتها وطاعة حفدتها. اللهم اجزّ منّا هذه الملكة المعظّمة، واحفظها بدولتها وعزّها، يا أرحم الراحمين. آمين.

الراقم المرزا غلام أحمد القادياني، ٢١ فروري سنة ١٨٩٩

* يبدو أن "ت" سقطت هنا سهواً، والصحيح: "جعلت". (الناشر)